
www.kotobarabia.com
الزَّمان الدَّلالى
دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه فى الثقافة العربية
د.كريم زكى حسام الدين
www.kotobarabia.com

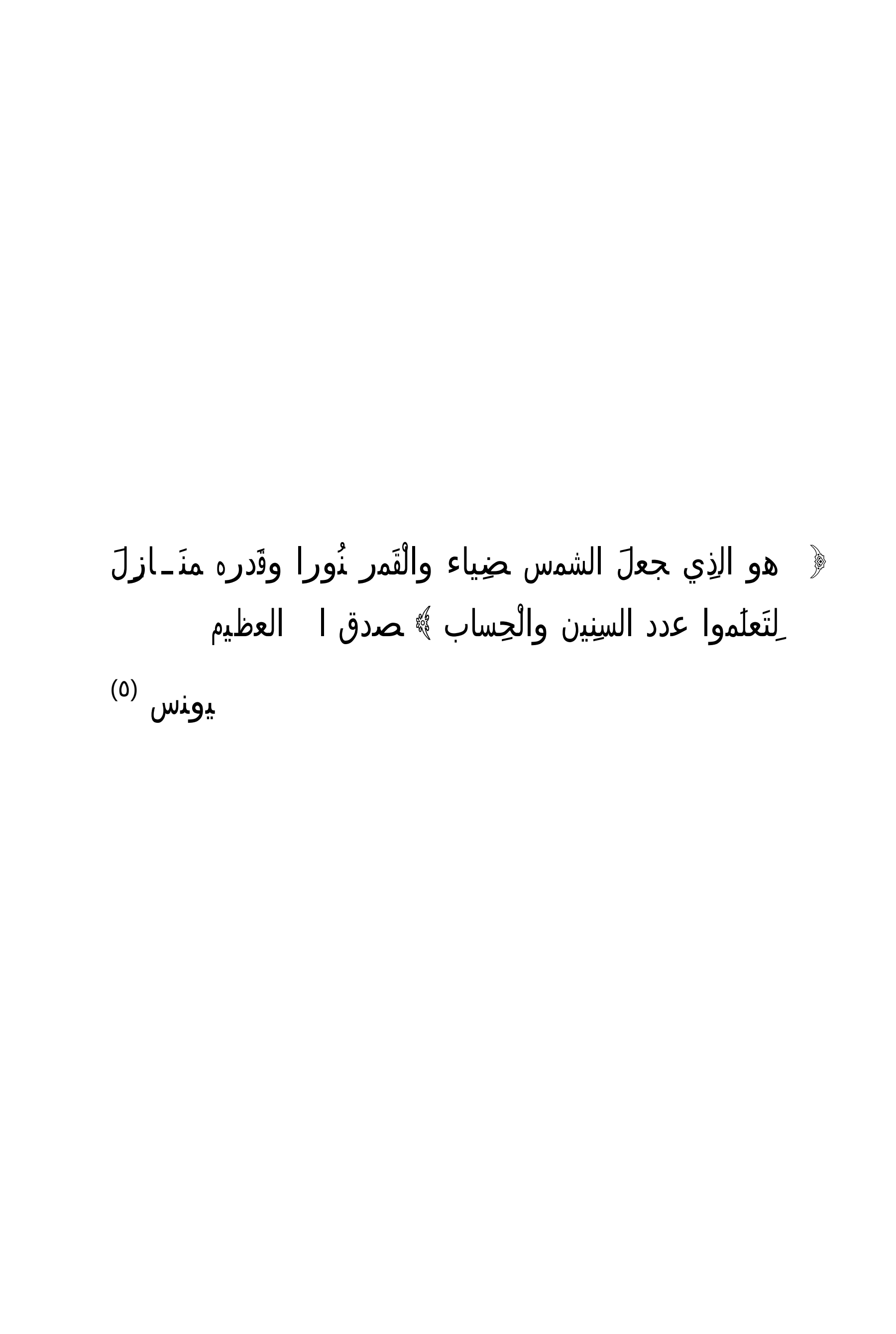
الزمان الدلالي

دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه

في الثقافة العربية

تأليف

د. كريم زكي حسام الدين



﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ صدق ا العظيم

يونس (5)

الإهداء:

إلى السلف الـذين أحيـوا الوقـت فصـلح بهـم زمـانهم
إلـى الخلـف الـذين قتلـوا الوقـت ففسـد بنـا زماننـا
إلى أولئك مع كل الحب وإلى هؤلاء مـع بعـض العتـب.

فهرس

مقدمة الطبعة الثانية

إن اللغة وسيلة الإنسان لإدراك ما حوله من ظواهر الكون، ومن هذه الظواهر حركة الزمان التي يستشعرها ويعبر عنها بألفاظ اللغة، فيعيش تجارب الحاضر، ويسترجع ذكريات الماضي، ويستشرف آمال المستقبل، وهو مع استعماله اللغة يلجأ إلى المجاز، يصور به إحساسه بالزمان، فيجعل الوقت سيفا إن لم تقطعه قطعك، ويجعل من العمر قطارا في رحلة الحياة، ويصف أوليات سنوات عمره، بأنها ربيع العمر، وأخرياتها بأنها خريف العمر.

وإذا كان هذا هو إحساس الإنسان بالزمان، فهو لديه العمر مقسم على أيام وشهور وسنين، تبدأ رحلته معه يوم دخوله إلى هذه الحياة وتنتهي يوم خروجه منها، وهو في خلال هذه الرحلة يخاف من الزمان الذي يترك بصماته في تجاعيد الوجه وشيب الشعر، وهذا يعني الاقتراب من النهاية.

والزمان لدى الإنسان في المجتمعات الصناعية يعني المال مقسما إلى جنيهات وقروش. وتعبر الإنجليزية عن هذا المفهوم بمثل هذه العبارات: To Spend Time ,

To Spend money , To Pay a visit , To pay money The Watch gains or Loses

الساعة تربح أو تخسر أي تقدم أو تؤخر.

وإذا كان الإنسان ينجح في استعادة ما يسرق منه من نقود، فإنه لن ينجح في استعادة ما يسرق من الوقـت، إننـا متهمون – نحن أصحاب الثقافة العربيـة– بإهـدار الوقـت وتضييعه، وإذا صدق هذا الاتهام علينا في حياتنا المعاصـرة الآن، فإن لغتنا العربية التي جرت على ألسن الآباء والأجداد تنفي هذا الاتهام.

لقد نشرت هذه الدراسة منذ أكثر من عشر سـنوات، وتعود نفاد الطبعة الأولى التي لقيت قبولا واستحسـانا لـدى المتخصصين وغير المتخصصين، وقد أضفنا إليهـا فصـلا رابعا في الباب الثاني بعنوان: دلالـة الزمـان والسـياقات اللغوية، وأرجو أن تكون هذه الدراسة في طبعتهـا الثانيـة تذكيرا بقيمة الوقت في حياتنا، فنعود إلى سيرة السلف الذين أحيوا الوقت فصلح بهم زمانهم.

وحسبي بهذا العمل أنني قد بذلت جهـدا متواضـعا لخدمة لغة القرآن الكريم، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما مـا ينفع الناس فيمكث في الأرض.

وآخر دعوانا أن الحمد   رب العالمين.

أ. د. كريم حسام الدين

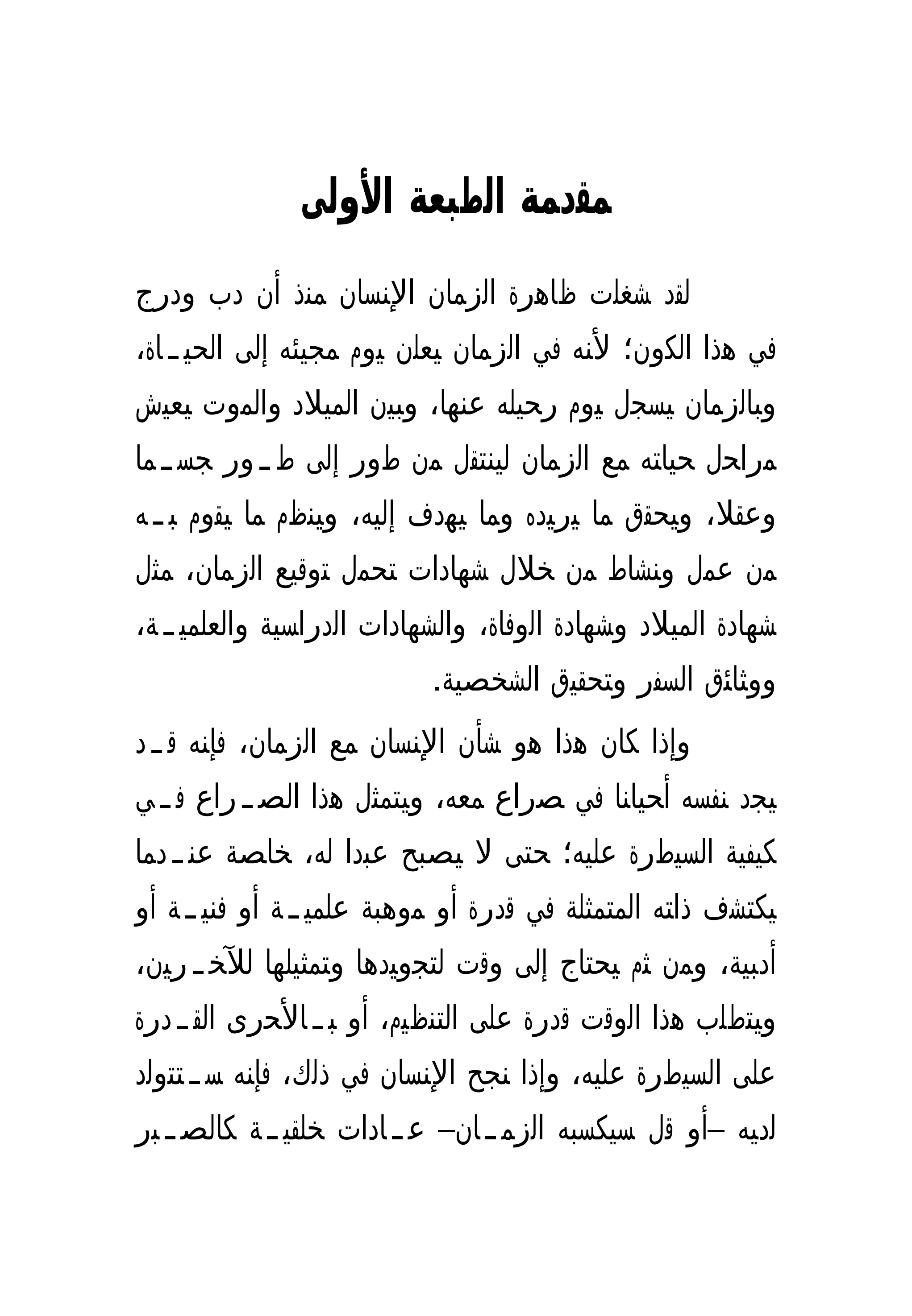
أستاذ الدراسات اللسانية كلية الآداب

جامعة الزقازيق – فرع بنها

هضبة المقطم في ٢١ جمادى ١٤٢١

١١ أغسطس ٢٠٠١

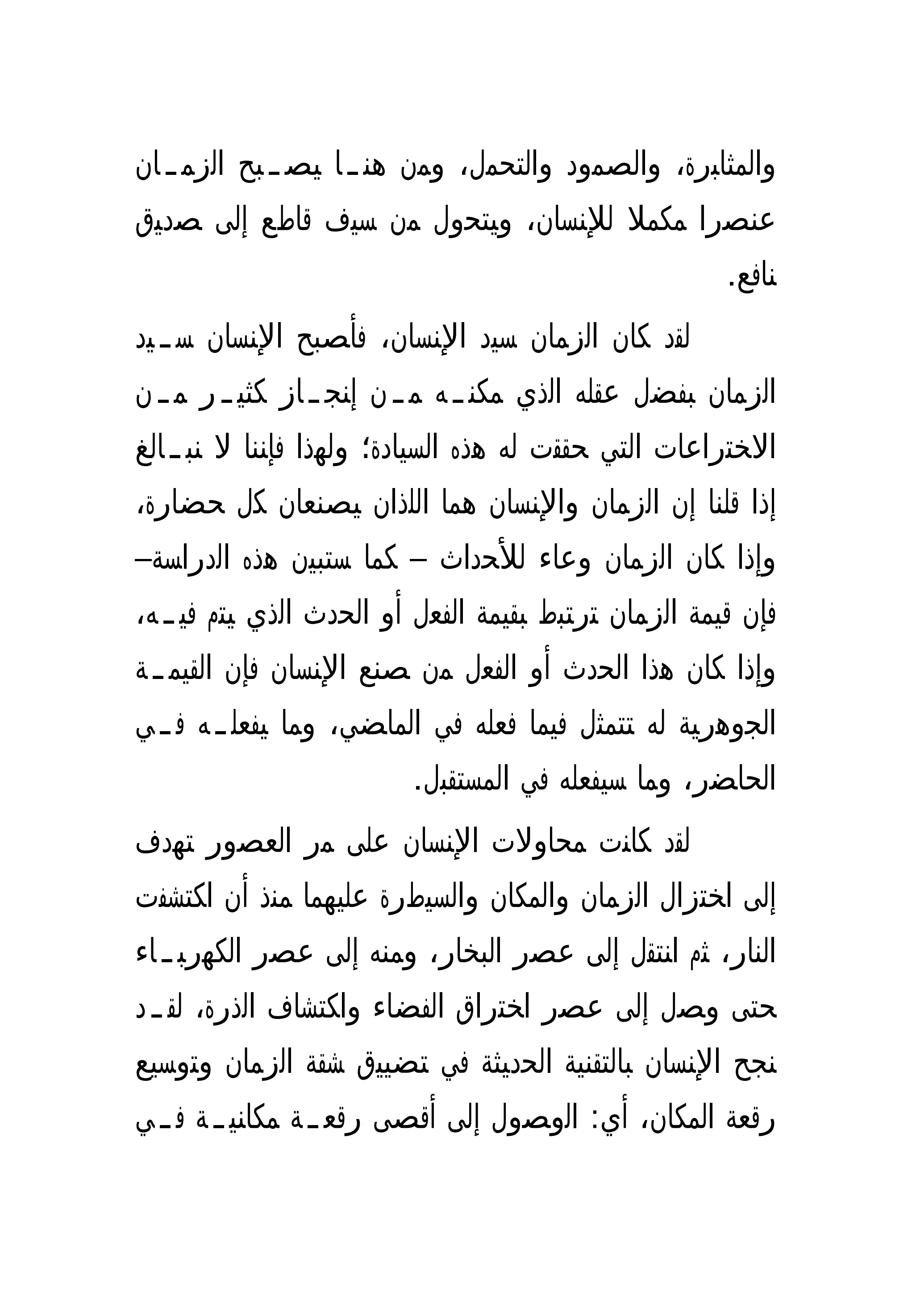
ص. ب ٨٣ المقطم ١١٥٧١ – القاهرة



مقدمة الطبعة الأولى

لقد شغلت ظاهرة الزمان الإنسان منذ أن دب ودرج في هذا الكون؛ لأنه في الزمان يعلن يوم مجيئه إلى الحيـاة، وبالزمان يسجل يوم رحيله عنها، وبين الميلاد والموت يعيش مراحل حياته مع الزمان لينتقل من طور إلى طـور جسـما وعقلا، ويحقق ما يريده وما يهدف إليه، وينظم ما يقوم بـه من عمل ونشاط من خلال شهادات تحمل توقيع الزمان، مثل شهادة الميلاد وشهادة الوفاة، والشهادات الدراسية والعلميـة، ووثائق السفر وتحقيق الشخصية.

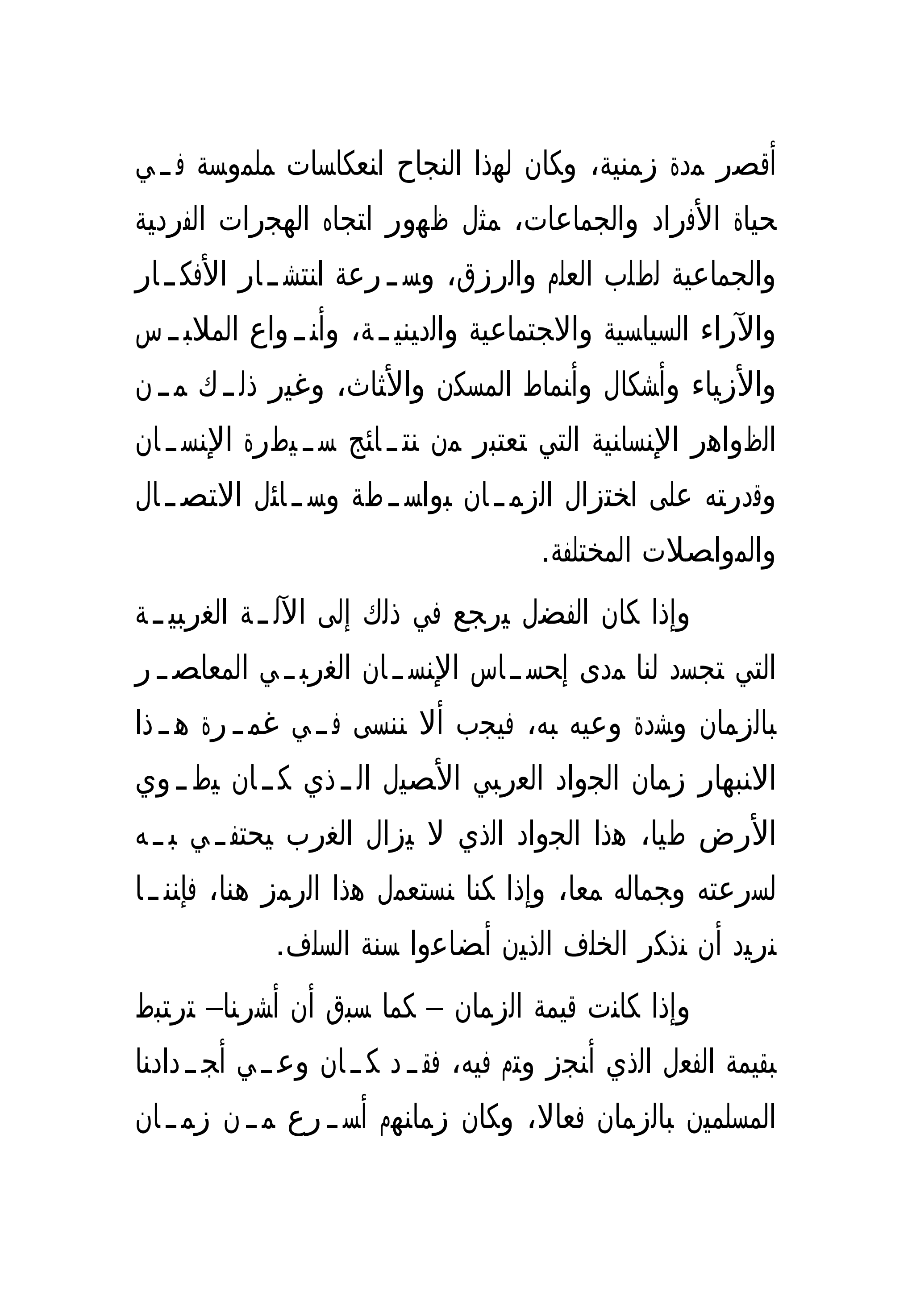
وإذا كان هذا هو شأن الإنسان مع الزمان، فإنه قـد يجد نفسه أحيانا في صراع معه، ويتمثل هذا الصـراع فـي كيفية السيطرة عليه؛ حتى لا يصبح عبدا له، خاصة عنـدما يكتشف ذاته المتمثلة في قدرة أو موهبة علميـة أو فنيـة أو أدبية، ومن ثم يحتاج إلى وقت لتجويدها وتمثيلها للآخـرين، ويتطلب هذا الوقت قدرة على التنظيم، أو بـالأحرى القـدرة على السيطرة عليه، وإذا نجح الإنسان في ذلك، فإنه سـتتولد لديه –أو قل سيكسبه الزمـان– عـادات خلقيـة كالصـبر



والمثابرة، والصمود والتحمل، ومن هنا يصبح الزمان عنصرا مكملا للإنسان، ويتحول من سيف قاطع إلى صديق نافع.

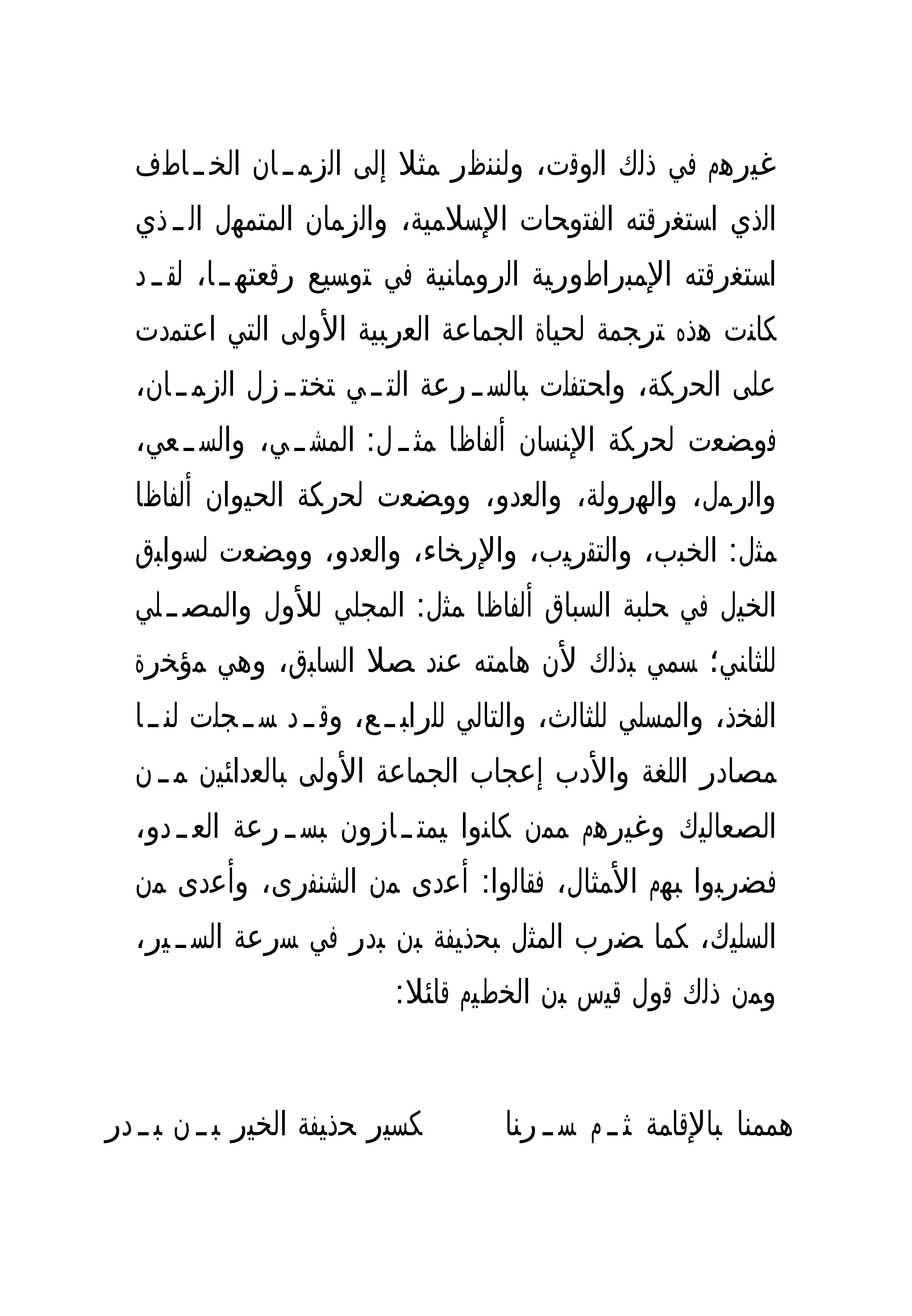
لقد كان الزمان سيد الإنسان، فأصبح الإنسان سيد الزمان بفضل عقله الذي مكنه من إنجاز كثير من الاختراعات التي حققت له هذه السيادة؛ ولهذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا إن الزمان والإنسان هما اللذان يصنعان كل حضارة، وإذا كان الزمان وعاء للأحداث – كما ستبين هذه الدراسة– فإن قيمة الزمان ترتبط بقيمة الفعل أو الحدث الذي يتم فيه، وإذا كان هذا الحدث أو الفعل من صنع الإنسان فإن القيمة الجوهرية له تتمثل فيما فعله في الماضي، وما يفعله في الحاضر، وما سيفعله في المستقبل.

لقد كانت محاولات الإنسان على مر العصور تهدف إلى اختزال الزمان والمكان والسيطرة عليهما منذ أن اكتشفت النار، ثم انتقل إلى عصر البخار، ومنه إلى عصر الكهرباء حتى وصل إلى عصر اختراق الفضاء واكتشاف الذرة، لقد نجح الإنسان بالتقنية الحديثة في تضييق شقة الزمان وتوسيع رقعة المكان، أي: الوصول إلى أقصى رقعة مكانية في


أقصر مدة زمنية، وكان لهذا النجاح انعكاسات ملموسة في حياة الأفراد والجماعات، مثل ظهور اتجاه الهجرات الفردية والجماعية لطلب العلم والرزق، وسرعة انتشار الأفكار والآراء السياسية والاجتماعية والدينية، وأنواع الملابس والأزياء وأشكال وأنماط المسكن والأثاث، وغير ذلك من الظواهر الإنسانية التي تعتبر من نتائج سيطرة الإنسان وقدرته على اختزال الزمان بواسطة وسائل الاتصال والمواصلات المختلفة.

وإذا كان الفضل يرجع في ذلك إلى الآلة الغربية التي تجسد لنا مدى إحساس الإنسان الغربي المعاصر بالزمان وشدة وعيه به، فيجب ألا ننسى في غمرة هذا الانبهار زمان الجواد العربي الأصيل الذي كان يطوي الأرض طيا، هذا الجواد الذي لا يزال الغرب يحتفي به لسرعته وجماله معا، وإذا كنا نستعمل هذا الرمز هنا، فإننا نريد أن نذكر الخلف الذين أضاعوا سنة السلف.

وإذا كانت قيمة الزمان – كما سبق أن أشرنا– ترتبط بقيمة الفعل الذي أنجز وتم فيه، فقد كان وعي أجدادنا المسلمين بالزمان فعالا، وكان زمانهم أسرع من زمان



غيرهم في ذلك الوقت، ولننظر مثلا إلى الزمـان الخـاطف الذي استغرقته الفتوحات الإسلامية، والزمان المتمهل الـذي استغرقته الإمبراطورية الرومانية في توسيع رقعتهـا، لقـد كانت هذه ترجمة لحياة الجماعة العربية الأولى التي اعتمدت على الحركة، واحتفلت بالسـرعة التـي تختـزل الزمـان، فوضعت لحركة الإنسان ألفاظا مثـل: المشـي، والسـعي، والرمل، والهرولة، والعدو، ووضعت لحركة الحيوان ألفاظا مثل: الخبب، والتقريب، والإرخاء، والعدو، ووضعت لسوابق الخيل في حلبة السباق ألفاظا مثل: المجلي للأول والمصـلي للثاني؛ سمي بذلك لأن هامته عند صلا السابق، وهي مؤخرة الفخذ، والمسلي للثالث، والتالي للرابـع، وقـد سـجلت لنـا مصادر اللغة والأدب إعجاب الجماعة الأولى بالعدائين مـن الصعاليك وغيرهم ممن كانوا يمتـازون بسـرعة العـدو، فضربوا بهم الأمثال، فقالوا: أعدى من الشنفرى، وأعدى من السليك، كما ضرب المثل بحذيفة بن بدر في سرعة السـير، ومن ذلك قول قيس بن الخطيم قائلا:

همممنا بالإقامة ثـم سـرنا ... كسير حذيفة الخير بـن بـدر

لقد كان زمان العرب المسلمين أسرع مـن زمـان غيرهم أيضا عندما اخترعـوا علامـة الصـفر، فـاختزلوا العمليات الحسابية التي كانت تستغرق من الوقت وتسـتهلك من الورق الكثير، وتعاون الصفر العربي الذي شغل الفجـوة أو الفراغ [١] مع الأرقام الهندية [٢] التـي تبناهـا العـرب المسلمون، ونقلها عنهم الأوربيون واسـتعملوها بـدلا مـن الأرقام الرومانية I, II, III, IV كما كان اكتشـاف التـرقيم العددي من أهم الإنجازات العلمية التي عرفهـا الأوربيـون عندما دخل لفظ الصفر العربي إلى اللغات الأوربية في القرن الثاني عشر الميلادي بالشكل اللاتينـي ziphirum بمعنـى الفجوة أو الفراغ، وذلك قبل أن يأخذ شكله المعروف لـدينا zero ويقوم بدوره في العمليات الحسابية في مختلف العلوم.

---

[١] يعني: لفظ الصفر في العربية الفراغ، ومن ذلـك قـولهم: صـفر اليدين، أي: فارغ اليدين.

[٢] نعني بذلك أننا إذا كتبنا الرقمين ٢٣ بهذه الدلالة العدديـة، وأتينـا بعلامة الصفر لتسد الفراغ بين الرقمين، فسينتج لنا رقم بدلالة جديـدة هي ٢٠٣.

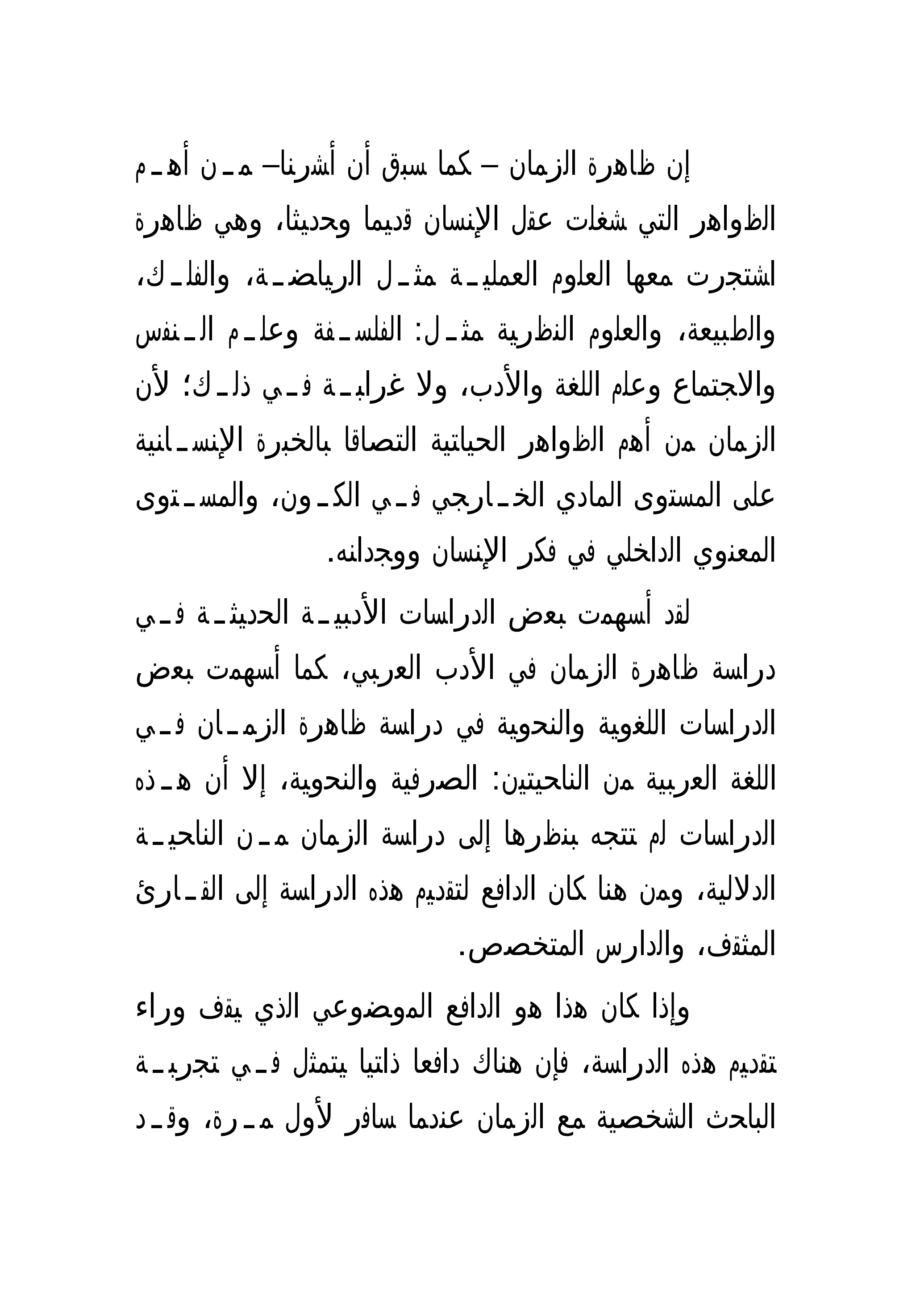
لقد كانت فكرة الصفر وكيفية استعماله مـن أعظـم الهدايا التي قدمها العرب المسلمون للأوربيـين علـى يـد الخوارزمي فاختزلوا بها الزمان، كما كانت السـاعة -آلـة قياس الوقت- ثانية هذه الهدايا. وتحدثنا المصادر التاريخيـة أن هارون الرشيد قد أهدى الإمبراطور الروماني (شرلمان) أول ساعة مائية دقاقة يعرفها الأوربيون لقياس الوقت. كمـا تسجل لنا المصادر التاريخية أن الملك الأشرف قد أهدى أول ساعة ميكانيكية للإمبراطور الروماني فردريك الثـاني فـي القرن الثالث عشر الميلادي.

وإذا كانت الجماعة العربية قـد احتفلـت بالزمـان واهتمت به في حركته الدائبة في صحراء الجزيرة العربيـة الواسعة، فإن التشريع الإسلامي قد جعل الزمان من أهم القيم الإسلامية التي حفزها ورعاها وأداها العرب المسلمون وهم يرتلون كتاب ربهم الذي أقسم فيه -سبحانه- بالزمـان فـي قوله تعالى:﴿ والْفَجرِ* ولَيالٍ عشْرٍ ﴾ الفجر [١] ﴿ والضحى * والليل إِذَا سجى ﴾ الضحى[١] ﴿ والْعصرِ * إِن الإِنْسـان لَفِي خُسرٍ﴾ العصر [١] ﴿والليل إِذَا يغْشَـى * والنهـارِ إِذَا تَجلى ﴾ الليل [١] ولعل ارتباط – الصلاة عمـاد التشـريع

الإسلامي– ارتباطا وثيقا بالوقت في قوله تعالى: ﴿إِن الصلاةَ كَانَتْ علَى الْمؤْمِنين كِتَابا موقُوتًا﴾ النساء (١٠٣)
وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصلاةَ طَرفَي النهارِ وزلَفًا من الليل﴾ هود (١١٤) أكبر دليل على قيمة الزمان في حياة المسلم؛ ولهذا لم يكن غريبا أن يتحدث فقهاء المسلمين عما سموه بـ "عمارة الأوقات بما هو نافع "، وقالوا: "إن علامة المقت إضاعة الوقت"، الواجبات أكثر من الأوقات. كما قالوا: " زمانك عمرك"، وقد ترجم ذلك الشاعر المسلم قائلا:

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علما فما ذاك من عمري

وهكذا تحولت قيمة الوقت عند العرب المسلمين من مجرد مبدأ إيماني إلى سلوك عملي وفعلي، وإذا كانت بعض اللغات الأوربية مثل الإنجليزية والفرنسية تعرف تعبير " قتل الوقت To Kill the time , Tuer le temps فإن اللغة العربية تعرف تعبير إحياء الوقت في مثل قولهم: إحياء الليل، وإحياء الذكرى وإحياء الحفل.



إن ظاهرة الزمان – كما سبق أن أشرنا– من أهم الظواهر التي شغلت عقل الإنسان قديما وحديثا، وهي ظاهرة اشتجرت معها العلوم العملية مثل الرياضة، والفلك، والطبيعة، والعلوم النظرية مثل: الفلسفة وعلم النفس والاجتماع وعلم اللغة والأدب، ولا غرابة في ذلك؛ لأن الزمان من أهم الظواهر الحياتية التصاقا بالخبرة الإنسانية على المستوى المادي الخارجي في الكون، والمستوى المعنوي الداخلي في فكر الإنسان ووجدانه.

لقد أسهمت بعض الدراسات الأدبية الحديثة في دراسة ظاهرة الزمان في الأدب العربي، كما أسهمت بعض الدراسات اللغوية والنحوية في دراسة ظاهرة الزمان في اللغة العربية من الناحيتين: الصرفية والنحوية، إلا أن هذه الدراسات لم تتجه بنظرها إلى دراسة الزمان من الناحية الدلالية، ومن هنا كان الدافع لتقديم هذه الدراسة إلى القارئ المثقف، والدارس المتخصص.

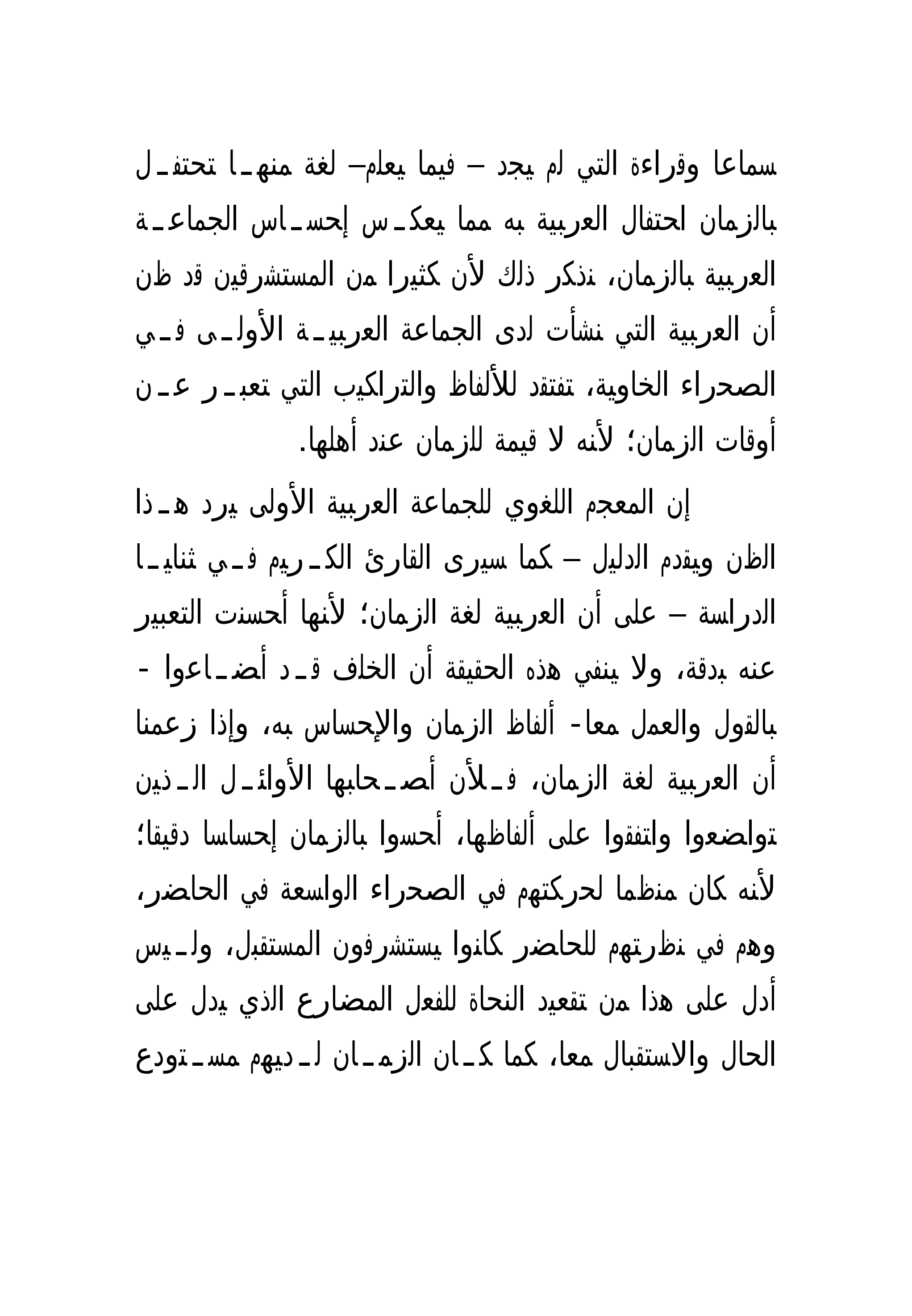
وإذا كان هذا هو الدافع الموضوعي الذي يقف وراء تقديم هذه الدراسة، فإن هناك دافعا ذاتيا يتمثل في تجربة الباحث الشخصية مع الزمان عندما سافر لأول مرة، وقد

تجاوز عامه العشرين بشهور في بعثـة دراسـية للولايـات المتحدة، فشغف بزمان الآلة الغربية الـذي يحـاكي زمـان الجواد العربي في إيقاعه السريع، كما يحـاكي فـي قيمتـه مفهوم الفقهاء المسلمين عن الوقت الـذي يترجمـه قـولهم المأثور: "من المقت إضاعة الوقت".

إن زمان الآلة الغربية الذي يعرفه الأوربيون باسـم Budget time مثل النقود، بل هو النقود؛ لأنـه يمكـن أن تكسبه We earn it وأن تستثمره We invest it، وأن تنفقه We spend it وأن نـوفره We Save it وأن نهـدره – We waste it ولا يزال وقت الأوربـي يقـاس بمقيـاس اقتصادي؛ فساعة الإنجليزي لا تقدم ولا تؤخر، ولكن تـربح أو تخسر The watch gains or Loses.

إننا إذا أردنا أن نقف على ملامح شخصية مـا، أو السمات الثقافية لجماعة ما، فيجب أن نعرف كيـف يقضـي الفرد وقته، وكيف ينفق نقوده؛ لأن كيفية التصرف في النقود والوقت تعكس بشكل واضح السلوك الثقافي للفرد والجماعة.

كما يتمثل هذا الدافع الذاتي أيضا في أسفار الباحـث شرقا وغربا، وخبرته ببعض اللغات في أوربا وآسيا وأفريقيا



سماعا وقراءة التي لم يجد – فيما يعلم– لغة منهـا تحتفـل بالزمان احتفال العربية به مما يعكـس إحسـاس الجماعـة العربية بالزمان، نذكر ذلك لأن كثيرا من المستشرقين قد ظن أن العربية التي نشأت لدى الجماعة العربيـة الأولـى فـي الصحراء الخاوية، تفتقد للألفاظ والتراكيب التي تعبـر عـن أوقات الزمان؛ لأنه لا قيمة للزمان عند أهلها.

إن المعجم اللغوي للجماعة العربية الأولى يرد هـذا الظن ويقدم الدليل – كما سيرى القارئ الكـريم فـي ثنايـا الدراسة – على أن العربية لغة الزمان؛ لأنها أحسنت التعبير عنه بدقة، ولا ينفي هذه الحقيقة أن الخلف قـد أضـاعوا - بالقول والعمل معا- ألفاظ الزمان والإحساس به، وإذا زعمنا أن العربية لغة الزمان، فـلأن أصـحابها الأوائـل الـذين تواضعوا واتفقوا على ألفاظها، أحسوا بالزمان إحساسا دقيقا؛ لأنه كان منظما لحركتهم في الصحراء الواسعة في الحاضر، وهم في نظرتهم للحاضر كانوا يستشرفون المستقبل، ولـيس أدل على هذا من تقعيد النحاة للفعل المضارع الذي يدل على الحال والاستقبال معا، كما كـان الزمـان لـديهم مسـتودع

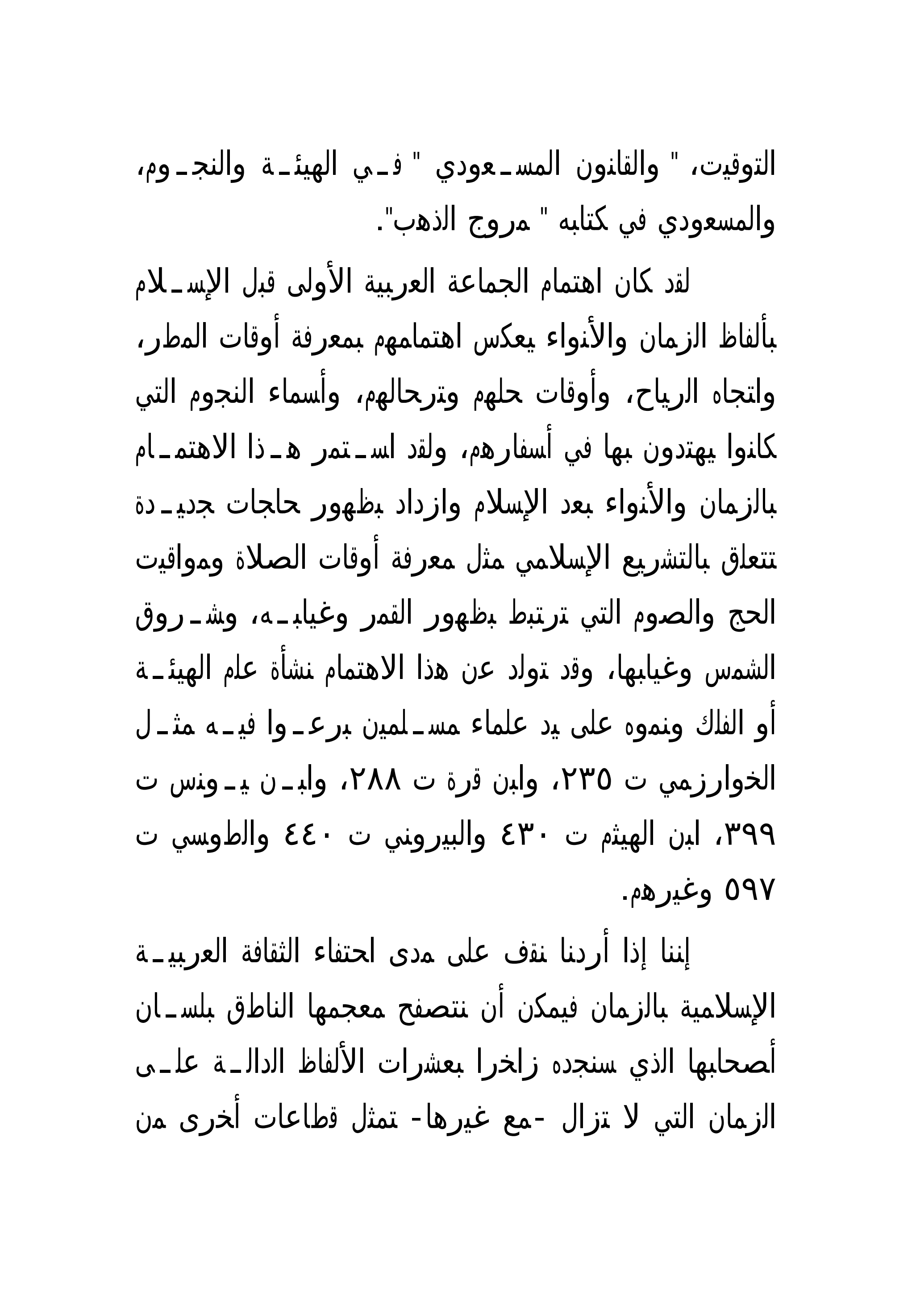
مفاخرهم وأنسابهم في الماضي؛ ولهذا لم يكـن مـن قبيـل المصادفة أن يسمى علم التاريخ عندهم بالأيام.

وإذا كانت هذه الدراسة تثبت للقارئ أن العربية هي لغة الزمان، وأنها أحسنت التعبير عنه، إلا أنها للأسـف لـم تستطع أن تعالج هذا التناقض الذي وقع في الخلـف الـذين أضاعوا -بالقول والعمل- ألفاظ الزمان والإحساس بـه؛ لأن هذا من شأن دراسات أخرى في علـوم الـنفس والاجتمـاع والأنثروبولوجيا، وكما لا نحمل لغتنا العربية مسئولية سـوء استعمالنا لألفاظها وتراكيبها، فإننا لا نحملها أيضا مسـئولية وجود ظاهرة الوقت الضائع في ثقافتنا العربية الإسلامية التي تمثل تناقضا صارخا بين بنية اللغة العربيـة التـي تحتفـي بالزمان، وسلوك أصحابها الذين يتكلمونها.

إن المتتبع للدرس اللغوي عند اللغويين القدماء يعرف مدى اهتمامهم بجمع ألفاظ اللغة في رسائل وكتـب صـغيرة تحمل اسم (كتب الصفات) مثل كتب: خلق الإنسان، والإبـل والخيل والمطر والنبات والحشرات وغير ذلك، كما اهتمـوا أيضا بجمع الألفاظ الواصفة لأوقات الزمان فـي مصـنفات تحمل أسماء مثل: الأيام والليالي والشهور للفراء ت ٢٠٧ "

والأزمنة وتلبية الجاهلية " لقطرب ت ٢٠٦، والأيام والليالي" لابن السكيت ت ٢٢٤، " والأزمنة والأمكنة" للمرزوقـي ت ٤٢١، " والأزمنة والأنواء" لابن الأجـدابي ت ٤٧٠، هـذا بالإضافة إلى اهتمام بعض كتب اللغـة والأدب مثـل: أدب الكاتب، العقد الفريد، فقه اللغة، المخصـص، نهايـة الأرب، صبح الأعشى، وغيرها بتخصيص بعـض أبوابهـا لألفـاظ الزمان.

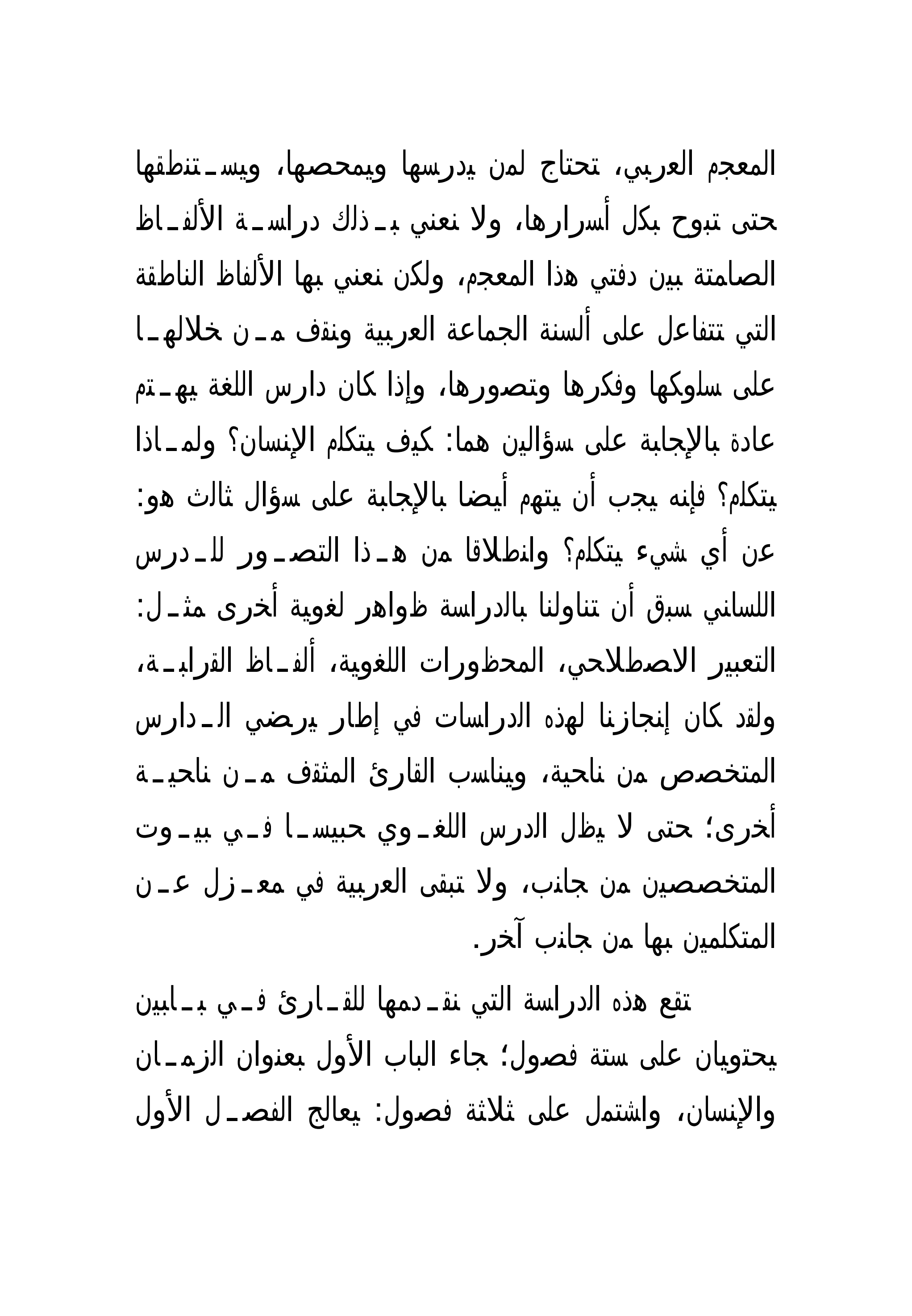
ونجد -إلى جانب هذه المصنفات- مصنفاتٍ أخـرى اهتمت بألفاظ الزمان، وحملت عنوان الأنواء، ذكر صـاحب الفهرست عددا منهـا للسدوسـي ت ٢٠٠، والأصـمعي ت ٢١٣، وابـــن الأعرابـــي ت ٢٣٢، والمبـــرد ت ٢٥٨، ولأبي حنيفة الـدينوري ت ٢٨٢، وابـن دريـد ت ٣٢١ وغيرهم، ولم يصلنا للأسف من هذه الكتب إلا كتب الأنـواء لابن قتيبة ت ٢٧٦ ومقتطفات من كتاب أبي حنيفة نقلها ابن سيدة في المخصص، وابن منظور في لسان العرب، كما اهتم بعض علماء الفلك والجغرافيا بدراسة الزمان وألفاظـه فـي مؤلفاتهم مثل البيروني في كتابيه " الآثار الباقية " فـي علـم



التوقيت، " والقانون المسعودي " في الهيئة والنجوم، والمسعودي في كتابه " مروج الذهب".

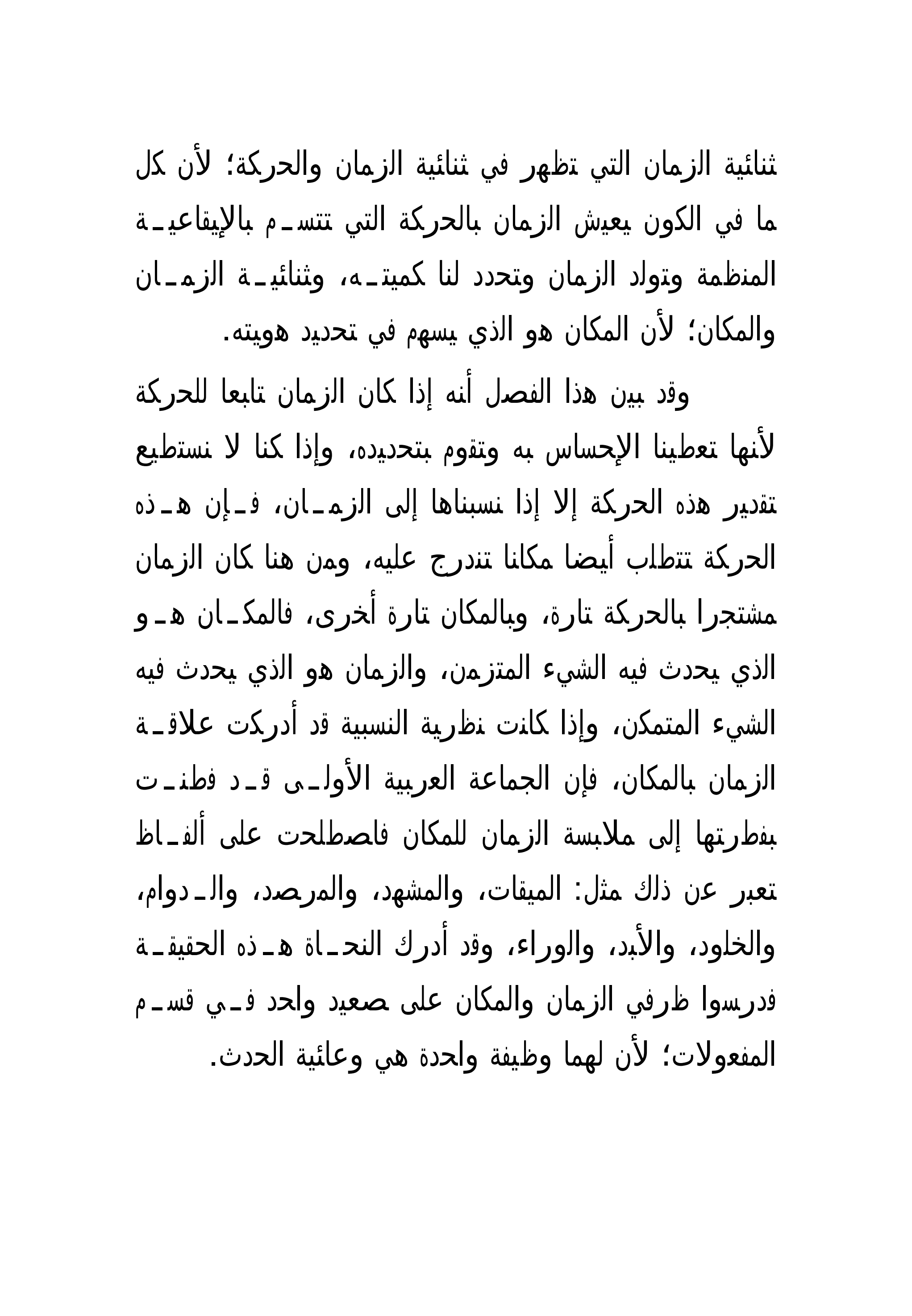
لقد كان اهتمام الجماعة العربية الأولى قبل الإسلام بألفاظ الزمان والأنواء يعكس اهتمامهم بمعرفة أوقات المطر، واتجاه الرياح، وأوقات حلهم وترحالهم، وأسماء النجوم التي كانوا يهتدون بها في أسفارهم، ولقد استمر هذا الاهتمام بالزمان والأنواء بعد الإسلام وازداد بظهور حاجات جديدة تتعلق بالتشريع الإسلامي مثل معرفة أوقات الصلاة ومواقيت الحج والصوم التي ترتبط بظهور القمر وغيابه، وشروق الشمس وغيابها، وقد تولد عن هذا الاهتمام نشأة علم الهيئة أو الفلك ونموه على يد علماء مسلمين برعوا فيه مثل الخوارزمي ت ٢٣٥، وابن قرة ت ٢٨٨، وابن يونس ت ٣٩٩، ابن الهيثم ت ٤٣٠ والبيروني ت ٤٤٠ والطوسي ت ٥٩٧ وغيرهم.

إننا إذا أردنا نقف على مدى احتفاء الثقافة العربية الإسلامية بالزمان فيمكن أن نتصفح معجمها الناطق بلسان أصحابها الذي سنجده زاخرا بعشرات الألفاظ الدالة على الزمان التي لا تزال -مع غيرها- تمثل قطاعات أخرى من



المعجم العربي، تحتاج لمن يدرسها ويمحصها، ويستنطقها حتى تبوح بكل أسرارها، ولا نعني بذلك دراسة الألفاظ الصامتة بين دفتي هذا المعجم، ولكن نعني بها الألفاظ الناطقة التي تتفاعل على ألسنة الجماعة العربية ونقف من خلالها على سلوكها وفكرها وتصورها، وإذا كان دارس اللغة يهتم عادة بالإجابة على سؤالين هما: كيف يتكلم الإنسان؟ ولماذا يتكلم؟ فإنه يجب أن يتهم أيضا بالإجابة على سؤال ثالث هو: عن أي شيء يتكلم؟ وانطلاقا من هذا التصور للدرس اللساني سبق أن تناولنا بالدراسة ظواهر لغوية أخرى مثل: التعبير الاصطلاحي، المحظورات اللغوية، ألفاظ القرابة، ولقد كان إنجازنا لهذه الدراسات في إطار يرضي الدارس المتخصص من ناحية، ويناسب القارئ المثقف من ناحية أخرى؛ حتى لا يظل الدرس اللغوي حبيسا في بيوت المتخصصين من جانب، ولا تبقى العربية في معزل عن المتكلمين بها من جانب آخر.

تقع هذه الدراسة التي نقدمها للقارئ في بابين يحتويان على ستة فصول؛ جاء الباب الأول بعنوان الزمان والإنسان، واشتمل على ثلاثة فصول: يعالج الفصل الأول



ثنائية الزمان التي تظهر في ثنائية الزمان والحركة؛ لأن كل ما في الكون يعيش الزمان بالحركة التي تتسم بالإيقاعية المنظمة وتولد الزمان وتحدد لنا كميته، وثنائية الزمان والمكان؛ لأن المكان هو الذي يسهم في تحديد هويته.

وقد بين هذا الفصل أنه إذا كان الزمان تابعا للحركة لأنها تعطينا الإحساس به وتقوم بتحديده، وإذا كنا لا نستطيع تقدير هذه الحركة إلا إذا نسبناها إلى الزمان، فإن هذه الحركة تتطلب أيضا مكانا تتدرج عليه، ومن هنا كان الزمان مشتجرا بالحركة تارة، وبالمكان تارة أخرى، فالمكان هو الذي يحدث فيه الشيء المتزمن، والزمان هو الذي يحدث فيه الشيء المتمكن، وإذا كانت نظرية النسبية قد أدركت علاقة الزمان بالمكان، فإن الجماعة العربية الأولى قد فطنت بفطرتها إلى ملابسة الزمان للمكان فاصطلحت على ألفاظ تعبر عن ذلك مثل: الميقات، والمشهد، والمرصد، والدوام، والخلود، والأبد، والوراء، وقد أدرك النحاة هذه الحقيقة فدرسوا ظرفي الزمان والمكان على صعيد واحد في قسم المفعولات؛ لأن لهما وظيفة واحدة هي وعائية الحدث.

كما تناول الفصل ثنائية ثالثة هي ثنائية الزمان والإنسان؛ لأن الإنسان هو الذي يعطي الزمان دلالته الموضوعية والذاتية، فالإنسان يعيش الزمان الموضوعي الذي تحدده الساعات والتقاويم، كما يعيش الزمان الذاتي الذي تحدده مشاعره النفسية التي يحسها، وحالته الجسدية التي يشعر بها؛ فالحزن والمرض يجعلانه يعيش زمانا بطيئا متثاقلا، والفرح والنشاط يجعلانه يعيش زمانا سريعا خاطفًا.

يعالج الفصل الثاني الزمان والبيئة، ونعني بالبيئة هنا دور المكان وما يشتمل عليه في تحديد الزمان وبلورة مفهومه لدى الجماعة العربية الأولى، ويشمل ذلك الظواهر الطبيعية في السماء؛ مثل النجوم والكواكب والشمس والقمر والأمطار والرياح والظل والفيء، لقد كانت السماء وما فيها أول ساعة عرفها الإنسان لتحديد أوقات الزمان، وقد كانت الجماعة العربية الأولى كغيرها من المجتمعات الإنسانية تعتمد على دورات الشمس والقمر، وحركات النجوم والكواكب في تحديد أوقات الزمان من الفصول والشهور والأسابيع والأيام، وساعات النهار والليل المختلفة، ومواقيت سقوط الأمطار وهبوب الرياح، وقد عرفت هذا اللون من

المعرفة عندهم باسم الأنواء، التي صنف فيها اللغويون مؤلفات مختلفة كما سبق أن أشرنا.

كما تناول هذا الفصل أيضا جانبا آخر ارتبط بالبيئة الصحراوية التي عاشت فيها الجماعة العربية الأولى، ونعني بذلك استعمال ألفاظ وتعبيرات تتصل بالحيوانات والطيور؛ لتحديد أوقات الزمان مثل قولهم: " فواق ناقة" بمعنى قصر الوقت أو سرعته "وذنب السرحان" بمعنى الفجر الأول، و سنة الحمار" بمعنى العام المائة، وقولهم: "نوم كحسو الطير" أو "إبهام القطا" بدلالة قصر الوقت، وقولهم: "خرج وصياح الديك" أو "والطير في وكناتها" أي في وقت مبكر، واستعمالهم ألفاظا تتصل بشرب الإبل مثل: الغِب والورد بكسر الغين والواو، فالغب فعل الشيء يوما بعد يوم، وقد جاء في الحديث: أغبوا في عيادة المريض، والورد ما يعتاد الإنسان عمله يوميا، ومن ذلك ما يعتاد المسلم أن يقرأه يوميا من القرآن.

أما الفصل الثالث فقد تناول الزمان والمجتمع؛ لأنه إذا كان الزمان البيئي زمانا طبيعيا يرتبط بحركات الكواكب والنجوم، فإن الزمان الاجتماعي يرتبط بثقافة المجتمع

وتجاربه ومعتقداته، وفي ضوء هذه الحقيقة أوضحنا مفهـوم الجماعة العربية الأولى عن الزمان الذي ارتبط بالمرض في أصله الاشتقاقي، فالزمين المـريض أو صـاحب العاهـة، والدهر الزمان الطويل وهو أيضا النازلة التي تحل بـالقوم، والحين يعني قدرا مبهما من الوقت، ومنـه قـالوا الحائنـة بمعنى: النازلة، واليوم القدر المعروف من الزمان، استعملته الجماعة العربية الأولى للتعبير عن وقائعها وحروبها التـي عرفت بالأيام، والأجل بمعنى غاية الوقت المضروب لشيء ما، استعملته الجماعة العربية بدلالة موت الإنسان. والسـنة بمعنى العام ارتبطت في تصورهم بالجدب والشدة.

كما أوضح هذا الفصل أن بعض أوقات الزمان قـد ارتبط بالخوف والطِيرة في أذهان الجماعـة العربيـة التـي عرفت ما يسمى بـ المحظـور Taboo أو المحـرم مـن الزمان، فقد تشاءمت من بعض الأيام والشهور مثل يـومي الأربعاء والأحد وشهر شوال، وحرمت فعل بعض الأشـياء فيها مثل السفر أو الزواج، ومن هذا القبيـل أيضـا تحـريم القتال في الأشهر التي عرفت باسم الأشهر الحرم.

وإلى جانب هذا التصور السلبي للزمان لدى الجماعة العربية الأولى قبل الإسلام أوضح الفصل أيضـا التصـور الإيجابي للزمان بعد الإسلام فيما عرفته الجماعـة العربيـة باسم فضائل الأزمنة من الأيام والشهور، وما يتصل بـذلك بحسن استغلال الوقت، وهو ما عرفه الفقهاء بعمارة أو إحياء الأوقات كما سبق أن ذكرنا.

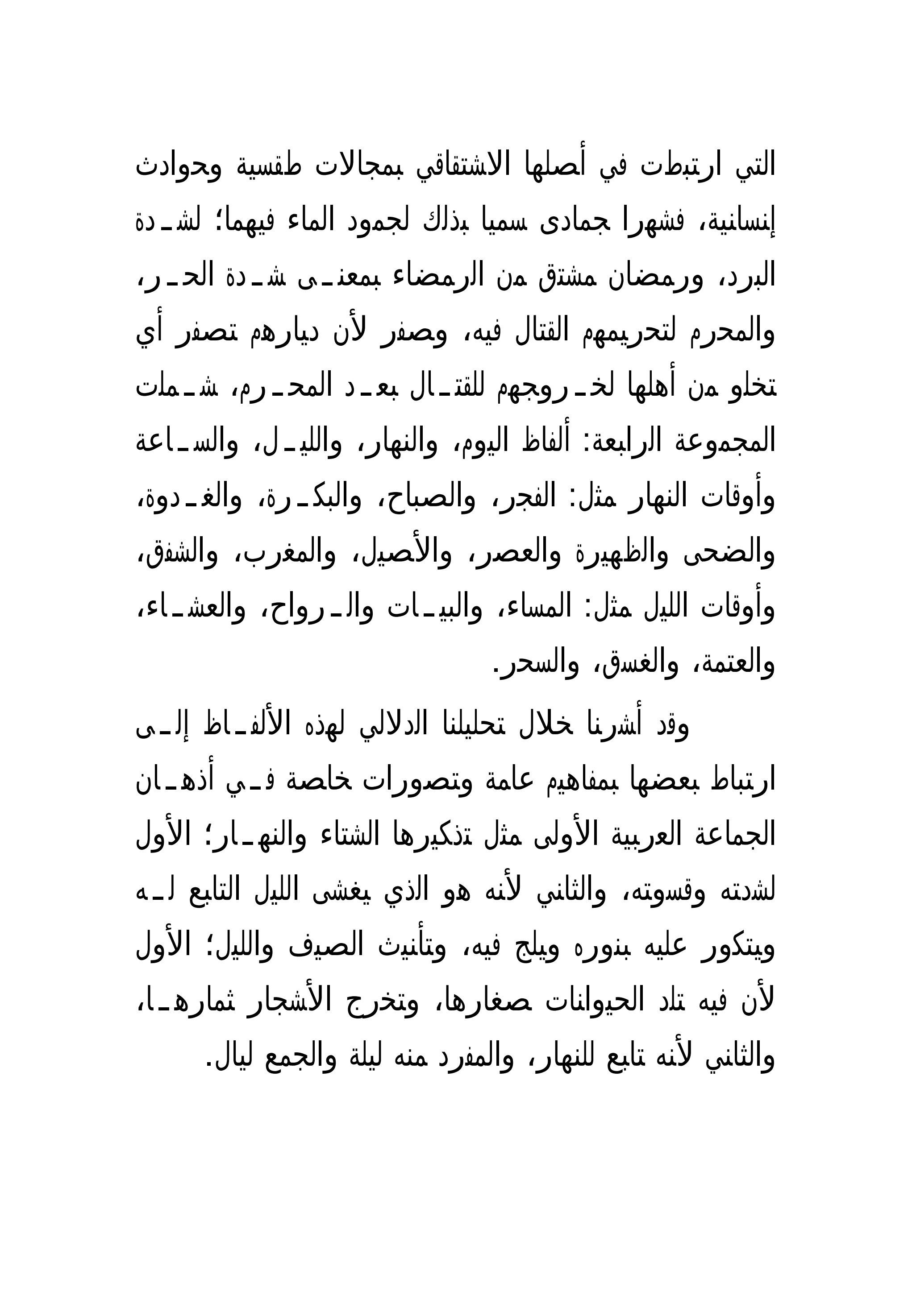
كما أشار هذا الفصل أيضا إلى تجـارب الجماعـة العربية وتفاعلها مع الزمان، وقد ظهر ذلـك فـي أمثالهـا وأقوالها المأثورة، وتسمية الأفراد بأسماء الزمان مثل الشهر، والربيع، والصباح، والصيف، ووصفهم للأفـراد والأشـياء بأسماء الزمان، كقولهم: رجل مشرق الوجه أو مظلم الوجه، ورجل صيفي وأولاده صيفيون، بمعنى تزوج وأنجب وهـو كبير. ورجل ربيعي وأولاده ربيعيون بمعنى تزوج وأنجـب وهو صغير، ومن هذا القبيل أيضا الحديث: " اللهـم اجعـل القرآن ربيع قلبي".

وجاء الباب الثاني بعنوان: (الزمان واللغة)، واشتمل على ثلاثة فصول أيضا: عالج الفصل الأول ألفـاظ الزمـان المبهم التي صنفناها في أربع مجموعـات دلاليـة: تشـمل

المجموعة الأولى: ألفاظ الزمان، والزمن، والدهر، والأبد والسرمد، والمسند، وشملت المجموعة الثانية: ألفاظ الوقت، والحين، والأوان والعهد والحقبة والعصر، وشملت المجموعة الثالثة: ألفاظ المدة والملاوة والدهر، والفترة، والطور، والتارة، وشملت المجموعة الرابعة: ألفاظ العمر والأمد والأجل والقرن والأمة والطبقة.

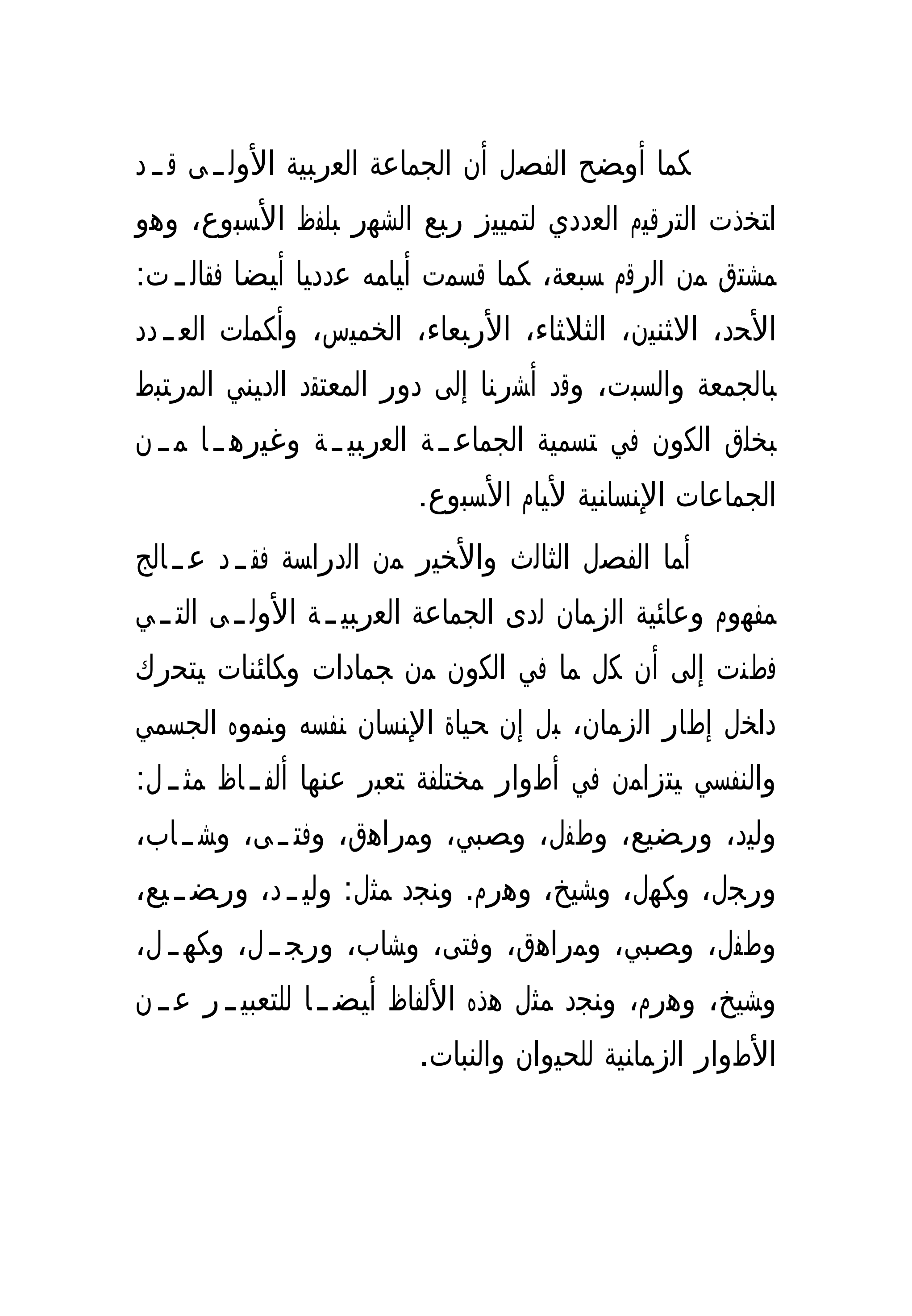
وقد أشرنا خلال تحليلنا الدلالي لألفاظ الزمان المبهم إلى أن بعض هذه الألفاظ تميز بالضيق أو الاتساع الدلالي للتعبير عن أوقات الزمان الطويلة أو القصيرة، كما أن بعضها الآخر قد خضع لعلاقة الترادف فيما بينها، هذا إلى جانب اشتجار هذه الألفاظ بمفاهيم متباينة في أذهان الجماعة العربية.

عالج الفصل الثاني ألفاظ الزمان المحدد، وقد صنفناها في خمس مجموعات دلالية شملت المجموعة الأولى: ألفاظ السنة، والعام، والحول، والحجة، والحقبة، شملت المجموعة الثانية: ألفاظ الفصل، والشتاء، والصيف، والربيع والخريف، شملت المجموعة الثالثة: ألفاظ الشهر، والهلال، وأسماء الشهور التي وضعتها العرب المستعربة



التي ارتبطت في أصلها الاشتقاقي بمجالات طقسية وحوادث إنسانية، فشهرا جمادى سميا بذلك لجمود الماء فيهما؛ لشدة البرد، ورمضان مشتق من الرمضاء بمعنى شدة الحر، والمحرم لتحريمهم القتال فيه، وصفر لأن ديارهم تصفر أي تخلو من أهلها لخروجهم للقتال بعد المحرم، شملت المجموعة الرابعة: ألفاظ اليوم، والنهار، والليل، والساعة وأوقات النهار مثل: الفجر، والصباح، والبكرة، والغدوة، والضحى والظهيرة والعصر، والأصيل، والمغرب، والشفق، وأوقات الليل مثل: المساء، والبيات والرواح، والعشاء، والعتمة، والغسق، والسحر.

وقد أشرنا خلال تحليلنا الدلالي لهذه الألفاظ إلى ارتباط بعضها بمفاهيم عامة وتصورات خاصة في أذهان الجماعة العربية الأولى مثل تذكيرها الشتاء والنهار؛ الأول لشدته وقسوته، والثاني لأنه هو الذي يغشى الليل التابع له ويتكور عليه بنوره ويلج فيه، وتأنيث الصيف والليل؛ الأول لأن فيه تلد الحيوانات صغارها، وتخرج الأشجار ثمارها، والثاني لأنه تابع للنهار، والمفرد منه ليلة والجمع ليال.



كما أوضح الفصل أن الجماعة العربية الأولى قد اتخذت الترقيم العددي لتمييز ربع الشهر بلفظ الأسبوع، وهو مشتق من الرقم سبعة، كما قسمت أيامه عدديا أيضا فقالت: الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، وأكملت العدد بالجمعة والسبت، وقد أشرنا إلى دور المعتقد الديني المرتبط بخالق الكون في تسمية الجماعة العربية وغيرها من الجماعات الإنسانية لأيام الأسبوع.

أما الفصل الثالث والأخير من الدراسة فقد عالج مفهوم وعائية الزمان لدى الجماعة العربية الأولى التي فطنت إلى أن كل ما في الكون من جمادات وكائنات يتحرك داخل إطار الزمان، بل إن حياة الإنسان نفسه ونموه الجسمي والنفسي يتزامن في أطوار مختلفة تعبر عنها ألفاظ مثل: وليد، ورضيع، وطفل، وصبي، ومراهق، وفتى، وشاب، ورجل، وكهل، وشيخ، وهرم. ونجد مثل: وليد، ورضيع، وطفل، وصبي، ومراهق، وفتى، وشاب، ورجل، وكهل، وشيخ، وهرم، ونجد مثل هذه الألفاظ أيضا للتعبير عن الأطوار الزمانية للحيوان والنبات.

كما أوضح الفصل أن كل ما يقوم به الإنسـان مـن أفعال وأنشطة يتم أيضا داخل إطار الزمان، وقد وضعت له الجماعة العربية ألفاظا زمانية، فالسير في الهـاجرة تهجـر، والسير في الليل عامة إسراء، وفي أوله إدلاج، والشرب في السحر جاشرية، وفي الصباح صبوح، وفي العشـي غبـوق وفي نصف النهار قيل، والأكل آخر الليـل سـحور، وفـي الصباح فطور، وفي الظهر غداء وفي الليل عشاء.

وكما اهتم هذا الفصل ببيان وعائيـة الزمـان بهـذا المفهوم، فقد اهتم أيضا ببيان حدثية الزمان بمعنى وصله أو تحديده بأحداث وملابسات عامة عرفتها الجماعـة العربيـة وارتبطت بتجاربها ومعتقداتها، ومن هذا القبيل ما نجده مـن تعبيرات اصطلاحية زمانية مثل: " بنـات الـدهر" بمعنـى مصائبه، و "سنو يوسف" بمعنى شـظف العـيش، "زمـان البرامكة" بمعنى رغد العيش أو فساد الحكم، و "هلال شوال" بمعنى ما يسر به المرء، و "حاطب الليل" بمعنى من يخلـط في كلامه أو أفعاله، و " يوم عبيد" بمعنى سوء الطـالع، و " يوم حليمة" بمعنى ما يذاع وينشر، و " ليلة النابغـة" بمعنـى المعاناة والأرق، و " ليلة القدر" بمعنى الشيء المبهم.

كما ذكرنا المبني من التعبيرات الاصطلاحية الزمانية مثل:" ابن الأيام" بمعنى: الرجل المجرب، و " بنو الأيام" بمعنى أهل العصر، و " بنات الليل" بمعنى الأحلام أو النساء، وذكرنا أيضا المثنى من التعبيرات مثل: الردفان والجديدان والعصران، بمعنى: الليل والظهر، والفجران بمعنى الفجر المستطيل والمستطير، والعصران بمعنى العصر والظهر، والعشاءان بمعنى المغرب والعشاء.

وبهذا الفصل تكتمل جوانب الدراسة التي اهتمت بتأصيل ألفاظ الزمان، بهذا الشكل المتكامل في العربية لأول مرة فيما نعلم، وأرجو أن تكون هذه الدراسة خطوة أولى على الطريق تتبعها خطوات أخرى لدراسة واستقراء قطاعات أخرى من المعجم العربي.

وحسبي بهذا العمل المتواضع أني بذلت جهدا متواضعا لخدمة لغة القرآن، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

وآخر دعواي أن الحمد رب العالمين.

د. كريم حسام الدين

مكة المكرمة ٢٩ صفر ١٤١٠

٢٩ سبتمبر ١٩٨٩

تمهيد

إن الزمان من حيث هو صورة وحركة أمر لا يوجد إلا في الطبيعة، وقد عاش الإنسان حياته ملايين السنين على الأرض يراقب ظواهر تتعاقب في دورات مثل الليل والنهار، والشهور والفصول بحركة الشمس في شـروقها وغروبهـا، كما استطاع أن يواصل حياته بفضل ما تمده به الشمس مـن حرارة وضوء جعلا الحياة ممكنة على ظهر الأرض، فـلا عجب أن تكون الشمس –واهبة الزمان والحياة للإنسان– من أقدم الآلهة التي قدسها.

لقد ظل الإنسان يعتقد أن الشـمس ومعهـا القمـر وغيرهما من الكواكب تدور جميعها حول الأرض حتى حرر عـالم الفلـك كوبرنيكـوس Copernicas ١٤٥٣ عقـول معاصريه من هذا المعتقد، وأثبت أن الشـمس هـي مركـز المجموعة الشمسية أما الأرض والكواكب الأخرى فتدور في أفلاك محدودة لها، لقد أزاح كوبرنيكوس الأرض عن مركز الكون فأصبحت مجرد كوكب صغير يبعد عن الشمس ١٥٠

مليون كم يدور حول نفسه دورة كاملة كل ٢٤ ساعة ويـتم دورة كاملة حول الشمس كل ٣٦٥ يوما.

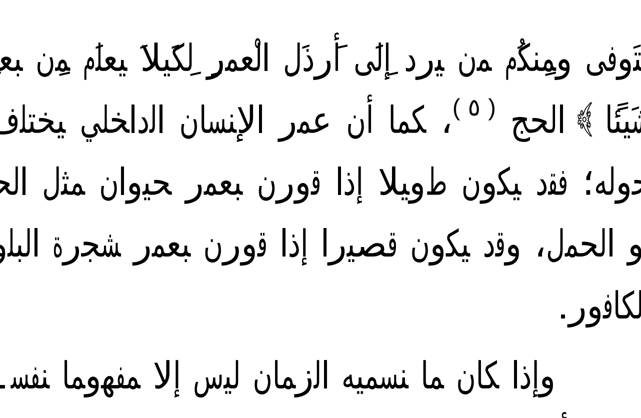
كما ظل الإنسان، ملايين السنين لا يرى الزمان خطا مستقيما بل دائرة مغلقة يكرر نفسه في تعاقب دورات الليـل والنهار، والفصول الأربعة وغير ذلك من ظواهر الطبيعـة مثل دورتي الخسوف والكسوف، والمد والجذر إلى أن عقـل أن ظواهر الزمان في الكون تشير إلى أن سهم الزمان يسير في خط مستقيم أو في اتجاه واحد نحو المستقبل متمثلا فـي مظاهر مختلفة أهمها التطور البيولوجي الذي يبدو بلا رجعة؛ لأن الزمان لا يرجع للوراء، فالرجل الشيخ لا يعـود شـابا والمرأة العجوز لا تعود بكرا، والحصـان لا يعـود مهـرا والشجرة لا تعود نبتة.

إن وجودنا الحياتي يعطينا هذا الانطباع بـأن سـهم الزمان ينساب في اتجاه واحد نحو الأمـام، وأن المسـتقبل يتحول إلى حاضر، والحاضـر يصـير ماضـيا، وإذا كنـا نستطيع أن نتـذكر الماضـي، فإننـا لا نسـتطيع أن نتنبـأ بالمستقبل، إن مفهوم انسياب الزمان كالخط له بعدٌ واحد هو الطول، وكما لا نستطيع أن نفكر في الخط بوصـفه كيانـا

متصلا أو بوصفه تتابعا من النقاط نستطيع أن نعتبر الزمان تتابعا من اللحظات Instant أو انسيابا متصلا للحظة واحدة سواء تحركت الأشياء أو بقيت ساكنة سواء نمنا أو استيقظنا، إننا نؤمن بوجود اللحظة الحاضرة الآن وحركتها للأمام حتى تصبح اللحظة مستقبلا ثم تتحول إلى ماض.

إن الزمان قد يخدعنا فنظن أننا نعرفه، أو كما يقول القديس أوغسطين: لو سألني أحد إن كنت أعرف الزمـان؟ فسأجيبه: إني أعرف، ولو سألني ما هو؟ سأجيب: بـأنني لا أعرفه. إن ما قاله هذا القديس يشير إلى أن ما نسميه الزمان ليس إلا مفهوما نفسيا، أو قل هو مفهـوم نفسـي اخترعـه النصف الأيسر من مخ الإنسان، أو كمـا يقـول الفيلسـوف الفرنسي برجسون: الزمان: المعاش أو الخبرة التي يمر بهـا الإنسان.

لقد اكتشف الإنسان قياس عمره (الزمن الـداخلي) بوحدات من الزمان الشمسي أو القمري (الزمن الخارجي) ولكنه اكتشف أن الزمن الداخلي قد يتمرد وينفصل عن الزمن الخارجي انظر قوله تعالى: ﴿ ونُقِر فِي الأرحامِ ما نَشَاء إِلَى أَجلٍ مسمى ثُم نُخْرِجكُم طِفْلًا ثُم لِتَبلُغُوا أَشُدكُم ومِـنْكُم مـن



يتَوفى ومِنكُم من يرد ِإِلَى َأرذَل الْعمرِ ِلكَيلاَ يعلَم مِن بعدِ عِلْمٍ شَيئًا ﴾ الحج (٥)، كما أن عمر الإنسان الداخلي يختلف عما حوله؛ فقد يكون طويلا إذا قورن بعمر حيوان مثل الحصان أو الحمل، وقد يكون قصيرا إذا قورن بعمر شجرة البلوط أو الكافور.

وإذا كان ما نسميه الزمان ليس إلا مفهوما نفسـيا أو تجربة أو خبرة يمر بها الإنسان، فإن وعيه بالزمان يتجلـى في ثلاثة مظاهر:

المظهر الأول: الإحساس بزمان اليوم من خلال مـا يقوم به من جدول يومي يتمثل في الاستيقاظ والنوم، وتناول وجبات الطعام في أوقات محددة، وممارسة لعمل معين خلال ساعات محددة واستخدامه وسائل مواصلات.

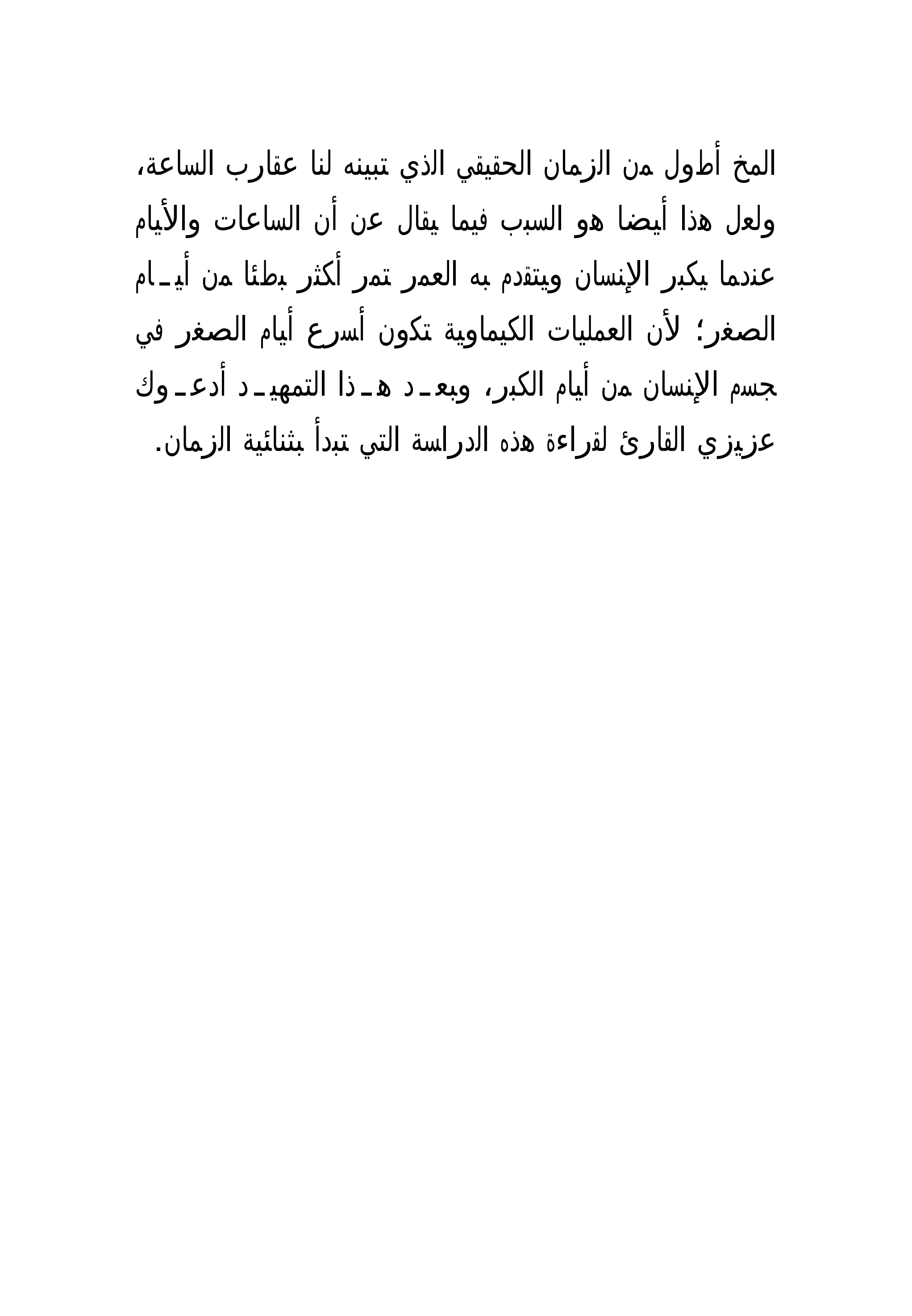
المظهر الثاني: الإحساس بديمومة الزمان، ويتوقـف ذلك على حالة الإنسان النفسية، فالأسبوع الذي يقضيه فـي عمل روتيني يبدو أكثر طولا من الأسبوع الذي يقضيه فـي إجازة ترفيهية، وقد يبدو الامتحان الصعب سببا فـي تلكـؤ الزمان في عقل الطالب.

المظهر الثالث: الإحساس بامتداد الزمان، فالحاضـر يصير إلى المستقبل الذي يتحول بدوره إلى الماضـي الـذي يتذكر أحداثه، كما يتطلع إلى أشـياء يريـد تحقيقهـا فـي المستقبل، ونجد هذا الإحساس بامتداد الزمن يتوقـف علـى عمر الإنسان، وما يمر به من ظروف وملابسات [١]، فالكبير يكون مشغولا بالماضي الذي يراه جميلا ويتمنى الشباب يعود يوما، أما الصغير فهو ينشغل بالمستقبل الذي سيتحقق فيه ما يريد.

إن هذا الوعي أو الإحساس بالزمان قد يتعرض إلى التشويه بتأثير الخمر أو العقاقير المخدرة أو بسبب التفاعلات الكيمائية في جسم الإنسان، فارتفاع درجـة حـرارة جسـم الإنسان الذي يعاني من الحمى، يجعل وعيه بمرور الزمـان بطيئا، لقد أثبتت الدراسـات الطبيـة أن نشـاط العمليـات الكيماوية نتيجة الحمى من شأنها أن يجعل الزمان الذي يقدره

---

[١] يرتبط موقف الإنسان من الزمان بعمره فهو يرفض نفسـيا تقـدم العمر ويفزع عندما يرى بصماته على وجهه فيصـبح أقـل جاذبيـة وإشراقا، وتخبره تجاعيد الوجه وابيضاض شعر الرأس بسنوات العمر الضائعة.



المخ أطول من الزمان الحقيقي الذي تبينه لنا عقارب الساعة، ولعل هذا أيضا هو السبب فيما يقال عن أن الساعات والأيام عندما يكبر الإنسان ويتقدم به العمر تمر أكثر بطئا من أيـام الصغر؛ لأن العمليات الكيماوية تكون أسرع أيام الصغر في جسم الإنسان من أيام الكبر، وبعـد هـذا التمهيـد أدعـوك عزيزي القارئ لقراءة هذه الدراسة التي تبدأ بثنائية الزمان.

البـــــاب الأول

الزمان والإنسان

الفصل الأول
ثنائية الزمان

لقد أدرك الإنسان أنه لا وجود إلا بالزمان، أو قـل إن الوجود والزمان مترادفان؛ لأن الوجود هو الحياة، والحياة هي التغير، والتغير هو الحركة، والحركة هي الزمان، فـلا وجود –إذًا- إلا بالزمان؛ لهذا فإن كل وجود يتصور خارج الزمان وجود وهمي، أو هو لا وجود.

لقد أحس الإنسان هذه الحقيقة من خلال ملاحظاتـه للمتغيرات حوله في السماء بشمسها وقمرها ونجومهـا [1]، وفي الأرض بزروعها [2] وحيواناتها [1] وطيورها [2]، بـل

---

[1] انظر الفصل الثاني من الدراسة بعنوان الزمان والبيئة.

[2] من المعروف أن كل ما تنبته الأرض يخضـع لـدورات زمانيـة محددة، وتذكر لنا بعض المصادر الأثرية أن علماء الآثار قد عرفـوا الوقت الذي دفن فيه توت عنخ آمون من خلال باقة زهـر موضـوعة على تابوته رغم مرور ثلاثة آلاف سنة على دفنه.

[1] من المعروف أيضا أن تكاثر الحيوان يخضع للتوقيت الزماني، فقد ثبت علميا أن فصل الربيع هو فصل التزاوج والتوالد بين الحيوانـات، ويفسر علماء الحيوان ذلك بالضوء الزائد نتيجة استطالة النهار الـذي يؤثر في أعين الطيور، ومن ثم ينتقل هذا التأثير إلى جزء خاص مـن المخ ثم إلى الغدة النخامية التي تفرز هرمونا جنسيا يسير في الدم حتى يصل لخصيتي الذكر أو مبيض الأنثى، فتتكون الحيوانات المنوية لدى الذكر ويستعد المبيض لدى الأنثى لتكوين البيض، ويبـدأ كـل منهمـا البحث عن أليفه، كما يعد فصل الربيع من أكثر الفصول ملائمة لتربية صغار الحيوان ص ٩٧ لطول النهار ودفء الجو ووفرة الغذاء.

انظر مونرو فوكس شخصية الحيوان ص ٩٧ وما بعـدها ترجمـة د. فتحي الغزاوي.

[2] تخضع حركة الطيور وهجرتها للتوقيت الزماني اليومي والسنوي. فالطيور تتخذ الشمس هاديا لحركتها وطيرانها، لاحظ صـياح الـديك وزقزقة العصافير في مواقيت محددة، ومغادرتها لأعشاشها وعودتهـا إليها بعد أن تكون قد تزودت بطعامها، كما نجد الطيور المختلفة فـي هجراتها في فصلي الربيع والخريف تهتدي فـي رحلاتهـا الطويلـة بالتوقيت النجمي ليلا، وبالتوقيت الشمسي نهارا، ونلاحظ شيئا من هذا القبيل لدى النحل والأسماك مثل ثعابين السمك التي تعيش في نهر النيل وتهاجر إلى البحر المتوسط صيفا، انظر المرجع السابق ص ١١ ومـا بعدها.

في حياته نفسها من ميلاد ومعاش وموت، وقد فطن إلـى أن هذه المتغيرات ناتجة عن حركتين؛ حركة كونية تعود إلـى نواميس طبيعية استطاع أن يعلم حقيقتها، وحركـة إنسـانية تعود إلى تصورات وتجارب إنسانية توصل إليها ووضـعها بنفسه، ومن هاتين الحركتين تولدت لدينا صورتان للزمـان، صورة يشترك فيها جميع البشر وهي زمان الحركة الكونية، وصورة يختلف فيها كـل البشـر وهـي زمـان الحركـة الإنسانية[1].

وإذا كنا قد قدمنا الدراسة بهذا المفهوم للزمان، فإننـا سنجده ينتظم في ثلاث ثنائيات؛ تظهر الأولـى فـي ثنائيـة الزمان والحركة؛ لأن الحركة هي التي تحدد للزمان كميتـه، وتظهر الثانية في ثنائية الزمان والمكان؛ لأن المكـان هـو الذي يساهم في تحديد هويته، وتظهر الثالثة في ثنائية الزمان والإنسان؛ لأن الإنسان هو الذي يعطيه دلالته الموضـوعية والذاتية.

---

(1) International Encyclopedia of social Sciences , p. ٣١ vol , ١٦ , N.Y. ١٩٦٨

١ – ١ الزمان والحركة: تعتبر الحركة سـمة مـن سـمات الحياة، بل هي الحياة نفسها، فالحركة هـي الأسـاس الـذي تتزمن به الكائنات والجمادات معا، وقـد أثبتـت التجـارب العلمية أن المادة ملازمة للحركة مهما كانت حالتها؛ لأنه إذا لم تتحرك المادة في حيزها أو مكانها فإنها لن تنتقل، وبالتالي لن يحدث لها التغير، وإذا ذكرنا الحركة هنـا فإننـا نعنـي الحركة المحسوسة لدينا، وإن كنا لا نحسها بشكل مباشر في بعض الأحيان.

إن كل ما في الكون يعيش الزمان بالحركـة، وكمـا يقـول القدماء والمحدثون من الفلكيين، إن الزمان هو مقدار حركـة الفلك، فالزمان -على ذلك- هو مقـدار الحركـة المسـجلة والمعلومة لدينا وليس الحركة نفسها، وهذه الحركة التي يقاس بها الزمان هي حركة الكواكب مثل الأرض والشمس والقمر وحركات الكائنات والإنسان والحيوان والآلات المختلفة التي اخترعها الإنسان، وتتفاوت وفي سرعته وحركتها.

ويقرر لنا الفخر الرازي هذه الحقيقة بقوله: ".. إن الحركـة تقدر الزمان على معنى أنها تدل على قدره بما يوجـد فيـه،

فالزمان بدون الحركة مجهول[1]، كما يذكر أن هنـاك مـن جعل الزمان نفس الحركة واحتج لذلك بأمرين[2]:

أولهما: أن الزمان يشتمل على الماضي والمستقبل، والحركة أيضا كذلك.

ثانيهما: أن من لا يحس بالحركة لا يحس الزمان كما نرى في حق أصحاب الكهف[3]، إننا إذا تأملنا هذه الحركة لا

---

[1] الفخر الرازي المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعـات ٢ / ١٧٧ ط طهران ١٩٦٦.

[2] المصدر نفسه ١ / ٦٥٣.

[3] من المعروف أن النائم لا يشعر بالحركة وبالتالي لا يشعر بالزمان، انظر قوله تعالى: ﴿ فَضربنَا علَى آذَانِهم فِي الْكَهـفِ سِـنِين عددا * ثُم بعثْنَاهم لِنَعلَم أَي الحِزبين أَحصى لِما لَبِثُوا أَمـدا ﴾ الكهـف (١١، ١٢)، أجريت بعض التجارب في الولايات المتحدة الأمريكية تشبه تجربة أهل الكهف فقد قضت فتاة عمرها ٢٧ سنة ١٣١ يوما في كهف صناعي لا تدخله الشمس، وقد لاحظ العلماء تغير إحساسـها بالزمـان فأصبح يومها ٤٨ ساعة بدلا من ٢٤، وأصبحت تنام ٢٢ – ٢٤ ساعة بدلا من ٦ – ٨ ساعات، وضعفت شهيتها للطعام وتغير نظام وجباتها، كما تغير نشاط جسمها نتيجة للارتباك الذي حل بسـاعتها البيولوجيـة وقد صور القرآن الكريم في بعض آياته أن الزمـان قـد يمـر علـى

نجدها مطلقة أو عشوائية، بل نجدها حركة تتميـز بالنظـام والتناسب[1]، حركة تخضع لإيقاع محدد، انظر قوله تعـالى: ﴿لاَ الشمس ينبغِي لَها أَن تُدرِك القَمر ولاَ الليلُ سابِقُ النهـارِ وكُلٌ فِي فَلَكٍ يسبحون﴾ يس (٤٠)، إن حركة كل كوكب من هذه الكواكب تخضع لإيقاع منظم لا يختل؛ لأنه لـو اختـل اضطرب نظام الكون، ونلاحظ أن هذه الحركـة الإيقاعيـة حركة الأرض حول نفسها، وحركة الأرض حول الشـمس، وحركة القمر حول الأرض تولد لنا دورات زمانية منتظمـة

الإنسان ولا يشعر به جيدا في قوله تعالى: ﴿ ويوم يحشُرهم كَـأَن لَـم يلْبثُوا إِلا ساعةً من النهارِ ﴾ يونس(٤٥) وقوله تعالى: ﴿ كَـأَنهم يـوم يرون ما يوعدون لَم يلْبثُوا إِلا ساعةً من نهارٍ ﴾ الأحقاف (٣٥) وقولـه تعالى: ﴿ كَأَنهم يوم يرونَها لَم يلْبثُوا إِلا عشِيةً أَو ضحاها ﴾ النازعـات (٤٦).

[1] انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ١ / ١٤٩، ط حيـدرآباد ١٣٣٢ أبو حيان المقابسات ١٤٣.

ط القاهرة ١٩٢٩. د. عبد الرحمن بدوي الزمان الوجودي ص ٤٨ ط مكتبة النهضة ١٩٦٢.

مثل: دورة الشروق والغروب، ودورة الليل والنهار، ودورة الحر والبرد، ودورات الأيام، والشهور، والفصول، والسنين.

١- ٢ إن هذه الكواكب لا تخضع وحـدها لهـذه الحركـة الإيقاعية، بل إن الإنسان نفسه يخضع لها أيضا، وإن كـان يتميز بنوعين من الحركة[١].

حركة خارجية: تتمثل في مواقيت النوم والاستيقاظ، وتنـاول وجبات الغذاء، ونوع العمل والنشاط الـذي يقوم به الإنسان بصورة منتظمة.

حركة داخليـة: تتمثل في أن كل عضو من أعضاء الجسـم يعمل وفق إيقاع معين يسير عليه دون خلل، كما نرى في دقات القلب، ونبضـات المـخ التي تكرر نفسها في إيقاع زمني يمكن قياسه بأجهزة القياس الطبية، وحركـات الـرئتين التي تتمثل في حركتي الشـهيق والزفيـر، وحركات الأمعاء التي تتمثل فـي حركتـي

---

(١) International Encyclopedia of social sciences p. ٢٨ , vol. ١٦

الانقباض والانبساط، وغير ذلك من الوظائف البيولوجية المتنوعة لكل عضو من أعضاء الجسم[1].

---

[1] أثبتت التجارب العلمية أن الجسم البشري مزود بساعات خفية لها عقارب تقوم بتنسيق الوظائف المتنوعة لكل عضو من أعضاء الجسم التي تصل إلى أكثر من خمسين وظيفة يؤديها جسم الإنسان وفق نظام زمني إيقاعي، ومن هذا القبيل أيضا إفرازات الجسم المختلفة التي تختلف من النهار إلى الليل، فإفراز الغدد يرتفع عند قيامنا في الصباح لمواجهة متطلبات النشاط اليومي، وتزداد عدد كرات الدم في الصباح حتى تصل أقصاها في نهاية النهار، كما تكون نسبة السكر في الدم في أعلى درجة صباحا، وتكون في أدنى درجة لها مساء، وتنخفض درجة حرارة الجسم في المساء وتعود إلى معدلها الطبيعي في الصباح، وتزداد نسبة إفراز هرمون الكورتيزون في الجسم في الصباح، وتنخفض إلى أدناها في منتصف الليل، وهذا يفسر حدوث حالات انسداد الشرايين والجلطات في هذا الوقت؛ لأن عملية تخثر الدم تكون في ذروتها، وتزداد أيضا أزمات الربو ليلا لانكماش القصبات الهوائية؛ ولهذا فإن أفضل أوقات مقاومة حساسية الصدر تكون صباحا، هذا ويهتم علم الكرونوبيولوجي Chronobiololgy أي العلم الذي يعنى بدراسة التقلبات البيولوجية بدراسة الحركات والتغيرات الإيقاعية لأعضاء ووظائف الجسم.

نلاحظ أن هذه الحركة الإيقاعية الداخلية تعمل وفـق نظام دقيق يحول أجسامنا إلى ساعات بيولوجية توجهنا فـي حركتنا الخارجية اليومية، كما أن هـذه الحركـة الإيقاعيـة الداخلية إذا تعرضت لأي نوع من أنـواع الخلـل تـأثرت حركتنا الخارجية به، بل وتعرضت حياتنا للخطر.

وإذا كان نظام الحركة الخارجية يرتبط بنظام الحركة الداخلية الذي يعمل لا إراديا، فإنه يرتبط أيضا بالنظام الـذي حدده الإنسان لنفسه، وإذا تعرض هذا النظام للتغيير أصـيب بالاضطراب، فإذا غير حركتي النوم واليقظة شعر بالإرهاق والتعب، وإذا غير نظام الوجبات الغذائية عانى من ارتبـاك المعدة وسوء الهضم، وقد يلاحظ ضعف إنتاجه وقلة إنجـازه إذا غير مواقيت العمل أو النشاط الذي يزاوله[1].

---

[1] يجب أن نشير هنا إلى نظرية الإيقاع الحيوي التي قال بها الطبيـب الألماني فيلهم فيلبس وتتلخص هذه النظرية في أن الإنسان عندما يولـد تبدأ معه إيقاعاته الحياتية على المستوى الجسمي والعـاطفي والعقلـي حيث نجد لكل إيقاع دورته الزمنية؛ فالدورة الجسدية مداها ٢٣ يومـا، والعاطفية ٢٨ يوما، والعقلية ٣٣ يوما، ووفقا لهـذه النظريـة يكـون الإنسان في قمة قدرته الجسدية يوما كل ٢٣ يوما، وفي أحسن حالاتـه

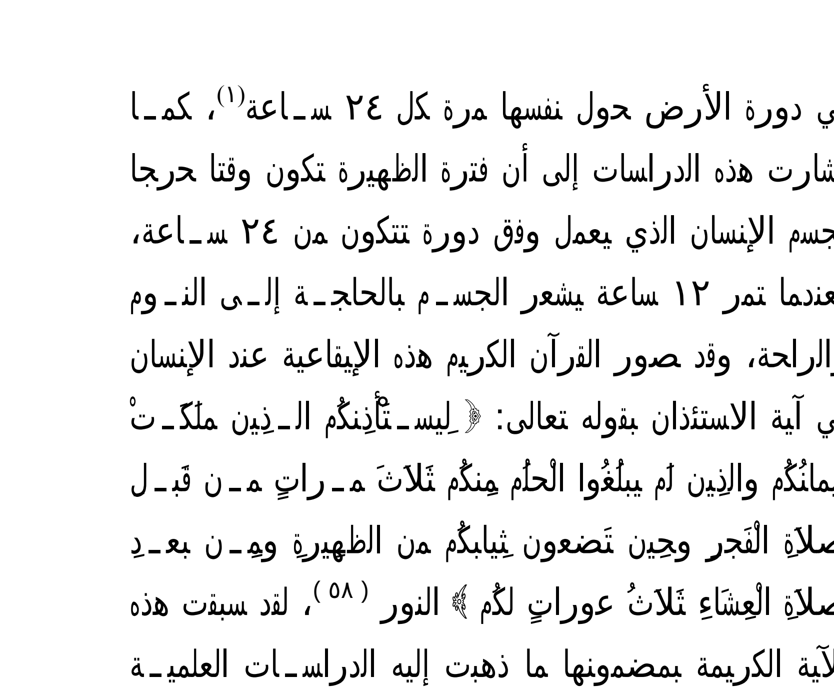
تذهب الدراسات العلمية الحديثة إلى بيان أهمية دورة النوم واليقظة التي تتـزامن مـع الـدورة الطبيعيـة لليـل والنهار[1]؛ لأن الكائن الحي يخضع فـي إيقاعـه الحركـي لحركة الأرض والشمس والقمر[2]، وأن هذه الحركات تؤثر

العاطفية يوما كل ٢٨ يوما، وفي أعلى إيقاعه العقلي يومـا كـل ٣٣ يوما، أي أن هذه الإيقاعات ترتفع في يوم ما وتنخفض في يوم آخر.

وقد اهتم اليابانيون بهذه النظرية وطبقتها بعض الشركات والمؤسسـات الخاصة مثل شركة تلغراف يوكاهاما التي اهتمت ببيان الإيقاع الحياتي لسائقي التاكسي وسائقي الدراجات البخارية الـذين يقومـون بتوزيـع التلغراف بوضع شريط أحمر على ذراع السائق يعني أنـه فـي قـاع المنحنى الحيوي، أو شريط أصفر يعني أنـه فـي مرحلـة الهبـوط العضوي، وقد استفادت سويسرا من خبرة اليابان فـي هـذا المجـال واستطاعت أن تخفض الحوادث بنسبة ٤٠%.

[1] لاحظ على سبيل المثال ما يحدث لأي فرد إذا اضطر إلـى السـفر بالطائرة لمسافة طويلة أو غير أوقات العمل المعتادة مما يـؤثر علـى مواعيد خلوده للنوم والراحة.

[2] لاحظ على سبيل المثال تزامن الدورة الطمثية لدى الأنثى مع دورة القمر الشهرية وتزامن تزاوج وتوالد الحيوانات مـع فصـل الربيـع، وتذهب بعض الدراسات إلى أن ثمة علاقـة بـين حـالتي الانقبـاض



في دورة الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة[1]، كما أشارت هذه الدراسات إلى أن فترة الظهيرة تكون وقتا حرجا لجسم الإنسان الذي يعمل وفق دورة تتكون من ٢٤ ساعة، فعندما تمر ١٢ ساعة يشعر الجسم بالحاجة إلى النوم والراحة، وقد صور القرآن الكريم هذه الإيقاعية عند الإنسان في آية الاستئذان بقوله تعالى: ﴿لِيستأذِنكُم الذِين ملَكَتْ أَيمانُكُم والذِين لَم يبلُغُوا الْحلُم مِنكُم ثَلاَثَ مراتٍ من قَبل صلاَةِ الْفَجرِ وحِين تَضعون ثِيابكُم من الظهيرةِ ومِن بعدِ صلاَةِ الْعِشَاءِ ثَلاَثُ عوراتٍ لكُم﴾ النور (٥٨)، لقد سبقت هذه الآية الكريمة بمضمونها ما ذهبت إليه الدراسات العلمية

والانبساط لدى الإنسان، ودورتي الشمس والقمر، كما أن مشاعر الحزن والفرح تتعاقب عليه كما تتعاقب دورتا الشتاء والصيف.

[1] تدور الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، وينتج عن ذلك أن تدور حول الشمس مرة كل ٣٦٥ يوما، وينتج عن ذلك الفصول الأربعة، يوحي دوران الأرض أن الشمس هي التي تدور حول الأرض وفي الوقت الذي تتحرك فيه الأرض حول الشمس تحمل معها ابنها القمر الذي يضيء بها ويدور حول الأرض ويكمل دورته في حوالي ٢٧ ١/٣ ، ويلازم الأرض في نفس الوقت في دورتها السنوية حول الشمس، كما يدور حول نفسه مثل الأرض أيضا.

الحديثة في الحركة الإيقاعية الثلاثية للإنسـان: الاسـتيقاظ صباحا، والراحة ظهرا، والنوم ليلا، وقد عبرت الآية عـن هذه الحركة الثلاثية بتعبير ثلاث عورات.

كما أثبتت الدراسات النفسية والطبية أن ساعات النوم ليلا هي التي يستفيد منها الجسم وأن ساعة نوم واحـدة فـي الليل تعادل أكثر من ساعة خلال النهار، وأن مـن يضـطر للنوم متأخرا أو إلى تغيير موعد نومه يتعرض لحالات مـن الإرهاق الجسمي والذهني [1]، ونرى القرآن الكريم يؤكد هذه

---

[1] تذكر بعض الدراسات أننا نجد نمطين من النـاس همـا: نمـط أو شخص ليلي يسمى بالخفاش؛ لأنه ينشط في الليل ويجده مناسبا للعمل، ونمط أو شخص نهاري يسمى بالقبرة؛ لأنه يجد الساعات الأولى مـن النهار أنشط الأوقات وأفضلها للعمل وتعال هذه الدراسات ذلك بلحظـة الميلاد لكل منها ، فمن جاء إلى الحياة في منتصف الليل يظـل هـذا الوقت له أنشط الأوقات!! ولكن لم تذكر هذه الدراسات شيئا عمن ولـد في منتصف النهار؟!!

يذكر ثعلب أنهم يقولون للرجل الذي يتصرف في النهار دون الليل نهر و سابح، وإذا كان يتصرف بالليل دون النهار يقال له ليلـي ولابـس، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وجعلْنَا الليلَ لِباسا * وجعلْنَـا النهـار

الحقيقة في أكثر من آية كقوله ﴿ وجعلْنَـا نَـومكُم سـباتًا * وجعلْنَا الليلَ لِباسا * وجعلْنَا النهار معاشًـا ﴾ النبـأ [٩، ١٠]، كما يجب أن نشير هنا إلى دورة الصلاة في حيـاة المسـلم فهي إلى جانب كونها ركنا من أركان التشـريع الإسـلامي الخمسة تعد عاملا مؤثرا في ضبط الحركة الإيقاعيـة ليـوم المسلم الذي يمكن أن يقسم إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: الوقت من الصبا إلـى الظهـر وقـدره ٧ ساعات تخصص للعمل والإنتاج في مقابـل فترة الراحة والنوم الطويلة التـي قطعتهـا صلاة الصبح.

القسم الثاني: الوقت من الظهر إلى العصـر وقـدره ٣ ساعات تخصص للغذاء والراحة بعد فتـرة عمل استغرقت ٧ ساعات.

معاشًا ﴾ النبأ [١٠ ، ١١]، وقوله تعالى : ﴿ إِن لَكَ فِـي النهـار سـبحا طَوِيلًا﴾ المزمل [٧] انظر المرزوقي الأزمنة والأمكنة (١ / ٢٦١).

القسم الثالث: الوقت من العصر إلى المغرب وقدره ٤ ساعات تخصص للرياضة البدنية أو الذهنية.

القسم الرابع: الوقت من المغرب إلى العشاء وقدره ساعتان تخصصان للعشاء والمسامرة.

القسم الخامس: الوقت من العشاء إلى الصبح وقدره ٨ ساعات للنوم والراحة.

وهذه الأقسام الخمسة تشمل ساعات اليوم الأربع والعشرين، وإذا حافظ المسلم على أداء الصلوات الخمس في مواقيتها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ النساء (١٠٣)، فإنه يمكن أن يضبط حركته اليومية في إيقاع خماسي يشمل النوم، والعمل، والأكل، والراحة، والمتعة[١].

---

[١] نجد آيات تشير إلى مواقيت الصلاة كقوله تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ البقرة (٢٣٨) تشير الآية إلى صلاة العصر لتوسطها صلاتي النهار الصبح والظهر، وصلاتي الليل المغرب والعشاء، كقوله تعالي : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ

١ – ٣ وإذا كان الزمان هو نتـاج الحركـة التـي تخضع للإيقاع المنظم على المستوى الكوكبي والإنساني، فإن هذه الحركة الموادة للزمان هي التي تحدد الزمان كما عرفنا وتعطيه أبعاده من ناحية، كما أن هذه الحركة تخضعه لعامل الأداء والكيفية التي تتم به من ناحية أخرى، إننـا لا نعـيش فقط مقدار الزمان بقدر ما نعيش كيفيـة هـذه الحركـة، إن الزمان إذا كان له صفة الكمية، فإن له إذا كـان لـه صـفة الكمية فإن له أيضا صفة الكيفية بحركة الكواكـب وحركـة الإنسان، وحركة الحيوان وحركة وسـائل المواصـلات، إن هذه الحركة هي العامل الأساسي الذي يطول أو يقصر بـه الزمان، إن طول وقت النهار أو وقت الليل أو قصرهما إنما يعود إلى كيفية حركة الأرض حول الشمس[1]، كما نجـد أن

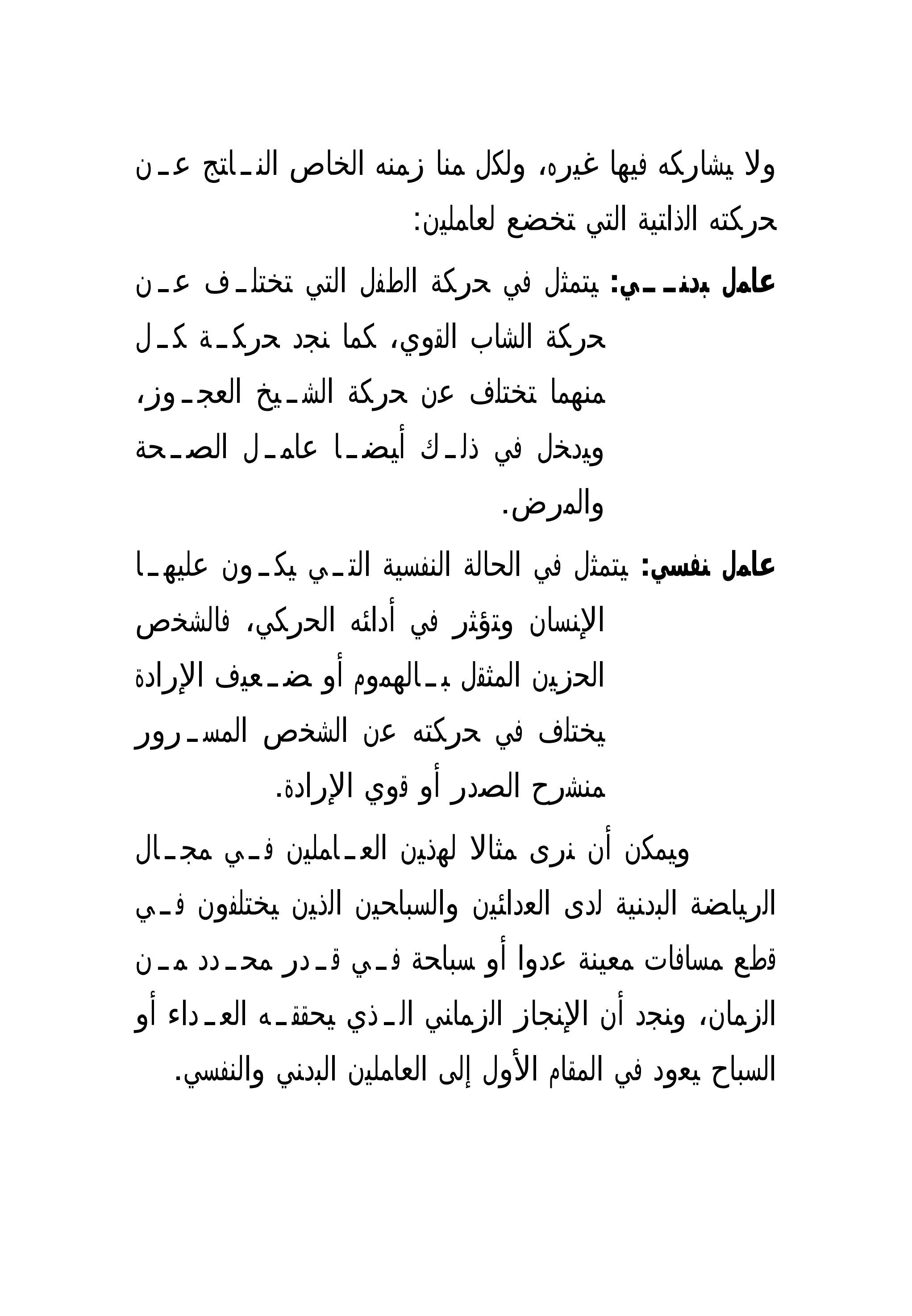
الليل ﴾ هود (١١٤) وتشير الآية أيضا إلى صلاتي النهار والليل كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصلاةَ طَرفَي النهارِ وزلَفًا من الليل ﴾ هود (١١٤).

[1] نلاحظ على سبيل المثال طول النهار في وقت الصيف؛ لأن الأرض في حركتها حول الشمس يكون طرفها الشمالي متجهـا بزاويـة نحـو الشمس؛ ولهذا نجد النهار في هذا الجزء من الأرض الذي يكون مـائلا نحو الشمس أطول من الليل، ويكون الليل في الجزء الآخر من الأرض

السنة القمرية الناتجة عن حركة القمر حول الأرض أقصـر من السنة الشمسية الناتجة عن حركة الأرض حول الشـمس بأحد عشر يوما[1]. كما نرى أن هذه الحركة المولدة للزمان تختلف أيضا لدى الإنسان نفسه؛ لأن لكل منا حركة يؤديها،

أطول من النهار، كما نلاحظ قصر النهار في وقت الشتاء، انظر هامش ٣ ص ٧٣ من الدراسة.

[1] من المعروف أن عدد أيام السنة الشمسية هي ٣٦٥ يومـا وعدد أيام السنة القمرية ٣٥٤ يوما، والفرق بينهما ١١ يوما ، ونلاحظ أن هذا العدد يتضاعف إلى ٢٢ يوما في عامين و ٣٣ يومـا بعـد ٣ سنوات وهكذا، وإذا افترضنا أن أول يوم في العام الهجري سيكون أول يناير من السنة الشمسية، فإن اليوم الأول من العام الهجري في السـنة التالية سيكون في ٢ ديسمبر، وبعد ثلاثة أعوام سيقع في نهاية نوفمبر، وبعد ٣٣ عاما سيعود ب٠داية العام الهجري إلى أول يناير مرة أخرى وهذا يعني أن كل ٢٣ عاما قمريا يساوي ٣٢ عاما شمسيا ويسـمونها سنة الازدلاف، أي: التقريب تجنبا لاستعمال اسم النسيء لقوله تعالى: ﴿إنما النسِيء زيادةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ التوبة (٣١١) ، وقد فسر البعض قولـه تعالى : ﴿ ولَبِثُوا فِي كهفِهـم ثَـلاَثَ مِائَـةٍ سِـنِين وازدادوا تِسـعا ﴾ الكهف(٢٥) أنه إذا حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة هي تفاوت زيادة الشمسية على القمرية ، انظر القلقشندي ٢ / ٣٩٨ ، المرزوقـي ١ / ٩٦ .



ولا يشاركه فيها غيره، ولكل منا زمنه الخاص الناتج عن حركته الذاتية التي تخضع لعاملين:

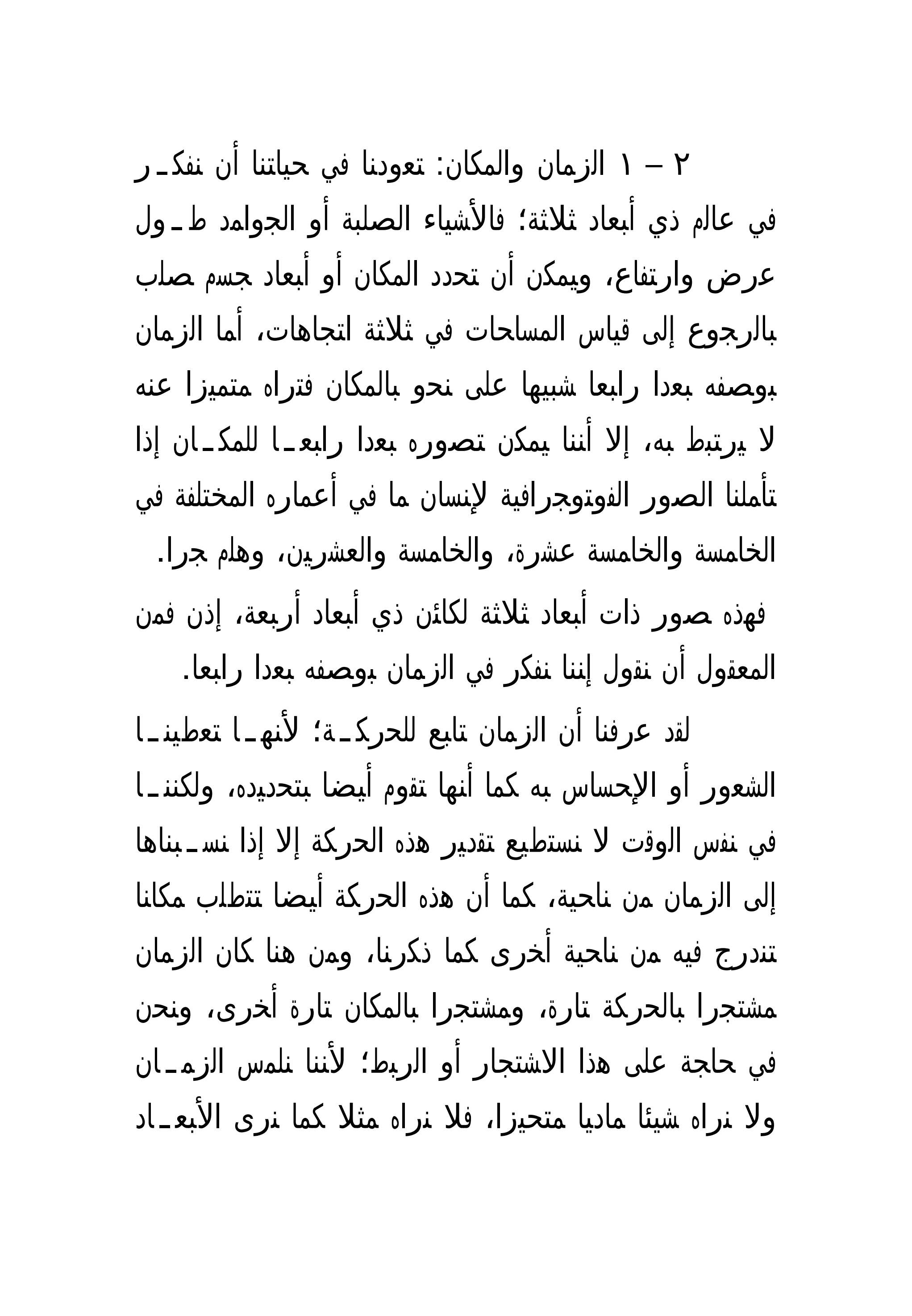
عامل بدني: يتمثل في حركة الطفل التي تختلف عن حركة الشاب القوي، كما نجد حركة كل منهما تختلف عن حركة الشيخ العجوز، ويدخل في ذلك أيضا عامل الصحة والمرض.

عامل نفسي: يتمثل في الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان وتؤثر في أدائه الحركي، فالشخص الحزين المثقل بالهموم أو ضعيف الإرادة يختلف في حركته عن الشخص المسرور منشرح الصدر أو قوي الإرادة.

ويمكن أن نرى مثالا لهذين العاملين في مجال الرياضة البدنية لدى العدائين والسباحين الذين يختلفون في قطع مسافات معينة عدوا أو سباحة في قدر محدد من الزمان، ونجد أن الإنجاز الزماني الذي يحققه العداء أو السباح يعود في المقام الأول إلى العاملين البدني والنفسي.

تختلف أيضا الحيوانات التـي يسـتعملها الإنسـان ووسائل المواصلات التي اخترعها في كيفية الأداء الحركي، فحركة الخيل تختلف عن حركة الإبل، وتختلف حركة كـل منهما عن حركة البغال أو الحمير، كما تختلف كذلك حركـة الدراجة البخارية عن حركة السيارة، وتختلف هاتـان عـن حركة الطائرة. إن المسافر في العصور الوسطى كان يقطـع المسافة بين مصر والشام على ظهور الخيل والإبل والحمير في أسابيع قد يصل عددها إلى شـهر أو يزيـد، أمـا الآن فتستطيع أن تقطع نفس المسافة بالسيارة في أيـام بـل فـي ساعات بالطائرة.

إن الإنسان قد استخدم هذه الوسائل للانتقال عنـدما أدرك دور الحركة في اختزال الزمان، وإذا كان الإنسان كما ذكرنا لا يعيش قدرا من الزمان بقدر ما يعيش كيفيـة مـن الحركة، فإن هذه الحركة التي تقتضي زمانا قـد يطـول أو يقصر طبقا لكيفية الحركة التي تقتضي أيضا مكانـا تنـدرج عليه؛ لأن هذه الحركة كما تعرفها العلـوم العلميـة " تغيـر المكان في الزمان" ولعل هذه الحقيقة تنقلنا إلى الثنائية الثانية وهي ثنائية الزمان والمكان.



٢ – ١ الزمان والمكان: تعودنا في حياتنا أن نفكـر في عالم ذي أبعاد ثلاثة؛ فالأشياء الصلبة أو الجوامد طـول عرض وارتفاع، ويمكن أن تحدد المكان أو أبعاد جسم صلب بالرجوع إلى قياس المساحات في ثلاثة اتجاهات، أما الزمان بوصفه بعدا رابعا شبيها على نحو بالمكان فتراه متميزا عنه لا يرتبط به، إلا أننا يمكن تصوره بعدا رابعـا للمكـان إذا تأملنا الصور الفوتوجرافية لإنسان ما في أعماره المختلفة في الخامسة والخامسة عشرة، والخامسة والعشرين، وهلم جرا.

فهذه صور ذات أبعاد ثلاثة لكائن ذي أبعاد أربعة، إذن فمن المعقول أن نقول إننا نفكر في الزمان بوصفه بعدا رابعا.

لقد عرفنا أن الزمان تابع للحركـة؛ لأنهـا تعطينـا الشعور أو الإحساس به كما أنها تقوم أيضا بتحديده، ولكننـا في نفس الوقت لا نستطيع تقدير هذه الحركة إلا إذا نسـبناها إلى الزمان من ناحية، كما أن هذه الحركة أيضا تتطلب مكانا تندرج فيه من ناحية أخرى كما ذكرنا، ومن هنا كان الزمان مشتجرا بالحركة تارة، ومشتجرا بالمكان تارة أخرى، ونحن في حاجة على هذا الاشتجار أو الربط؛ لأننا نلمس الزمـان ولا نراه شيئا ماديا متحيزا، فلا نراه مثلا كما نرى الأبعـاد

الأخرى مثل الطول أو العرض أو الارتفاع؛ ولهـذا كانـت ضرورة ربط الزمان بالحركة والمكان معا؛ لأنهما يدفعانـه للظهور في آنات متغيرة، ويكون منفعلا بهما.

إننا إذا أردنا تتبع الزمان فيجب أن نترجمه بالمكان؛ لأن أوقات اليوم والشهر والسنة ما هي إلا متغيرات زمانيـة عن أوضاع مكانية تصور حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، كما أننا إذا أردنا أن نتصور الأحداث التي تميز بها الإنسان يمكن أن نتصورها وكأنها تقع على خط مستقيم لـه سياق زمني، وإذا أردنا أن نتصور أن المكان مجموعة مـن النقط الموجودة على هذا الخط المستقيم، فإننـا سـنجد هـذا المكان هو الذي يحدث فيه الشيء المتزمن، والزمـان هـو الذي يحدث فيه الشيء المتمكن.

لقد كان هذا التصور للمكان وعلاقته بالزمان ما فطن إليه عالم الرياضيات الروسـي منكوفسـكي Minkowski الذي كان أول من صرح بوضوح العلاقة الحميمة بينهما في عام ١٩٠٨، وأن المسافات المكانية تتأثر بتقلص الطول كما تتأثر الفترات الزمانية بتمدد الزمان، تلقـف أينشـتين هـذا التصور وصاغ من خلال نظرية النسبية Relativity التـي

تجسد فكرة أننا لا يمكن النظر إلى المكان والزمان على أنهما كيانان منفصلان، وعلينا أن نعامل أبعاد المكان الثلاثة وبعد الزمان بوصفه بنية رباعية الأبعاد.

لقد جعلت نظرية النسبية [١] الزمان بعدا رابعا غيـر منفصل عن أبعاد المكان الثلاثة: الطول والعرض والارتفاع، ويؤلف معها متصلا ربـاعي الأبعـاد يعـرف بالمتصـل الزمكاني Space - time [٢] وطبقا لهـذه النظريـة صـار

---

[١] ظهرت نظريتان علميتان في القرن العشرين غيرتا مفاهيمنـا عـن الثوابت الكونية وساهمتا في إعادة الصياغة لكثير من أساسيات العلـم وهما نظرية الكم Quantum لبلانك ١٩٢٦ ونظرية النسبية لأينشتين ١٩٥٥ انظر د. محمود فهمي زيدان، من نظريات العلم المعاصـر، ط النهضة بيروت ١٩٨٢.

[٢] انظر برتراند راسل ألف باء النسبية ٣٥ ت فؤاد كامل، الألف كتاب ١٩٦٥ انظر أيضا مارشال ماكلوهان كيف نفهم وسـائل المواصـلات ص ١٢٨ ت خليل صابات وآخرون، ط دار النهضة المصرية ١٩٧٥.

الزمان نسبيا، أي يتغير تبعا للمكان الذي يقاس فيه بعدما كان مطلقا[1].

وترى هذه النظرية أن الكون يتكون مـن حـوادث Events موجودة في هذا المتصل الرباعي، وتعنـي كلمـة حادثة هنا أي شيء يسبق شيئا آخر ويتبعه أو يتداخل معـه، كما أن إدراك حقيقة أي جسم عبارة عن سلسلة مترابطة من الحوادث مثل شريط الفيلم السينمائي الذي نشاهده، أي أن أي منظر نراه في هذا الفيلم إنما نراه كشيء واحد لـه ديمومـة معينة وهو في الحقيقة حوادث متتابعة تبدو كشـيء واحـد ثابت، فوحدة أي جسم في هذا الكون تشبه وحدة هذا المنظر الذي يستغرق زمنا لمشاهدته، أي أن أي جسم مادي مألوف

---

[1] لقد غيرت نظرية النسبية من تصور الإنسان للكون، فالحقيقة التـي يتوصل إليها البحث العلمي حقيقة نسبية لا مطلقة، وجزئيـة لا كاملـة حتى وإن بدت مؤكدة فحواس الإنسان لا يكون حكمهـا وحـدها هـو الصواب دائما؛ فالشيء نراه صغيرا إذا بعد عنا، ويكبر كلمـا اقتربنـا منه مع أنه هو لم يتغير، والأرض التي نعيش عليها نعتقد أنها ساكنة لا تتحرك، مع أننا نعلم علم اليقين الآن أنها تدور حول الشـمس، وأننـا متحركون معها.

لدينا لا نراه شيئا ثابتا ساكنا، وإنما هو في الحقيقة مركب من مجموعة حوادث مترابطة حسب علاقات معينة.

إننا لا يمكن أن نتصور الزمان إذا لم تتحول المـادة من حيز إلى حيز، أي لم تنتقل أو تتحرك، ولما كان التغيـر بالزمان ناتجا عن الحركة، فقد حوى في طياته أيضا المكان؛ كقولك: سار مسافة يومين أي قطع حيزا مكانيا في هذا القدر من الزمان، وإذا لم تتحرك المادة في حيزها أو مكانها، فإنها لن تنتقل ولن يحدث التغير، وبالتالي لا يحدث الزمان الـذي يكون مجهولا دون الحركة.

٢- ٢ وإذا كانت نظريات العلم الحديث قد أدركـت ثنائية الزمان والمكان [١]، فإن الجماعة العربية الأولى كانت على وعي وفهم بفطرتها البسيطة لملابسة الزمـان بالمكـان

---

[١] عرف القدماء الفلاسفة هذه الثنائية، يقول أرسطو في طبيعياته عـن الزمان: هو عدد الحركة. ويضيف إلى ذلك قوله: " أن يكون الشيء في الزمان يعني أن يكون مقيسا " وذلك لأن الأشياء توجد مطوقة بالعـدد كما هي مطوقة بمكانها .

انظر كوستنتين نويكا " الزمن بين الواقع والفكر" مجلة ديوجين ص ٥٩ عدد ١٥ سنة ١٩٧١.

وارتباط كل منهما بالآخر، ويظهر هذا فيما تنقله لنا بعض المصادر في جواب أعرابية سألها أحدهم خاطبا: أين منزلك؟ فقالت[1]:

أما على كسلان وانٍ فساعة وأما على ذي حاجة فيسير

نلاحظ أن لفظ الساعة قد جاء في جواب الأعرابية تعبيرا عن البعدين المكاني والزماني فبيتها بعيد قريب، بعيد على الكسلان الواني، قريب لصاحب الحاجة النشط، الأول يصل إليها بمشقة ساعة قد تطول، والثاني يصل إليها بيسر وربما في أقل من ساعة.

نرى هذا الوعي على لسان الجماعة العربية الأولى أيضا عندما قالت على سبيل المجاز: اتسع النهار، أي: امتد

---

[1] نجد البيت في رواية أخرى كما يلي:

بعيد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب

انظر المصون لأبي أحمد الحسن العسكري ص ١٧٥ تحقيق عبد السلام. هارون ط – الكويت.

وطال، وفي قول أحدهم: "ليس عندي متسع مـن الوقـت"، فالسعة هنا -عكس الضيق- حيز مكاني، كما نجد هذه الدلالة المكانية في قولهم: دخلت الصلاة أي: حان وقتها، وخرجـت الصلاة أي: ذهب وقتها.

وقد أدرك العلماء المسلمون هذه الثنائية أيضا؛ فهـذا أبو علي المرزوقي ت ٥٤٣. ويقول: إن الذوات لا تحصـل إلا في مكان وزمان[١]" كما ينص أبو حيـان التوحيـدي ت ٤١٤ " على أن المكان رديف للزمان" [٢]، ويقول أبو حيـان الأندلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لِمن ما فِي السماواتِ والأرضِ قُل ـ ﴾ الأنعام (١٢)، وقوله تعالي: ﴿ ولَـه مـا سكن فِي الليل والنهارِ وهو السمِيع الْعلِيم ﴾ الأنعـام (١٣) " لما ذكر تعالى أنه له ملك ما حوى المكـان مـن السـموات والأرض، ذكر ما حواه الزمان من الليل والنهار، وإن كـان كل واحد من الزمان والمكان يستلزم الآخر، لكن النص عليهما أبلغ في الملكية وقدم المكان لأنه أقرب إلى العقول والأفكار من

---

(١) المرزوقي الأزمنة والأمكنة ١/ ٧ ط حيدر آباد ١٣٣٢.

(٢) أبو حيان، المقابسات ١١٧ تحقيـق حسـن السـندوبي، الهوامـل والشوامل ص ٣٠ تحقيق أحمد أمين.

الزمان [1] ونجد هذا التصور للزمان والمكان في هـذه الآيـة الكريمة: ﴿ هو الأولُ والآخِر والظاهِر والْباطِن وهو بِكُـل شَيءٍ عِلِيمٌ ﴾ الحديد [3]، فـالأول والآخـر صـفة للزمـان، والظاهر والباطن صفة للمكان، فا –سبحانه- وسع المكـان ظاهرا وباطنا، ووسع الزمان أولا وآخرا.

وكما فطن هؤلاء العلماء المسلمون إلى ثنائية الزمـان والمكان فطن قبلهم النحاة واللغويون المسلمون إلى هذه الحقيقة أيضا عندما درسوا ظرفي الزمان والمكان على صعيد واحـد في قسم المفعولات؛ لأن لهما وظيفة واحدة هي وعائية الحدث، ويعكس هذا الإدراك التصور الناضج للعلاقة بينهم، فالمكـان هو الحيز الذي يحل فيه الحدث أو يتصور أن يحل فيه، وبذلك ربطوا بين المكان والمتمكن فيه فقالوا: من لعب ملعب وسـبح مسبح، وطعم مطعم أي: الأماكن التي يحـدث فيهـا اللعـب والسباحة والطعام، والزمان هو الوعاء الذي يحل فيه الحـدث

---

[1] أبو حيان البحر المحيط ٤ / ٨٣ .

أو يتصور أن يحل فيه، فربطوا بين الزمان والمتزمن فيه مـن الأفعال والأحداث[1].

يقول سيبويه: ".. اعلم أن الظروف من الأماكن مثـل الظروف من الليالي والأيام في الاختصار وسعة الكلام، فمـن ذلك أن يقول: كم سير عليه من الأرض؟ فتقول: فرسـخان أو ميلان أو بريدان، كما قلت: " يومان وإن شئت نصبت وجعلت كم ظرفا كما فعلت ذلك في اليومين فلا يكون ظرفـا وغيـر ظرف إلا على كم؛ لأنه عدد، كما كان ذلك في اليومين ونظير متى من الأماكن أين، ولا يكون "أين" إلا للأماكن، كما لا تكون "متى" إلا للأيام والليالي.. فأجرى "كم" في الأماكن مجراها في الأيام والليالي" [2]. كما يقوم سيبويه فـي موضـع آخـر: "..

---

[1] نجد المصري يدرك بالفطرة دمج الزمـان بالمكـان فـي التعبيـر المشهور " يخرب بيت سنينك" فالتعبير يجعل المكان يحتـوي الزمـان بيت + سنين، وإذا ترجمنا هذا التعبير بلغة العلم وقانون الطاقة الـذي يساوي كتلة في مربع+ سرعة الضوء، وهو القانون الذي صنع القنبلة الذرية التي هدمت هيروشيما وناجازاكي نجد هذا التعبير الذي ابتدعـه المصري بفطرته يترجم قانون الطاقة.

[2] الكتاب ١ / ٢١٩ تحقيق عبد السلام هارون.

يتعدى (الفعل) إلى ما كان وقتا في الأمكنة، كما يتعدى إلى ما كان وقتا في الأزمة؛ لأن وقتا يقع في المكان ولا يختص به مكان واحد، كما أن ذاك وقت في الأزمان لا يختص به زمن بعينه، فلما صار بمنزلة الوقت في الزمن كان مثله؛ لأنك قد تفعل بالأماكن ما تفعل بالأزمنة، وإن كانت الأزمنة أقوى من ذلك، وكذلك ينبغي أن يكون إذا صار فيما هو أبعد، نحو: ذهبت الشام، وهو قولك: ذهبت فرسخين، وسرت الميلين، كما تقول: ذهبت شهرين، وسرت اليومين، وإنما جعل في الزمان أقوى؛ لأن الفعل بني لما مضى منه وما لم يمض، ففيه بيان متى وقع، كما أن فيه بيان أنه وقع الحدث، والأماكن لم يبن لها فعل، والأماكن إلى الأناسي ونحوهم أقرب، ألا ترى أنهم يخصونها بأسماء نحو مكة وعمان[١] [٢].

---

[١] انظر الكتاب ١ / ٣٦.

[٢] يقول السيرافي شارحا كلام سيبويه " .. يريد أن الفعل يتعدى إلى ما كان مقدرا مسافته، فمن الأمكنة نحو الفرسخ والميل، وذلك أن الفرسخ والميل وما أشبهه يصلح وقوعه على كل مكان بتلك المسافة المعلومة المقدرة، وسماه وقتا لأن العرب قد تستعمل التوقيت في معنى

٢- ٣ لقد كانت حقيقة الارتباط بين الزمان والمكـان ماثلة في أذهان النحاة واللغويين – كما سبق أن أشرنا– وهـم يتعاملون مع مثل هذه الألفاظ.

الوقت: رأينا في النص السابق أن سيبويه قد اسـتعمل اللفظ بدلالة مقدار من الزمان يتم فيه حدث ما، وبدلالة المكان أيضا لأنه مقدار مثله.

الميقات: استعملت الجماعة العربية هذا اللفظ بدلالـة المكان والزمان المضروب، يقول ابن الأثير: قد تكرر ذكـر التوقيت والميقات وهو أن تجعل للشيء وقتا يختص به، وهو بيان مقدار المدة، يقال: وقت الشيء يوقته، إذا بين حده ثـم اتسع فأطلق على المكان" [١] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن الأولِين والآخِرين * لَمجموعون إِلَى مِيقَاتِ يـومٍ معلُـومٍ ﴾ الواقعة (٤٩، ٥٠)، أي في زمان ومكان معينين، وقوله تعالى: ﴿ولَما جاء موسى لِمِيقَاتِنَا وكَلمه ربه ﴾ الأعراف(١٤٣) وثمة فرق بين الوقت والميقات يكمن في أن الميقات ما قدر ليعمل

التقدير وإن لم يكن زمنا، ألا ترى أن النبي ﷺ وقت الحـج لكـل بلـد فجعلها أماكن ١ / ٣٧ هامش الكتاب.

(١) ابن الأثير النهاية ١ / ٢١٢ تحقيق محمود الطناحي.

فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشيء قدره مقدر؛ ولهذا قيل: مواقيت الحج للمواضع التي قدرت للإحرام[1].

المرصد: يستعمل اللفظ أيضا بدلالة المكان والزمان، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمشْرِكِين حيثُ وجدتموهم وخُذُوهم واحصروهم واقْعدوا لَهم كُل مرصدٍ ﴾ التوبـة (٥). يشرح أبو حيان اللفظ بقوله: " المرصد مفعـل مـن رصـد يرصد رقب، يكون مصدرا أو زمانا ومكانا " تقول: أرصدته إذا قعدت له علي طريقه ترقبه، والترصد والإرصاد الترقب والترقيب، ولا يكون الترقب والانتظار إلا في زمان ومكـان محددين[2] [3].

المشهد: جاء اللفظ في قوله: ﴿ فَويلٌ للذِين كَفَـروا مِن مشْهدِ يومٍ عظِيمٍ ﴾ مريم (٣٧)، يشرح أبو حيان اللفظ من

---

[1] انظر كتاب الفروق لأبي هلال العسكري ص ٢٢٤ ومفهوم الوقـت ص ١٢٣ ، ١٢٤ من الدراسة.

[2] أبو حيان المحيط ٥ / ٣ اللسان رصد.

[3] لاحظ الاسم الذي تحمله مصلحة الأرصاد الجوية التي تهتم بمراقبة الظواهر الجوية من حرارة وبرودة وسحاب ومطر التي تحـدث فـي مكان وزمان معينين.

خلال تفسيره لهذه الآية قائلا: ".. مشهد مفعل مـن الشـهود وهو الحضور، أو من الشهادة ويكون مصدرا ومكانا وزمانا، فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، وأن يكون من مكان الشـهود فيـه وهو الموقف، وأن يكون من وقت الشهود، ومـن الشـهادة يجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم ألسنتهم وأرجلهم بالكفر وأن يكون من مكـان الشـهادة وأن يكون من وقت الشهادة، واليوم العظيم على هذه الاحتمـالات يوم القيامة"[1].

المطلع: تستعمل العربية اللفظ بكسر الـلام لمكـان الطلوع ومن قوله تعالى: ﴿ حتى إِذَا بلَـغَ مطْلِـع الشـمسِ وجدها تَطْلُع على قَومٍ ﴾ الكهـف (٩٠) أي: مكـان طلـوع الشمس، كما يستعمل اللفظ بفتح اللام لوقت الطلـوع ومنـه قوله تعالى: ﴿ سلاَمٌ هِي حتى مطْلَعِ الْفَجرِ ﴾ القدر (٥)، أي: وقت طلوع الشمس[2]، ونجد الفقهاء يتحدثون عن اخـتلاف

---

[1] البحر المحيط ٦ / ١٩٠ .

[2] اللسان طلع.

المطالع، كأن يكون الوقت صباحا في بلاد يوافقه المساء في بلاد أخرى، والمطالع تعني هنا ارتباط الأوقات بالأماكن.

الوراء: تستعمل اللفظ بدلالة ظرف المكـان عكـس قدام وبدلالة ظرف الزمان أيضا، يقول أبو حيان في تفسـير قوله تعالى: ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخُذُ كُل سفينَةٍ غَصـبا ﴾ الكهف (٧٩) هذه الآية معناها أن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك.. قال الفراء: "لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك وهو وراءك، إنما يجـوز ذلـك فـي المواقيت من الليالي والأيام والدهر، تقول: وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد، جاز الوجهان.. قالك إنما جاز هذا في اللغة؛ لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك "[1]، كما يذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ وإني خِفْتُ الْموالِي مِن ورائِي وكانَتِ امرأَتِي عاقِرا ﴾ مـريم (٥) مـن ورائي أي: من بعدي أو بعد موتي.

الدوام: يدل اللفظ على الاستمرار في الزمان والبقاء في المكان، ومن ذلك قول تعالى: ﴿ قَالُوا يا موسى إِنـا لَـن

---

[1] البحر المحيط ٦ / ١٥٤

ندخُلَها أَبدا ما داموا فِيها ﴾ المائدة (٢٤)، وجاء في لسان العرب: دوم الرجل بتشديد الواو بمعنى: أبعد وأمعن في السير، وأصله دام يدوم، والديمومة الفلاة، سميت بذلك لدوام السير فيها لبعدها، كان امتداد زمان الحركة يتطلب بعدا مكانيا، كما قالوا أيضا: الديمة للمطر الذي يسقط في مكان ما يوما وليلة، وقيل: المطر الذي يستمر خمسة أو ستة أيام[1].

الخلود: الدوام والبقاء في الزمان والمكان لمدة طويلة، وقيل البقاء السرمدي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ولَكِنه أَخْلَد إِلى الأَرضِ واتبع هواه ﴾ الأعراف (١٧٦)، وقد سميت الحجارة والصخور والجبال بالخوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال[2].

الأبد: يعرف المعجم اللفظ بأنه الزمان السرمدي والدوام في المكان أيضا، تقول أبد بالمكان يأبد أبودا أقام به ولم يبرحه، وأبدا ظرف زمان لاستغراق النفي أو الإثبات في

---

(١) اللسان دوم.

(٢) اللسان خلد.

المستقبل واستمراره تقول: سأظل في هذا البلد أبـدا أي: لا أبرحه ما دمت حيا[1].

الحضور: يعني اللفظ الحضور في الزمان الحاضـر عكس الماضي " والحضور أيضـا الوجـود فـي المكـان والحاضر عكس الغائب، ومن هذا قولهم: حضرت الصـلاة أي: جاء وقتها[2].

المضي: يستعمل اللفظ بدلالتي الزمـان والمكـان، تقول: الشيء يمضي مضيا ومضاء[3]، انتقل مـن الوقـت الحاضر إلى الوقت السالف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَهلَكْنَا أَشَدَ مِنْهم بطْشًا ومضى مثَلُ الأوِلين ﴾ الزخرف (٨)، كمـا تقول: مضى الرجل يمضي بمعنى غادر المكان، ومن ذلـك قوله تعالى: ﴿لاَ أَبرح حتى أَبلُغَ مجمع الْبحرين أَو أَمضِـي حقُبا ﴾ الكهف(٦٠).

---

[1] اللسان أبد. انظر ص ٩٣ ، ١٢١ ، ٢٠٤ من الدراسة.

[2] اللسان حضر.

[3] اللسان مضو.

وهكذا كانت الجماعة العربيـة تمـارس وجودهـا بألفاظها التـي تواضـعت واصـطلحت عليهـا بالكينونـة والصيرورة في الزمان، والزمان يعمل على إيجاد التعاقـب في المكان، ولهذا التعاقب كيف وكم، أي أن الجماعة العربية الأولى جعلت الزمان كما في ذاته وكيفا للمكان، والمكان كما في ذاته وكيفا للزمان، أي أن كلا منهما أصبح كما وكيفا في آن، ومن هنا كان هذا المفهوم كامنا في مثل هذه الألفاظ التي عرضنا لها، وقد اهتدت إليهـا الجماعـة العربيـة الأولـى بفطرتها الذكية الواعية، ولم تحمل ألفاظها فقط مفهوم ملابسة الزمان للمكان، وإنما حملته أيضا تصوراتهم الذهنيـة التـي سجلها القرآن الكريم الذي نزل بلسانهم وخطابهم بما تعارفوا عليه، انظر إلى قوله تعالى في تصوير الحركـة الزمكانيـة للقمر: ﴿ هو الذِي جعلَ الشمس ضِياء والْقَمر نُورا وقَـدره منَازِلَ لِتَعلَموا عدد السِنين والْحِساب ﴾ يونس [(٥)]، لقد كانت الجماعة العربية الأولى تعرف أن للشمس والقمـر منـازل ينتقلان خلالها في مسيرتهما، وأن هذا الانتقال يتم في المكان أي: في هذه المنازل، وفي الزمان أي فـي دورات زمانيـة تمثلها الأيام والشهور والفصول، كما نجـد هـذه الحركـة

الزمكانية للرياح في قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ سبأ (١٢)، يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية: "سخر ا الريح لسليمان تجري بأمره فكانت تقطع الغدو إلى قرب الزوال مسيرة شهر، وفي الرواح من بعد الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، فكان يسير كل يوم مسيرة شهرين.. "، [1] ويقترب مفهوم هاتين الآيتين من الحديث المشهور: "نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"[2]، المسيرة مصدر بمعنى السير كالمعيشة بمعنى العيش، ومسيرة شهر أي: المسافة التي يسير فيها مدتها هذا القدر، يقول ابن الأثير في معنى الحديث: " أي: إذا

---

[1] انظر البحر المحيط ٧ / ٢٦.

[2] ورد الحديث في البخاري في أبواب التيمم والصلاة والجهاد بروايات مختلفة.

انظر البخاري (١ / ٩١) ط الشعب وصحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ١٥٤ ط الشعب.

من هذا القبيل ما ورد في صحيح مسلم: " إن قعر جهنم لسبعون خريفا" باب الإيمان ٣٢٩

كان بينه وبين أعدائه مسيرة شهر خافوه وفزعوا منـه.."[1]، يقول ابن حجر: "جعل الغاية شهرا؛ لأنه لم يكن بـين بلـده وبين أحد من أعدائه أكثر منه"[2]، كما يقول العيني: " النكتة في جعل الغاية شهرا؛ لأنه لم يكن بين المدينة وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر"[3].

٣ – ١ الزمان والإنسان: عرفنا في الثنائية الأولـى للزمان أن الحركة هي التي تحدد للزمان كميته، وعرفنا في الثنائية الثانية أن المكان هو الذي يساهم في تحديـد هويتـه، وسنعرف في هذه الثنائية الثالثة أن الزمان هو المقياس الذي ابتدعه الإنسان في تصور كمي هندسي ينظم، ونلاحظ أن من خصائص هذا الزمان الكمي أو الموضوعي أنه مـن نتـاج ظواهر الطبيعة، أي أنه ليس نابعا من خبرات ذاتية للإنسان،

---

[1] انظر (النهاية في غريب الحديث) ٢/ ٢٣٣، ٢/ ٤٣٤.

[2] فتح الباري ١ / ٤٥٤.

[3] عمدة القاري ٤ / ٩ .

ومن ثم فإن قياس الوقت وتحديده يتم وفقا لدورتين: كونيـة Cosmic cycle وإنسانية Human cycle [1].

إن الإنسان يدرك الزمان من خلال هـذا التصـور الكمي الموضوعي، وكما تحدده السـاعات والتقـاويم التـي اخترعها ولكنه يجد نفسه – وهو ينظم حياته وفق هذا الزمان الموضوعي– ضحية مفارقة ظاهرة يشعر بها ويحسها، أنـه يجد نفسه بين شقي رحى، زمان موضوعي مـن معطيـات القياس والحساب والآلات، وزمـان ذاتـي مـن معطيـات المشاعر والأحاسيس والحالات النفسية وقد يبدو من خـلال هذه المفارقة أن كلا من الزمانين منفصل عن الآخر، مع أن الزمانين من صنع الإنسان، ولكن مع التسليم بحقيقة المفارقة فإننا يجب أن ننظر إليها من خلال ثنائية تحكـم الإنسـان، ونعني بذلك ثنائية العقل والقلب، الجسـد والـنفس، والقـوة والضعف، الأمل واليأس، الصواب والخطأ.

---

[1] انظر International Encyclopedia of social sciences p. ٣٠, vol, ١٦

وإذا كان العقل الإنساني هو المسئول عـن اختـراع الزمان الموضوعي الذي يشترك فيه جميع البشر، فإن النفس الإنسانية هي المسئولة عن الزمان الذاتي الذي يختلف لـدى جميع البشر، إن هذه المفارقة التي يعيشها الإنسان مع الزمان تقوده في كثير من الأحيان إلى عدم الاعتراف بالوقت الناتج عن حركة الأرض وهي تدور حـول محورهـا أو حـول الشمس، إنه لا يشعر بهذا الزمان الكمـي لأسـباب بدنيـة صحية، أو نفسية شعورية، ولكن يشعر بهذا الزمان الكيفـي، ولعل هذا التصور للزمان جعل بعض الذين اهتموا بظـاهرة الزمان مثل الفيلسوف الألماني هيدجر Heigher يقول: "إذا كان الزمان أحد المقولات الأساسية للوجود، فإننا نعني بهـذا الزمان الذي يختبره الفرد ذاته لا كما يسجله العالم الطبيعي، وبما أن حياة الإنسان تعاش في ظل الزمان، فـإن الزمـان جزء من خبرتنا الذاتية، وليس فقط جزءا مـن الطبيعـة"[1]، ويؤكد ذلك باحث آخر قائلا: ".. إن الزمان بعد فعـال فـي شخصية الإنسان ووجوده، ولا يمكن حصره بمفهـوم ثابـت

---

[1] هانز مايرهوف (الزمن في الأدب) ٣٤ – ٣٥ ترجمـة د. أسـعد مرزوق القاهرة ١٩٧٢.

لأنه دائب الحركة والتغير" [1]، ويقول باحث ثالـث: " إننـا نعرف زمانين؛ زمانا ظاهرا نعرفه من خلال الليل والنهار، ونقيسه بخطوط الطول والعرض، ونعبر عنه بفترات زمنيـة محددة مثل الساعات والدقائق، وزمانا باطنيا لا نعـرف لـه وجودا حقيقيا ولكن كل ما نعرفه هو آثاره التي تدل عليـه، فكل منا يحمل بين ثنايا ضلوعه وخلاياه وأنسجته مؤشـرات مثيرة تبدو لنا كأنها ساعات مضبوطة"[2].

وإذا كانت هناك ساعات خارج الإنسان تدلـه علـى الزمان، فإن في داخله أيضا ساعات من نوع آخر تحدثه عن إحساسه بالزمان، إن دقات قلب الإنسان التي تعني اسـتمرار حياته قد تشبه دقات الساعة التـي تعلـن ديمومـة الوقـت وتحديده، وقد ترجم شوقي هذه الحقيقة في بيت جرى مجرى الأمثال قائلا:

دقات قلب المـرء قائلـة لـه		إن الحيـاة دقـائق وثـواني

---

[1] د . فخري الدباغ أصول الطب النفسي ٣٩ الموصل ١٩٧٧ .

[2] د. عبد المحسن صالح الزمن البيولوجي ص ٩ مجلة عـالم الفكـر عدد٢ المجلد ٨، ١٩٧٧.

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها		فالذكر للإنسان عمـر ثـاني

كما أن حركتي الشهيق والزفير يترجمهـا القـول المأثور: إن الإنسان أنفاس معدودة في أماكن محدودة".

إن الإنسان يخبر الزمان من خلال عامين[1].

١- التتابع أو التسلسل Sequence الذي يلاحظه مـن خلال التغيرات المحسوسة فيما حوله.

٢- الديمومة أو الاستغراق Duration التي تقتضـيها هذه التغيرات.

إن التغير هو الذي يجعل الإنسان يشـعر بالزمـان، والزمان على ذلك حالة من الحالات التي تمر بـالموجودات والكائنات، أو هو التغير الذي يطرأ عليها، كما أن الإنسان لا يعي الزمان الموضوعي بالتغيير الخارجي فقط مـن خـلال تتابع أوقات يومه من سحر وفجر، وضحى وظهر وعصـر ومغرب وأصيل وعشاء، لكنه يعي -بنفس القـدر- الزمـان

---

[1] انظر International Encyclopedia, p. ٢٥, vol . ١٦

الذاتي أيضا من خلال تتابع أطوار عمره جسما وعقـلا[1]، انظر قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ الحج (٥)، إن مضمون هذه الآية يصور لنا مدى الارتباط الوثيق بين حياة الإنسـان والزمـان، إنـه يتخلق ويتكون عبر الزمان، كما تنص على ذلك آية أخرى: ﴿ حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك ﴾ الأحقاف (١٥).

---

[1] نجد على سبيل المثال بعض الآحاد المتميزين يسجل أو يستدعي ما مر به خلال زمان حياته ويسجلها فيما يعرف باسم السيرة الذاتية autobiography أو يسجل ما يمر به من أحداث في مفكرة يومية private diary التي تتحول إلى مذكرات memoris فيما بعد. انظر ص ٥٢ فقرة ٣ – ٣ .

إن الإنسان لا يشعر بالزمان فقط مـن خـلال مـا يلاحظه من تغيرات تلحق ما حوله من جمـادات وكائنـات، ولكنه يشعر بالزمان أيضا من خلال ما يشعر به من تغيرات على المستويين؛ الجسمي في طفولته وشـبابه وشـيخوخته، والذهني في ماضيه وحاضره ومستقبله[1]، وهو فـي كلتـا الحالتين يعبر عن هذه التغيرات بألفاظ ورموز تختلف مـن ثقافة إلى أخرى[2]، انظر على سـبيل المثـال قـول حـاتم الطائي[3]:

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد — كذاك الزمـان بيننـا يتـردد

يـرد علينـا ليلـة بعـد يومهـا — فلا نحن نبقى ولا الدهر ينفـد

ويقول آخر:

أشاب الصغير وأفنى الكبيـر — مـر الغـداة وكـر العشـي

---

(1) النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤٧٩ .

(2) انظر International Encyclopedia, p. ٢٦ , vol. ١٦

(3) ديوان حاتم ص ٢٦٢ تحقيق د. عادل سليمان، ط المدني، القـاهرة ١٩٧٥ .

وإذا كان الإنسان -كما يقـول ميرهـوف Meyer hoff- قد تخلّق وتكون في رحـم الزمـان؛ لأنـه حسـب الاصطلاح الأرسطي الشرط الدائم لتحويل الصيرورة إلـى كينونة، والقوة إلى الفعل، والنقص إلى الكمال[1]، فإننا سنجد هذا الزمان الباني هادما لما بناه مرة أخرى؛ لأن ما يولد في رحم الزمان يبتلعه ثانية، ولا شيء يستطيع الصـمود أمـام منجـل الـزمن" [2]، إن مـع الإنسـان يتصـف بالذاتيـة والموضوعية، كما يتصف بأنه بانٍ من ناحية وهـادم مـن ناحية أخرى، من خلاله تنمو حياته وترتقي، ومـن خلالـه أيضا تنحدر حياته وتتدهور؛ ولهذا فإن الإنسان كثيـرا مـا يفزع من الزمان بوصفه مرادفا للموت والبِلى، وقـد تـرجم هذا الشعور حاتم الطائي قائلا[3]:

وما هي إلا ليلـة ثـم يومهـا ... وحول إلى حول وشهر إلى شهر

---

[1] ميرهوف الزمن في الأدب ص ٧٦ .

[2] المصدر نفسه ٨١.

[3] ديوان حاتم ص ٢٧٠ .

مطايا يقربن الصحيح إلى البِلى ويدنين أشلاء الهمام إلى القبـر

كما عبر عنه شاعر آخر بقوله[1]:

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنـى ويسلب ما أعطى ويفسد ما أسدى

وقد رد الله –سبحانه- ظن هؤلاء بقولـه تعـالى: ﴿ وقَالُوا ما هِي إِلا حياتُنَا الدنْيا نَموتُ ونَحيا ومـا يهلِكُنَـا إِلا الدهر وما لَهم بِذَلِك مِن عِلْمٍ إِن هـم إِلا يظُنـون ﴾ الجاثيـة (٢٤)[٢].

---

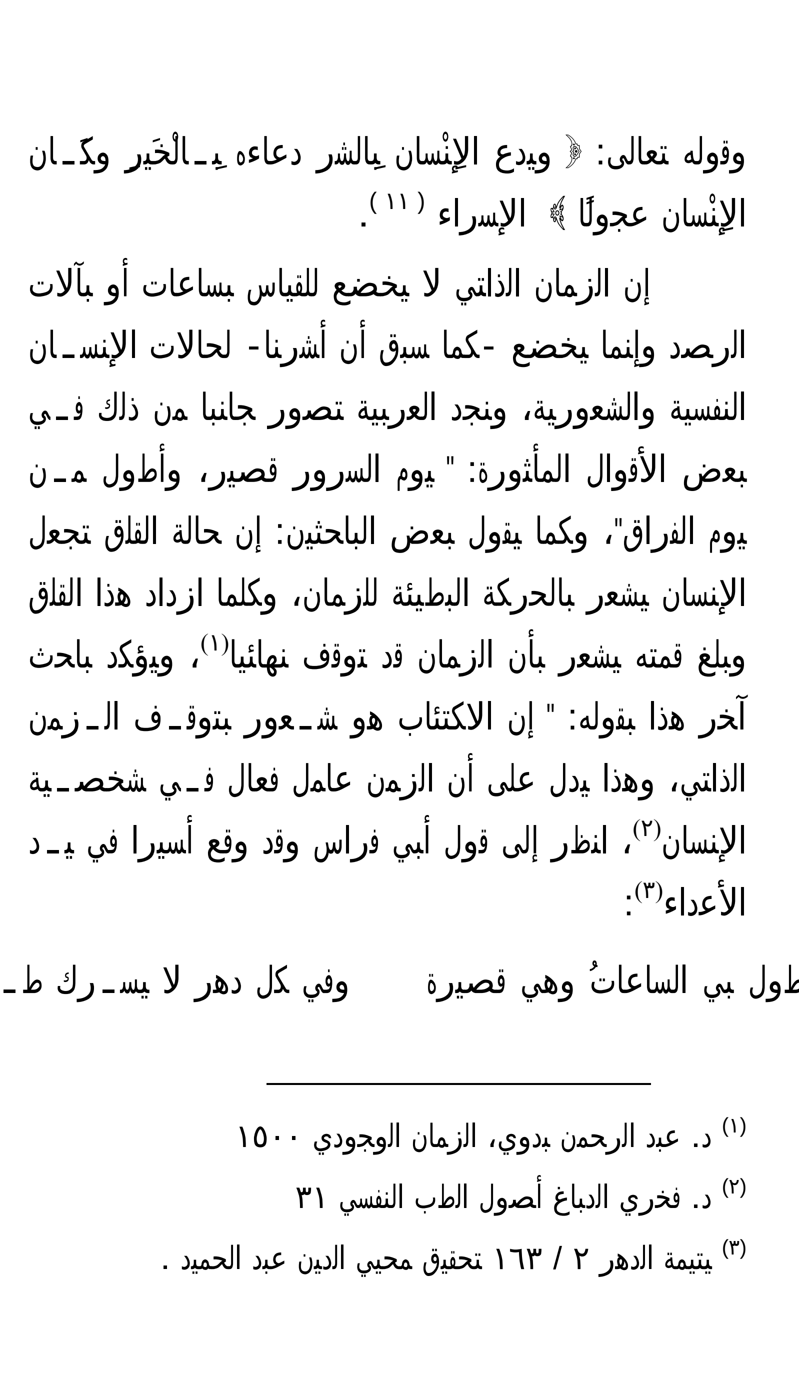
[1] ابن أبي حديد (شرح نهج البلاغة) ٣٤٣١٣ تحقيـق أبـي الفضـل إبراهيم ١٩٧٢ .

[2] نصت الأديان السماوية على نفي ما يظنه الـبعض مـن أن حيـاة الإنسان تنتهي بالموت، وأقرت بأنه سيعيش زمانا آخر. انظـر قولـه تعالى ﴿ وهو الَّذِي أَحياكُم ثُم يمِيتُكُم ثُم يحيِيكُم إِن الإِنْسـان لَكَفُـورٌ ﴾ الحج (٦٦) ، وقوله تعالى ﴿ وعد الله الْمؤْمِنِين والْمؤْمِنَاتِ جناتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهار خَالِدِين فِيها ﴾ التوبة (٧٢) .

٣ - ٢ وإذا كان الزمان الذاتي للإنسان كما رأينا زمانا بانيا هادما، فهو أيضا زمان كيفي نسبي؛ لأنه لا يتغير بحركات الكواكب: الأرض والشمس والقمر فقط، ولكنه يتغير بحالات الإنسان النفسية[1]، فرب ساعة من زمان تمر بشخص كأنها دقائق، وتمر بشخص آخر كأنها ساعات وفي الحقيقة إن الزمان لم يقصر عند هذا، ولم يطل عند ذاك إلا باختلاف الحالة النفسية التي أسرعت بحركة الزمان بدوافع شعورية مثل السعادة والاطمئنان والأمل، والحالة النفسية التي أبطأت بحركة الزمان بدوافع شعورية مثل الحزن والقلق واليأس، انظر على سبيل المثال إلى ذوبان قطعة السكر في كوب الشاي الذي يستغرق مثلا قدر دقيقة من الزمان تعبر عن ديمومة المادة في مقابل ديمومة النفس لدى شارب كوب الشاي المطمئن المتأني، ولدى شارب كوب الشاي القلق المتسرع الذي يتعجل ذوبان قطعة السكر، وتكاد نفسه تتمرد على منطق العد والكم الزماني، وعلى ما يبدو إن هذه فطرة الإنسان أنه يطلب دائما الشيء ويتحراه قبل وقته، انظر قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ الإِنْسان مِن عجلٍ ﴾ الأنبياء (٣٧)

---

[1] انظر ص (٤٦ ، ٤٧) من الدراسة.



وقوله تعالى: ﴿ ويدع الإِنْسان بِالشر دعاءه بِـالْخَيرِ وكَـان الإِنْسان عجولًا ﴾ الإسراء (١١).

إن الزمان الذاتي لا يخضع للقياس بساعات أو بآلات الرصد وإنما يخضع -كما سبق أن أشرنا- لحالات الإنسـان النفسية والشعورية، ونجد العربية تصور جانبا من ذلك فـي بعض الأقوال المأثورة: " يوم السرور قصير، وأطول مـن يوم الفراق"، وكما يقول بعض الباحثين: إن حالة القلق تجعل الإنسان يشعر بالحركة البطيئة للزمان، وكلما ازداد هذا القلق وبلغ قمته يشعر بأن الزمان قد توقف نهائيا[1]، ويؤكد باحث آخر هذا بقوله: " إن الاكتئاب هو شـعور بتوقـف الـزمن الذاتي، وهذا يدل على أن الزمن عامل فعال فـي شخصـية الإنسان[2]، انظر إلى قول أبي فراس وقد وقع أسيرا في يـد الأعداء[3]:

تطول بي الساعاتُ وهي قصيرة وفي كل دهر لا يسـرك طـول

---

[1] د. عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي ١٥٠٠

[2] د. فخري الدباغ أصول الطب النفسي ٣١

[3] يتيمة الدهر ٢ / ١٦٣ تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

وقول النابغة شاكيا همومه لابنته[1]:

كليني لهم يـا أميمـةُ ناصـب ... وليل أقاسيه بطـيء الكواكـب

تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجوم بآيـب

ويمكن أن نرى هذه الحقيقة واضحة جلية إذا تصفحنا دواوين بعض الشعراء الذين خاضوا تجربة الحب، وعاشـوا زمان العشق الذي كان يطول ويقصر مع المحبوبـة، فهـذا عمر بن أبي ربيعة يقول[2]:

الشهر مثـل اليـوم إن رضـيت ... واليوم إن غضـبت بـه شـهر

كما يقول:

يطــول اليــوم فيــه لا أراكــم ... ويومي عنـد رؤيـتكم قصـير

---

(1) الأغاني ١١ / ٣٨٠٢ تحقيق إبراهيم الإبياري ط الشعب.

(2) ديوان عمر ص ١٥٧ / ١٥٨ تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

وهذا عباس بن الأحنف يقول[1]:

اليوم مثـل العـام حتـى أرى   وجهــك والســاعة كالشــهر

وهذا ثالث يقول[2]:

أخو الهوى يستطيل الليل من أرق   والليل في طوله جارٍ على قـدر

ليل الهوى سنةٌ في الهجر مدتـه   لكنه سِنةٌ في الوصل من قصـر

لقد تحدث هؤلاء المحبون الذي عاشوا زمان العشق ليلا فهو قصير في الوصل والقرب، طويل في الهجر والبعد، يقـول الوليد بن زيد[3]:

---

(1) ديوان ابن الأحنف ١٢١ تحقيق عاتكة الخزرجي .

(2) اليوسي زهر الأكم ٢ / ١٧٧٩ تحقيق د. محمد حجي.

لاحظ لفظ السنة في الشطر الأول بفتح السين وفـي الشـطر الثـاني بكسرها .

(3) المصدر نفسه ٢ / ١٨٢

فالليل أطول شيء حين أفقـدها والليل أقصر شيء حين ألقاهـا

ويقول عمر بن أبي ربيعة[١]:

فيا لك من ليـل تقاصـر طولـه وما كان ليلي قبل ذلـك يقصـر

يقول حبيب بن عيسى الكاتب[٢]:

إذا خلونــا ليلــة مشــهورة طاب الحديث وعفت الأسـرار

فكأنهـا كانـت علينـا سـاعة وكذا ليـالي العاشـقين قصـار

يقول صاحب زهر الأكم [١] ".. اعلم أن للشعراء في الليل مقصدين لباعثين متباينين: فتارة يستطيلونه ويستبطئون

---

[١] ديوان عمر ١٦٦

[٢] ابن أبي عون، التشبهات ٢٩٦ تحقيق د. عبد المعين خان، كمبردج ١٩٥٤

الإصباح، وذلك لأجل الاختناق وتباريح الأشواق والفـراق، وتارة يستقصرونه ويودون أن لو دام، وذلك عند اجتناء ثمر الوصال، والاشتغال بلذات الإقبال فمن الأول قـول امـرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله　　　علي بـأنواع الهمـوم ليبتلـي

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي　　　بصبح وما الإصباح منك بأمثـل

ومن الثاني قول الوليد بن زيد:

فالليل أطول شيء حين أفقـدها　　　والليل أقصر شيء حين ألقاهـا

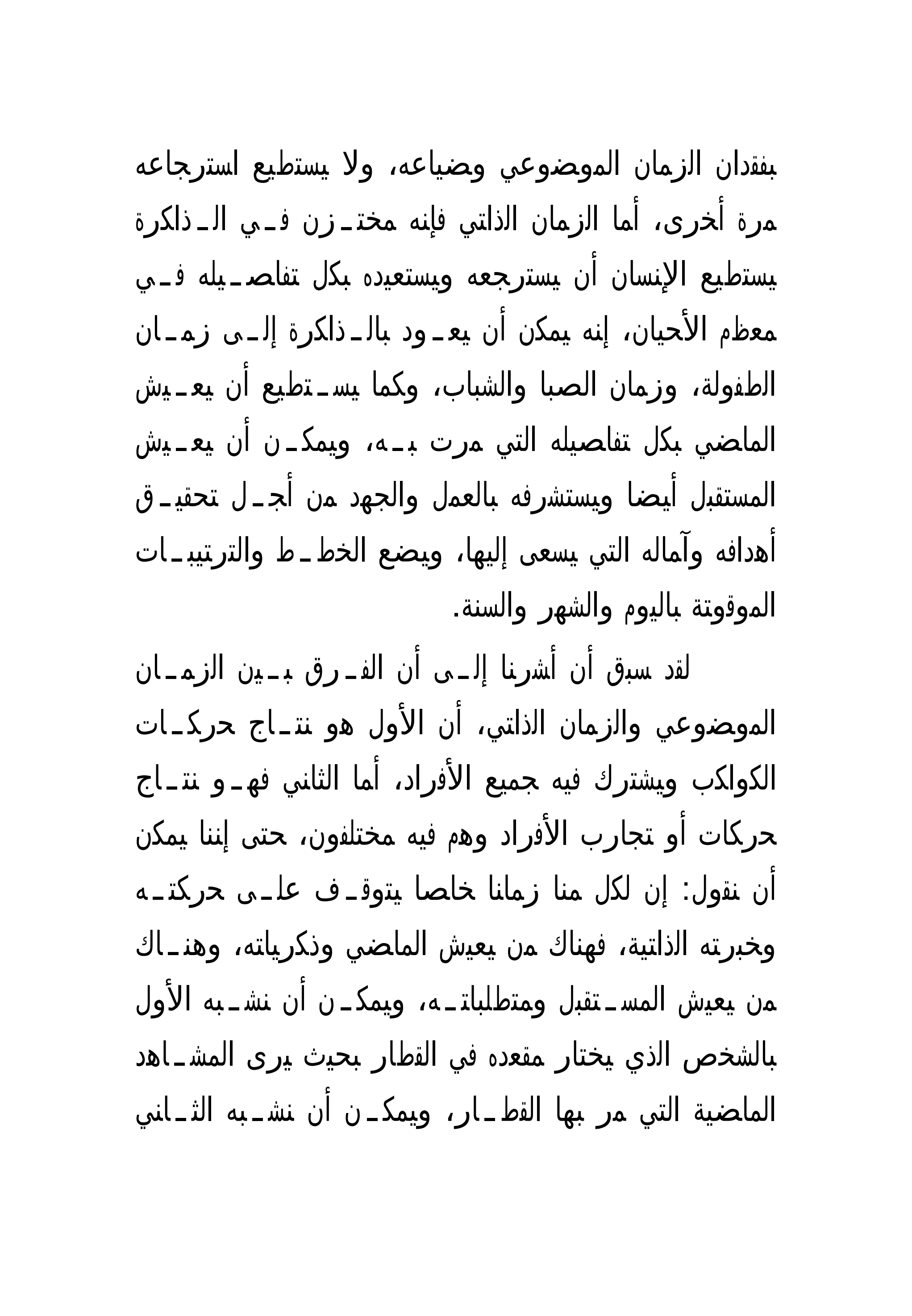
٣ – ٣ لقد وصفنا الزمان الذاتي بأنه زمـان بـانٍ هادم، وزمان كيفي ونسبي، ويمكن أن نصفه أيضا بأنه زمان مسترجع ومستشرف معا[٢]، إن الأسنان غالبـا مـا يشـعر

---

[١] الحسن اليوسي زهر الأكم ٢ / ١٧٤ .

[٢] انظر كونستنتين نويكا الزمن بين الواقع والفكر ص ٦٢ .

مجلة ديوجين مطبوعات اليونسكو عدد ١٥ سنة ١٩٧١ انظر هـامش ٢ ص ٤٨ .



بفقدان الزمان الموضوعي وضياعه، ولا يستطيع استرجاعه مرة أخرى، أما الزمان الذاتي فإنه مختزن في الذاكرة يستطيع الإنسان أن يسترجعه ويستعيده بكل تفاصيله في معظم الأحيان، إنه يمكن أن يعود بالذاكرة إلى زمان الطفولة، وزمان الصبا والشباب، وكما يستطيع أن يعيش الماضي بكل تفاصيله التي مرت به، ويمكن أن يعيش المستقبل أيضا ويستشرفه بالعمل والجهد من أجل تحقيق أهدافه وآماله التي يسعى إليها، ويضع الخطط والترتيبات الموقوتة باليوم والشهر والسنة.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن الفرق بين الزمان الموضوعي والزمان الذاتي، أن الأول هو نتاج حركات الكواكب ويشترك فيه جميع الأفراد، أما الثاني فهو نتاج حركات أو تجارب الأفراد وهم فيه مختلفون، حتى إننا يمكن أن نقول: إن لكل منا زمانا خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية، فهناك من يعيش الماضي وذكرياته، وهناك من يعيش المستقبل ومتطلباته، ويمكن أن نشبه الأول بالشخص الذي يختار مقعده في القطار بحيث يرى المشاهد الماضية التي مر بها القطار، ويمكن أن نشبه الثاني

بالشخص الذي يختار مقعده في القطار بحيث يرى المشـاهد الآتية التي سيمر بها القطار، فالشخص الأول متفرج ساكن، والشخص الثاني مترقب متحرك، وهكذا حياة الأفـراد بـل الجمادات أيضا، فمنهم من يركن إلى الماضـي كـل يـوم مفتخرا أو متأسفا، أو كما يقول ابن الرومي[1]:

شعار الفتى ذم الزمـان الـذي أتـى ومن شأنه حمد الزمـان الـذي مضـى

ولم لا وفي الآتي أخو العيش يجتوي وفي الزمن الماضي أخو العيش يرتضى

ومنهم من يتطلع إلى المستقبل يدبر له ويخطط مـن أجل عيش أفضل، يسير مع الزمان وقد يسابقه، كمـا يقـول الشاعر[2]:

اخطُ مع الدهر إذا مـا خطـا واجرِ مع الـدهر كمـا يجـري

---

(1) الديوان ٤ / ١٣٨٣ وانظر الأكم ٣ / ١٠٤

(2) اعتادت بعض المجتمعات الحديثة والقديمة حفظ ماضيها والإبقـاء عليه بإنشاء المتاحف وإقامة النصب التذكارية لتخليد ما مر بهـا مـن أحداث، وتخليد موتاها بعمل التماثيل.

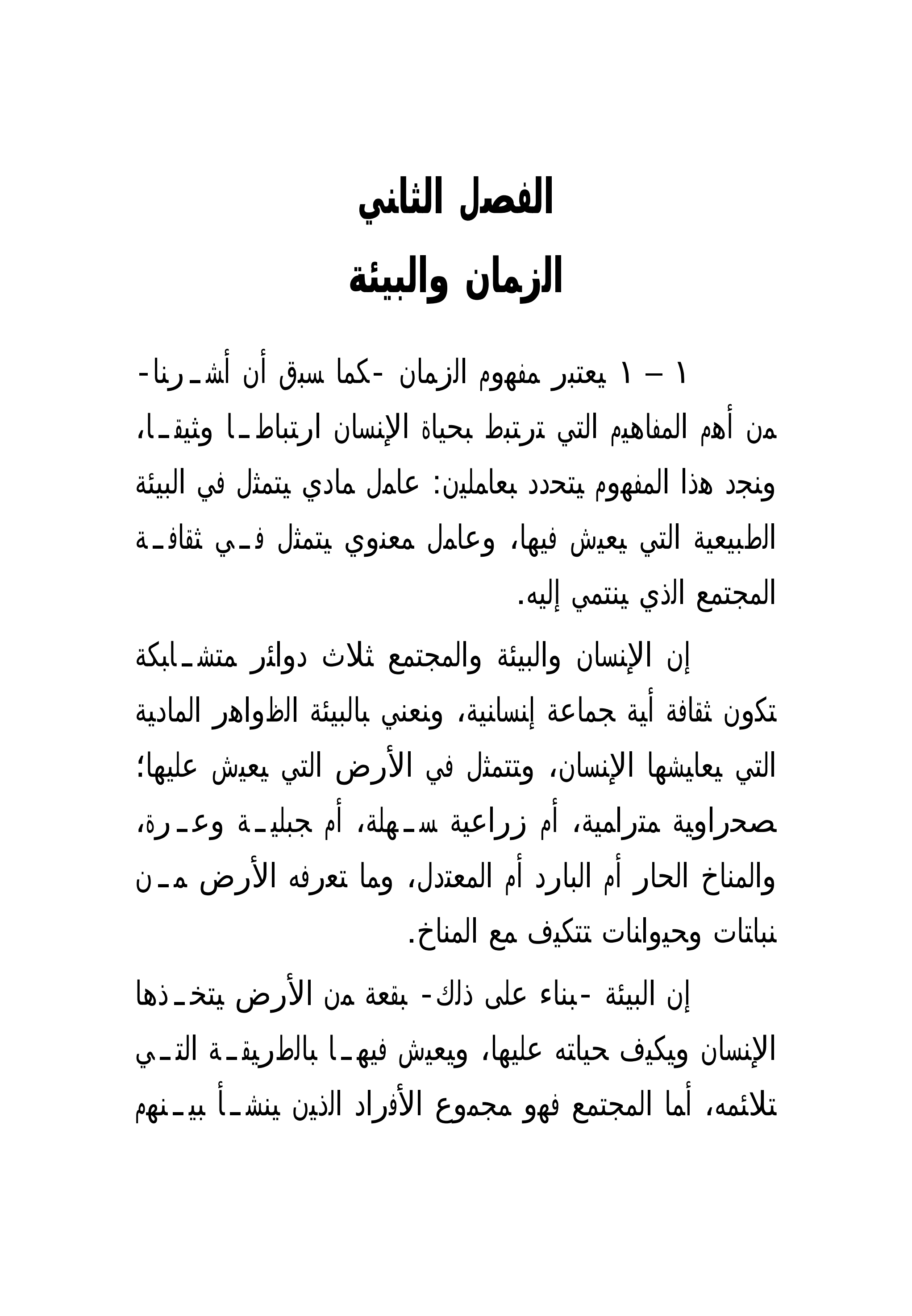
إننا إذا تصفحنا كتب اللغة والأدب والتاريخ عرفنا أن الزمان الماضي كان زمانا مهما في حياة الجماعـة العربيـة الأولى؛ لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات [1]، وليس من قبيل المصادفة أن يسمى التاريخ عندهم بالأيام، كما نجد هذا الاهتمام بالماضي في ظاهرة بكاء الأطـلال والوقـوف عليها في الشعر العربي، وعلى ما يبدو أن هـذا الاهتمـام بالماضي والانكفاء عليه، والتردد في التعامل مع المسـتقبل والنفور -بالتالي- من التغيير أصبح سمة ملحوظة من سمات مجتمعاتنا العربية، مما جعلها في حالة من البيات الزماني أو الحضاري.

---

[1] نلاحظ أن الإنسان الغربي عكس الإنسان العربي يتكلم عن المستقبل أكثر مما يتكلم عن الماضي، ولعل من نتاج هذا الاهتمام ظهـور مـا يسمي باسم علم المستقبل Futurism لدى الأوربيين ، انظر على سبيل المثال:

Alvin Tottler : future skock ١٠ th printing Bantambook N. Y. ١٩١٧

Joseph Coast & Jenefar Jarrat: What futurists Believe , Lommand & world future society N. Y. ١٩٨٩



الفصل الثاني

الزمان والبيئة

١ – ١ يعتبر مفهوم الزمان -كما سبق أن أشـرنا- من أهم المفاهيم التي ترتبط بحياة الإنسان ارتباطـا وثيقـا، ونجد هذا المفهوم يتحدد بعاملين: عامل مادي يتمثل في البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، وعامل معنوي يتمثل فـي ثقافـة المجتمع الذي ينتمي إليه.

إن الإنسان والبيئة والمجتمع ثلاث دوائر متشـابكة تكون ثقافة أية جماعة إنسانية، ونعني بالبيئة الظواهر المادية التي يعايشها الإنسان، وتتمثل في الأرض التي يعيش عليها؛ صحراوية مترامية، أم زراعية سـهلة، أم جبليـة وعـرة، والمناخ الحار أم البارد أم المعتدل، وما تعرفه الأرض مـن نباتات وحيوانات تتكيف مع المناخ.

إن البيئة -بناء على ذلك- بقعة من الأرض يتخـذها الإنسان ويكيف حياته عليها، ويعيش فيهـا بالطريقـة التـي تلائمه، أما المجتمع فهو مجموع الأفراد الذين ينشـأ بيـنهم

ويلتقي معهم الإنسان بعادات وأعراف وعقائد وأفكار يتفق معهم عليها.

إن ثقافة أية جماعة هي نتاج التفاعل بين الإنسان والبيئة حيث تتولد عن هذا التفاعل عناصر الثقافة المختلفة مثل أنظمة اللغة والدين والقرابة والزمان والمأكل والمشرب والمسكن والملبس وغير ذلك، لقد تعلم الإنسان نتيجة لهذا التفاعل كيف يبني لنفسه المسكن الذي يحقق له الحماية، وكيف يصنع لنفسه الملبس ليحفظ جسمه، وكيف يشبع جوعه باستخدام ألوان الطعام المتاحة له في البيئة من النباتات والحيوانات، ويتعلم كيف ينظم نشاطه وعمله بتقسيم الزمان إلى أوقات من خلال الظواهر الطبيعية الموجودة في البيئة، بمراعاة نجوم السماء التي تعتبر أول ساعة عرفها الإنسان، ومتابعة الشمس والقمر وما ينتج عنهما من ظواهر طبيعية مثل الشروق والغروب والفيء والظل والجزر والمد.

إن مفهوم الزمان في المجتمعات الإنسانية يرجع في المقام الأول إلى إدراك هذه المجتمعات للظواهر الطبيعية التي تكرر نفسها في دورات زمانية، ولعل هذا الارتباط الوثيق بين الزمان وظواهر الطبيعة جعل اللغة الفرنسية

تستعمل لفظ Le temps الزمان في قول أحدهم: ليس لـدى وقت Je n' ai pas le temps أو بدلالة الطقس فـي قـول أحدهم: الطقس بارد Le temps est froid، ومن هذا القبيل ما يذكره المبشر مونجوبيتي mongo Beti الذي عاش بين قبائل البهوان في أفريقيا من أن أفرادها يحسبون أعمـارهم بتعاقب الفصول كأن يقول أحدهم إنه شهد مائة فصل، ويحدد المبشر دلالة الفصل بأنه الـزمن مـا بـين بـذر الحبـوب والحصاد، ولما كان في السنة فصلان؛ لأنه في كـل مـرة توجد دورة بذر، فعلى ذلك يكون عمر هذا الشـخص الـذي شهد مائة فصل خمسين عاما[١].

وإلى جانب هذه الظواهر الطبيعية التي تلعـب دورا مهما في تحديد أوقات الزمان، تعرف المجتمعات الإنسـانية من خلال تفاعلها مع البيئة التي تعيش فيها مقاييس أخـرى لتحديد أوقـات الزمـان، وتـذكر لنـا بعـض الدراسـات الأنثروبولوجية أن بعض القبائل الأفريقية مثل قبائل النـوير تعلق أهمية كبيرة في تحديد الأوقات على حركات الأجـرام

---

[١] جوزي ماري أوما " أسطورة السن" ص١٣ مجلة ديوجين عدد ٢١ - ١٩٧٣

السماوية واتجاه الرياح وهجرة الطيور، هذا إلى جانب مـا يقومون به من أعمال ومناشط عادية رتيبة في حياتهم اليومية فنجد عندهم تعبيرات زمانية مثل سأعود عند حاب اللبن، أو سأرحل عندما تعود العجول من المراعي[1]، كمـا نجـد أن الزمان لدى قبائل الهوبي من الهنود الحمر ليس مجرد تعاقب أو ديمومة متماثلة، ولكنه تعدد أشياء مختلفة متعايشة، فهـذا يحدث حينما "تنضج الذرة"، أو حينما " تكبر الماشية"[2] [3].

---

[1] د. أحمد أبو زيد البناء الاجتماعي ١ / ٥٠ الكتاب العربي ١٩٦٧

[2] ما كلوهان كيف نفهم وسائل الاتصال ص ١٦١ . ط دار النهضـة ١٩٧٥.

[3] عرف الصينيون واليابانيون قبل استعمالهم للساعات الآلية في القرن ١٧ قياس الوقت بواسطة البخور، فقد كانت مجموعـة مـن الـروائح المتدرجة بدقة تعين في آن واحد، ليس فقـط السـاعات والأيـام بـل الفصول وصور البروج، انظر ماكلوهان: كيف نفهم وسائل الاتصـال ص ١٦٠ كما نجد وسائل أخرى عرفتها المجتمعات الإنسانية لقيـاس الوقت مثل الشموع Candles والساعة الشمسية Sundial والسـاعة الرملية Sandial انظـر International Encyclopedia, p. ٢٣. vol . ١٦.

تعرف كثيرٌ من اللغات الأفريقية مثل اللغة اللوغندية التي يتكلم بها الأوغنديون -تعبيراتٍ زمانية نابعة من البيئـة لتقسيم أوقات اليوم، فوقت السحر يحدد بقـولهم: matan - sejjere يعني التعبير حرفيا: وقت إمساك النمـل، ويحـدد وقت الشروق بقولهم Kiny - Wambogo يعنـي التعبيـر حرفيا: وقت شرب الجاموس، ويحدد وقت الضحى بقـولهم Kalasa - mayanz يعني التعبير حرفيـا: وقـت انتشـار الجراد، ويحدد وقت الظهر أو القيلولة بقـولهم: Gandalo ويعني التعبير حرفيا: وقت تمديد الأعضاء أي: الاسـترخاء [1] وهو ما تعبر عنه العربية بالقيلولة.

وقد عرفت العربية مثل هذه التعبيرات في قـولهم: " فواق ناقة" بمعنى القليل من الوقت، وهو قدر مـن الزمـان اعتادت الجماعة العربية الأولى أن تريح فيـه الناقـة بعـد الحلب، وقد جاء في الحديث: " عيادة المريض قـدر فـواق

---

[1] حدثني بذلك أحد الطلاب الأوغنديين بمعهد اللغـة العربيـة لغيـر الناطقين بها بجامعة أم القرى مكة المكرمة.

ناقة[1]"، كما نجد استعمال لفظ الغب بمعنى شرب الإبل يوما بعد يوم، وقد جاء في الحديث " أغبوا في عيادة المريض[2]".

يشير المرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة إلى مـا اهتم به الأنثروبولوجيون المحدثون في دراسـتهم لثقافـات المجتمعات الإنسانية قائلا: ".. اعلم أن العرب أحفظ الأمم لما أدت إليه تجاربهم من أحوال الزمان وتعاقب الشهور والأيام واختلاف الفصول والأيام والأعوام، وبما يتجدد فيهـا مـن الأحداث، فهم على اختلاف ديارهم وتباين أوطانهم وتفـاوت هممهم يراعون من هبوب الرياح وطلوع الكواكـب وتبـدل الأوقات ما لا يراعيه غيرهم من سكان المدر والوبر، وقطان البدو، وليس ذلك مستحدثا فيهم، وإنمـا هـو عـادة مـنهم، يتوارثونه الخلف عن السلف، والغابر عن الماضي ومقياسهم طول الدربة ودوام التفقد"[3].

---

[1] النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤٧٩ وص ٧٩ ، ٨٠ من الدراسة

[2] المصدر نفسه ٣ / ٣٣٦ .

[3] المزروقي ٢ / ١٧٩ .

كما يشير أبو حيان التوحيدي مثل المرزوقـي إلـى علاقة الزمان بالبيئة عند العرب قائلا: ".. إن العرب نظروا إلى الزمان واختلافه فجعلوه ربيعيا وصيفيا وقيظيا وشـتويا، ثم علموا أن شربهم من السماء، فوضـعوا لـذلك الأنـواء، وعرفوا تغير الزمان فجعلوا منازله في السنة، واحتاجوا إلى الانتشار في الأرض فجعلوا نجوم السماء أدلة على أطـراف الأرض وأقطارها فسلكوا بها البلاد.. "[1].

لقد ارتبط الزمان عند الجماعـة العربيـة ببيئـتهم الصحراوية ارتباطا وثيقا، وقد يظن البعض أن العربية نشأت في صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها؛ ولهـذا فإنهـا تخلو من التوقيت الدقيق في تمييز الأفعال والأحداث، ولكـن معجمها اللغوي يرد على ما يظن ظنه، ويقدم الدليل على أنه كان لحظة من لحظاتهم، شأنها في حياتهم في حلهم وترحالهم وسكونهم وحركتهم في وقت سيرهم ووقت راحـتهم، وفـي اختلاف أوقات النهار والليل وفي فصول الشـتاء والصـيف وفي أوقات سقوط الأمطار وهبوب الرياح وغير ذلـك مـن

---

(1) أبو حيان الإمتاع والمؤانسة ١ / ٧٢

عوارض الطبيعة التي تعرض في أوقات معينة؛ لأن كل هذه العوارض كانت مرتبطة بنشاطهم وحركاتهم.

١ – ٢ لقد سبق أن أشرنا في بداية هذه الدراسة إلى أن الإنسان قد أدرك الزمان من خلال ملاحظاته ومشـاهداته للمتغيرات والحوادث التي تدور في بيئته، عندما صعد نظره إلى السماء بكواكبها ونجومها وسحبها ومطرهـا، وعنـدما صوب بصره إلى الأرض بحيواناتها ونباتاتها، بـل عنـدما نظر إلى حياته هو نفسه من ميلاد ومعاش وموت"[1].

كما سبق أن أشرنا أيضا إلى أن الزمان هـو نتـاج حركة الكواكب، الأرض والشمس والقمر، وأن هذه الحركـة تتميز بالإيقاع والتناسب، وقد تأمل الإنسان منذ القـدم هـذه الكواكب والنجوم التي في السماء وربط بينها وبين ما يحدث أمامه من تغيرات مثل تعاقـب الليـل والنهـار والشـروق والغروب وتعاقب الفصول من شتاء وربيع وصيف وخريف، وتعاقب مواسم البذر والحصاد للنباتـات، وأوقـات تـزاوج وتوالد الحيوانات، بل إنه قد وجد علاقة بينه وبين هذه النجوم

---

[1] انظر ص (١٨٠) من الدراسة.

والكواكب[1]، انظر على سبيل المثال قول رؤبة مادحا بنـي العباس بعد انقراض دولة بني أمية[2]:

مروان لما أن تهاوت أنجمه | وخانه فـي حكمـه منجمـه
ما زال يبني خندقا ويهدمـه | ويستجيش عسـكرا ويهزمـه

وقول الهذلي[3]:

لو نال نجم السعد أكرم من مشى | لنال بكفيـه نجـوم الأسـاعد

---

[1] لاحظ حرص كثير من المجلات والصحف علي باب حظـك هـذا اليوم أو حظك هذا الأسبوع، وما نقرأه في كتب اللغة والأدب والتاريخ عن دور التنجيم والمنجمين في حياة الملوك والخلفاء، ومن هـذا مـا تذكره بعض المصادر من أن عمر بن عبد العزيز قال لمن حذره مـن السفر بسبب نزول القمر في الدبران: إننا نسير بالواحد القهار، انظـر أيضا مناسبة قصيدة أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتـب | في حده الحد بين الجد واللعـب

[2] الأغاني ٢٣ / ٨٠٥٢ ط الشعب .

[3] شرح أشعار الهذليين ٢ / ٩٦٧

ولا يزال الإنسان إلى اليـوم يـؤمن بعلاقـة هـذه الكواكب والنجوم بمولده، وتأثيرها في حياته ومصيره، كمـا نجد كثيرا من اللغات تعرف تعبيرات مثل: علا نجمه، وأفل نجمه في العربية، وتعبير Star - crossed في الإنجليزيـة بمعنى سيئ الطالع، وكذا فـي الفرنسـية une mauvaise etoile كما نجد لفظ النجم Star يطلق على المشاهير مـن الرجال والنساء[1].

والنجم كما ينص المعجم [2] الوقت المضروب ومن ذلك قولهم: نجمت المال إذا أديته نجوما أي: فـي مواعيـد محددة، والنجم المقدار من الشيء يرتبط بوقت، وهو يرادف القسط، تقول: جعل وفاء دينه نجوما، ومن ذلك حديث سعد:

---

(١) International Encyclopedia ٣٥

(٢) اللفظ مشتق من قولهم: نجم الشيء نجوما، ظهـر وطلـع ويقـال للكوكب والنبات والسن، والنجم في الأصل اسم لكل واحد من كواكـب السماء وجمعه نجوم وهو بالثريا أخص. جعلوه علما لها، فـإذا أطلـق فهو يعينه. انظر اللسان نجم .

" وا   لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة" أي: مدفوعة فـي أوقات معلومة متتابعة[1].

وتعود هذه الدلالة إلى أن الجماعة العربيـة الأولـى كانت تؤقت أداء ديونها ودياتها بطلوع بعض النجوم فـأطلق النجم على الوقت المضروب لدفع بعض الديـة أو الـدين، فقالت: جعل فلان ماله على فلان نجوما معدودة تؤدى عنـد انقضاء كل شهر منها نجما، كما قالت: قـد نجمهـا عليـه تنجيما، والنجوم أيضا نزول القرآن نجما بعد نجم، أي: آيـة بعد آية، قالوا: نزل القرآن نجوما أو منجما أي: على فترات زمانية استغرقت عشرين عاما.

لقد ميزت الجماعة العربية الأولـى بـين الأجـرام السماوية وقسمتها إلى نجوم وكواكب وفرقـوا بينهـا، كمـا أطلقت أسماء مختلفة على عدد كبير من النجوم التي كانـت تظهر كنقاط لامعة في السماء، حددت بها أوقاتها، وشـبهت وضربت بها الأمثال، ومن هذه النجوم:

---

[1] النهاية في غريب الحديث ٥ /٢٤.

بنات نعش الكبرى: وهي سبعة نجوم على القرب من القطب الشمالي منها أربعة في صورة نعش، وثلاثة أمامه مستطيلة وهي المعبر عنها بالبنات، ويسمى الأول منها بالقائد.

بنات نعش الصغرى: وهي سبعة نجوم تشبه بنات نعش الكبرى، أربعة منها نعش وثلاثٌ بنات، ومن الأربعة الفرقدان.

الفرقدان: هما نجمان متقاربان من بنات نعش كما ذكرنا، قال الهذلي[1]:

ومجدا يناصي الفرقدين ولم تكن   كمن زخرف الأموال والمخ لاعب

الشعريان: وهما نجمتان إحداهما: شعرى العبور التي فتنت بها الجماعة العربية فعبدتها، وجاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وأنه هو رب الشعرى ﴾ النجم (٤٩)، والأخرى الشعرى الغميصاء.

---

[1] شرح أشعار الهذليين ٢ / ٩٤٨.

الثريا: ستة نجوم ظاهرة تصير في الشتاء في كبـد السماء، الاسم مشتق من الثروة وهي كثرة العـدد، وتـردد ذكرها كثيرا في شعرهم، ومن ذلك قولي الهذلي[1]:

لو كان حوض الموت لا شيء دونه مكـان الثريـا كنـت أول وارد

العيوق: نجم الثريا، وموضعه وراءهـا، جـاء فـي الشعر في قول الهذلي[2]:

بأطيـب مـن مقبلهـا إذا مـا دنـا العيـوق واكتـتم النبـوح

الدبـــران: نجم أحمر منير سمي بذلك لاستدباره الثريا.

الجــــدي: نجم صغير يقال لـه: جـدي بنـات نعـش الصغرى تعرف به القبلة.

السهــــا: نجم من بنات نعش الكبـرى امتحنـت بـه الجماعة العربية أبصارها لخفائـه فقالـت: أريها القمر وتريني السها[3].

---

[1] شرح أشعار الهذليين ٢ / ٩٦٧.

[2] المصدر نفسه ١ / ١٧٢.

[3] الميداني ٢ / ٣١ .

سهيل: نجم أحمر منفرد من النجوم اليمانية يرى في جميع أرض العرب، يقول عمر بن أبي ربيعة هاجيا سـهيل بن عبد الرحمن بن عوف الذي تزوج الثريا[1] [2].

أيهـا المـنكح الثريـا سـهيلا عمـرك ا كيـف يلتقيـان

هـي شـامية إذا مـا اسـتقلت وسـهيل إذا اسـتقل يمـاني

وكما عرفت الجماعة العربية الأولى هـذه النجـوم المختلفة، عرفت أيضا الكواكب السيارة: المريخ والمشـترى والزهرة وزحل وعطارد، التي سميت بالدراري الخمسة [3] أو الجواري الخنس التي أقسم بها ا تعالى في قوله: ﴿ فَـلآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ التكوير (١٥)، وقيـل إنهـا

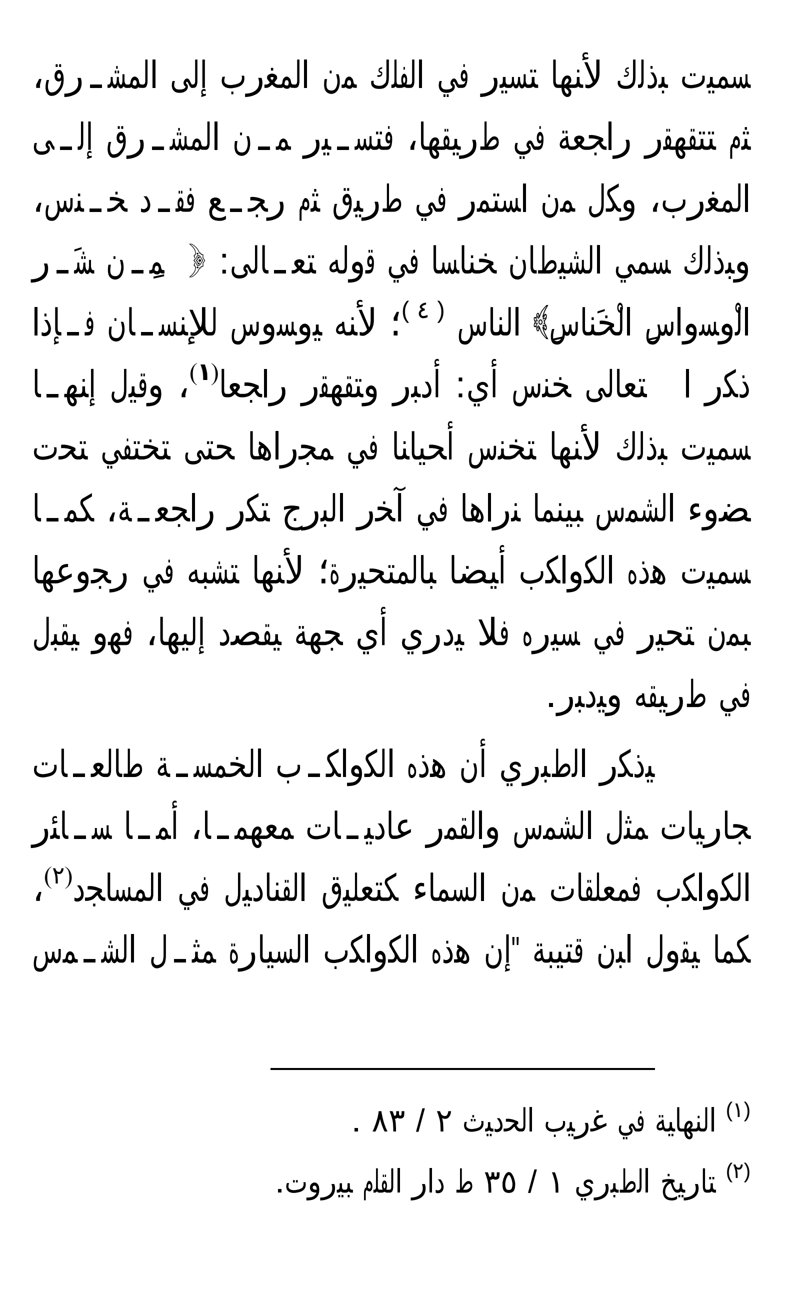
---

[1] الديوان ١٥٦ تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

[2] انظر المزيد عن هذه النجوم ابن قتيبة الأنواء ٣٤ – ١٥ ، ١٤٠ ، ١٥٥ القلقشندي ٢ / ١٧٢ – ١٧٣ .

[3] أطلق اليابانيون القدماء أسماء هذه الكواكب على أيام الأسبوع التي كانت خمسة أيام ثم أضاف إليها الأوربيـون القـدماء يـوم الشـمس Sunday ويوم القمر Monday ليكون الأسبوع سبعة أيام.

انظر الفصل الثاني من الباب الثاني أيام الأسبوع .



سميت بذلك لأنها تسير في الفلك من المغرب إلى المشـرق، ثم تتقهقر راجعة في طريقها، فتسـير مـن المشـرق إلـى المغرب، وكل من استمر في طريق ثم رجـع فقـد خـنس، وبذلك سمي الشيطان خناسا في قوله تعـالى: ﴿ مِـن شَـر الْوسواسِ الْخَناسِ﴾ الناس (٤)؛ لأنه يوسوس للإنسـان فـإذا ذكر ا تعالى خنس أي: أدبر وتقهقر راجعا[1]، وقيل إنهـا سميت بذلك لأنها تخنس أحيانا في مجراها حتى تختفي تحت ضوء الشمس بينما نراها في آخر البرج تكر راجعـة، كمـا سميت هذه الكواكب أيضا بالمتحيرة؛ لأنها تشبه في رجوعها بمن تحير في سيره فلا يدري أي جهة يقصد إليها، فهو يقبل في طريقه ويدبر.

يذكر الطبري أن هذه الكواكـب الخمسـة طالعـات جاريات مثل الشمس والقمر عاديـات معهمـا، أمـا سـائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق القناديل في المساجد[2]، كما يقول ابن قتيبة "إن هذه الكواكب السيارة مثـل الشـمس

---

[1] النهاية في غريب الحديث ٢ / ٨٣ .

[2] تاريخ الطبري ١ / ٣٥ ط دار القلم بيروت.

والقمر، غير أن بعضها أبطأ سيرا من بعض، فما كان منهـا فوق الشمس يكون أبطأ منها، وما كان دون الشـمس فهـو أسرع، ويقال إن زحل أعلاها ثم المشترى ثم المـريخ ثـم الشمس، ودون الشمس الزهرة ثم عطارد ثم القمر فالشـمس متوسطة لها ثلاثة فوقها وثلاثة تحتها"[1].

جعل القلقشندي الشمس والقمر مع هذه الخمسة سبعة كواكب سيارة، ويذكرها بترتيبها مشيرا إلى اشتقاق أسـمائها قائلا: ".. فأما القمر فمأخوذ من القمرة وهي البياض، وفلكه أقرب إلى الأرض وهو المعبر عنه بالسـماء الـدنيا، وأمـا عطارد فمعناه النافذ في الأمور؛ ولذلك سمي الكاتب وهو في الفلك الثاني بعد فلك القمر، والزهرة مأخوذة من الزاهر وهو الأبيض وهي الفلك الثالث من القمر، أما الشمس فهي الفلـك الرابع، سميت بذلك لشبهها بالشمسية وهي الواسطة التي في المخنقة؛ لأن الشمس واسطة بين ثلاثة كواكب سفلية: هـي القمر وعطارد والزهرة، وبين ثلاثة علوية: هـي المـريخ والمشترى وزحل، وأما المريخ فمأخوذ من المـرخ، وهـو

---

[1] ابن قتيبة، الأنواء ص ١٢٦ .

شجر تحتك أغصانه فتوري النار، فسمي بذلك لشبهه بالنـار في احمراره، وهو الفلك الخامس بعد القمر، وأما المشـترى فسمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه، وقيـل: لأنـه نجم الشراء والبيع عندهم وهو الفلك السادس من القمر، وأما زحل فمأخوذ من زحل إذا أبطأ سـمي بـذلك لبطئـه فـي سيره.."[1].

ويشير المرزوقي في باب قسمة الأزمنة إلى حركتي الشمس والقمر، وارتباطهما بالشهور والفصـول والسـنتين الشمسية والقمرية قائلا: ".. اعلم أن الشمس تدور في الفلـك[2] دورا طبيعيا وهي لازمة له، وربما كانت على هذا الفلك،

---

[1] القلقشندي ٢ / ١٥٦ – ١٥٨ .

[2] اللفظ مأخوذ من الفلك بمعنى الاستدارة، ومن ذلك الفلْكـة بسـكون اللام: القطعة المستديرة من الأرض التي ترتفع عما حولهـا، وفلكـة المغزل التي سميت بذلك لاستدارتها، وكل مستدير فلكة، ومـن ذلـك أيضا قولهم: فلك ثدي الجارية تفليكا أي: استدار وأصبح كالفلكة.

وفلك السماء القطب الذي تدور عليه الأفلاك شبه بقطب الرحى، وقيل: الفلك استدارة السماء، كما قالت العرب: الفلك هـو المـوج إذا مـاج، والبحر إذا ما اضطرب وجاء وذهب يقول الطبري في تفسـير قولـه

وربما مالت إلى الشمال أو الجنوب، ويسـمى هـذا الميـل عرض الكواكب ويسمى هذا الفلك فلك البروج، وهـي اثنـا عشر برجا[1]: الجدي، الـدلو، الحـوت، الحمـل، الثـور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقر، القوس، وإنما انقسم هذا الانقسام لأن الشمس متى انتقلت في دورانها نقطة معينة عادت إلى تلك النقطة بعـد ثلاثمائـة وخمسـة وستين يوما وربع يوم، وفي دورها تستوفي فصـول السـنة التي في الشتاء والربيع والصيف والخريف؛ ولهـذه العلـة سميت هذه الأيام سنة الشمس، والقمر يجتمع مع الشمس في مدة هذه الأيام اثنتي عشرة مرة، فجعلت السنة اثنـي عشـر

تعالى: " كل في فلك يسبحون" خلق ا بحرا دون السماء، وهو مـوج قائم في الهواء بأمر ا لا يقطر منه قطرة، وذلك البحـر جـار فـي سرعة السهم، وتجري الشمس والقمر والخنس في غمر ذلـك البحـر، والفلك دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر" تاريخ الطبري ١ / ٣٤ ، القلقشندي ٣ / ١٥٤ .

[1] قارن ذلك بما تقرؤه في الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية بـاب حظك اليوم أو هذا الأسبوع، انظر تسـمية هـذه الأبـراج ومراتبهـا القلقشندي ٢ / ١٦٠ .

شهرا سميت بالشهور القمرية كما جعل الفلك اثنـي عشـر برجا ليكون لكل شهر برج، كما اعتمد العرب على الأهلـة؛ فكل اثني عشر هلالا عندهم سنة، فيكون عدد أيامها ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما" [١].

١ – ٣ لقد كانت الجماعة العربية الأولى على معرفة دقيقة بحركات النجوم والكواكب والأنواء وعلاقتها بالظواهر الطبيعية كالرياح والأمطار، وتعيين الأوقات وضبط الأزمنة على مدار اليوم والشهر والسنة، وقد سجلت لنا كتـب الأدب واللغة الكثير من المعلومات الفلكية، والمعتقـدات الجاهليـة والتعبيرات اللغوية التي تصور لنا عمق هذه المعرفـة مـن جهة، ومدى تأثيرها في حياتهم من جهة أخرى[٢]، يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه الذي يعد أول كتاب كامل يصلنا في هذا المجال: ".. هذا كتاب أخبرت فيه بمذاهب العرب في علـم

---

[١] انظر المرزوقي: (الأزمنة والأمكنة) ١ / ١٧٠ – ١٧١ .

[٢] انظر على سبيل المثال ابن سيده المخصص المجلد الثـاني السـفر التاسع كتاب الأنواء.

النويري نهاية الأرب الجزء الأول الفن الأول فـي السـماء والآثـار العلوية .

النجوم مطالعها ومساقطها وصـفاتها وصـورها، وأسـماء منازل القمر وأنوائهـا، والأزمنـة وفصـولها، والأمطـار وأوقاتها، واختلاف أسمائها في الفصول، وأوقات التبدي لتتبع مساقط الغيث وارتياد الكلأ، وأوقات حضور الميـاه، ومـا أودعته العرب أسجاعها في طلوع كل نجم من الدلالات على الحوادث عند طلوعه.."[1].

١ – ٤ لقد عرفت الجماعة العربية ما يسمى بالأنواء وهي نجوم معروفة الطلـوع والسـقوط وعـددها ثمانيـة وعشرون بعدد منازل القمر، وتعرف كل منزلة منها طلوعا وسقوطا للنجم، كما لاحظت أن هذه النجوم تتقـارن اثنـين اثنين، يطلع أحدها في المشرق غداة يسقط أخوه في المغرب، وقد سمت الطالع رقيبا [2] وكأنه يرقب سقوط الآخر، وسموا

---

[1] ابن قتيبة الأنواء في مواسم العرب ص ١ .

[2] الفظ مأخوذ من قولهم: رقب الشيء يرقبه وراقبه مراقبة: حرسه أو حفظ أو بمعنى انتظره ورصده، ومنه المرقبة المنظرة في رأس الجبل أو الحصن والجمع مراتب، ومن ذلك الرقيب النجم الذي في المشـرق يراقب النجم الذي في المغرب. انظر اللسان رقب.

الساقط نوءا [1] من قولهم: ناء الشيء سقط ومال، واهتمـت الجماعة العربية بمراقبة هذه النجـوم ورصـد مواضـعها، وسمت بها الأوقات، وراقبت ما يحـدث خلالهـا طلوعهـا وسقوطها مما يمس حياتهم من برد وحر ومطر وريـاح [2] ونتاج الحيوانات والنبات[3]، يقول ابن الأجدابي: " والنوء هو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق يقابل من ساعته، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والبحر والبرد إلى ما سقط منها، فتقول: سـقينا أو مطرنا بنوء كذا، أي: من ماء السحابة التي نشأت وقت نـوء

---

[1] النوء في اللغة النهوض ولكن العرب قلبت ذلـك فجعلـت النـوء للسقوط وهو من الأضداد، فإذا قيل: ناء نجم كذا يعني: سقط بالغـداة، وقد اصطلحت العرب على ذلك، فالساقط من النجوم هو الـذي مـال وسفل، والنوء النجم إذا سقط أو مال للمغيب والجمع أنواء، وقد سـمي بذلك من باب التفاؤل، كما قالوا للديغ: سليم، وللمفازة: مهلكة.

[2] انظر ابن قتيبة الأنواء ١٥٨ – ١٥٩ .

[3] المصدر نفسه ٩٤ – ٩٥ .

ذلك النجم، وإذا مضت مدة سقوط النجم ولم يكن فيها مطر، قيل: خوى نجم كذا إذا لم يكن في نوئه مطر[1].

لقد كانت الجماعة العربية تعتقد أن المطـر السـاقط إنما كان من فعل النوء أو النجم الذي ينسب إليه، جـاء فـي حديث الأنواء: "إن ا ينزل الغيث فيصبح قوم به كـافرين، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، أي: كافرين بذلك دون غيره، حيث ينسبون المطر إلى النوء دون ا [2]" وقد روي عـن عمر بن الخطاب أنه استسقى بالمصلين، ثم نـادى العبـاس قائلا: يا عم رسول ا كم بقي من نوء الثريـا؟ فقـال: إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض بالأفق سبعا بعد وقوعهـا، فوا ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس". لقد أراد عمـر -رضي ا عنه- أن يستفسر: كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة إذا تم جاء المطر؟ وكان هذا هو المعنى الإسـلامي للنوء تمييزا له عن المعنى الجاهلي الذي ينسب الفعل للنجوم [3]، كما كانت الجماعة العربية تعتقد بأن بعض هذه النجـوم

---

[1] ابن قتيبة الأنواء ص ١٣ .

[2] ابن قتيبة الأنواء ص ١٣ .

[3] النهاية في غريب الحديث ٤ / ٨٦ .

أحمد وأغزر مطرا، ويجعلونها إناثا وذوات نتاج، ويجعلـون ما لا نواء [1] له ذكرا منحوسا، ومن ذلك قول الشاعر[2]:

فإنك قد بعثـت عليـك نحسـا   شـقيت كواكبـه ذكـور

---

[1] ربما من المفيد أن نشير هنا لمحاولة طريفة لأحد الباحثين الذي تتبع لفظ النوء ودلالته في العربية وبعض اللغات الأخرى قائلا: " إنه نظرا لارتباط النوء بالمطر وبعض التغيرات الجوية كالريـاح، فقـد صـار البحارة العرب يطلقون كلمة " النو " بالتشديد على أحـوالهم الجويـة، ومما يدل على أصالة هذا المفهوم لديهم أن كلمـة النـو تعنـي فـي الفارسية: السفينة ناو، وهي في اللاتينية Navi، والفرنسـية القديمـة Navie والفرنسية والإنجليزية: Navi بمعنى: أسطول. ومـن معنـى السفينة ناو اشتق لفظ النوتي في العربية بمعنى المـلاح الـذي يـدير السفينة في البحر! كما يرى الباحث أيضا أنه لارتبـاط النـوء بدلالـة الجذر أو التغير عرفت العربية وبعض اللغات الأخرى لفـظ: النـوع بمعنى الصنف الذي يحمل دلالة التنوع والمغايرة والتجديد، ونجد لفـظ NOW نو في الفارسية في تعبير نـوروز Now Rose أي: اليـوم الجديد أو بداية السنة، ونجد لفـظ New فـي الإنجليزيـة Neu فـي الألمانية و Nouveau في الفرنسية!

[2] ابن قتيبة الأنواء ص ١٦

لقد كانت السماء بما فيها من نجوم وكواكب كما سبق أن أشرنا أو ساعة يعرفها الإنسان لتحديد أوقات الزمان، وقد اعتمدت عليها الجماعة العربية كغيرها من الجماعات الإنسانية لمعرفة الزمان والمكان أيضا، انظر قوله تعالى: ﴿وعلاماتٍ وبالنجمِ هم يهتَدون﴾ النحل (١٦)، ومن ذلك قول الشاعر الذي يتحدث عن قوم ضلوا في الصحراء:

يهلّ بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

يقول الشاعر: إن المسافرين في الصحراء قد ضلوا الطرق وخافوا الهلاك، ثم لاح لهم الفرقد فعرفوا سمت وجهتهم ورفعوا أصواتهم بالتكبير كما يفعل المعتمر[1]، كما نجد الهذلي يذكر قافلة سارت ليلا إلى آخر الليل مهتدية بالنجوم قائلا[2]:

فلما تقضى الليل إلا صبابة من الليل تهديها النجوم الأوافل

---

[1] ابن قتيبة الأنواء ص ٣ .

[2] أشعار الهذليين ٣ / ١٠٥٨ .

ويذكر ابن قتيبة أن أعلم العرب بالنجوم بنـو كلـب وبنو شيبان، وأن الرجل من هؤلاء كان يقول لمـن يسـأله الطريق: ول وجهك نجم كذا. أي: اجعل سيرك بين نجم كذا فكانت النجوم تقودهم إلى موضع حاجاتهم[1].

٢ – ١ تشير اللغة والأدب إلى أن الجماعة العربيـة قد عرفت كما سبق أن أشرنا مجموعة النجوم التي يقطعهـا القمر في كل دورة تامة له في فلكه حول الأرض كما ثمانية وعشرين يوما وتسمى منازل القمر[2] حيث ينزل كل ليلة في منزلة منها، ثم يعود عند تمام هذه الدورة إلى الـنجم نفسـه الذي اتخذ أصلا للحركة، وتسمى هذه المنازل: نجوم الأخـذ لأخذ القمر كل ليلة منها في منزل، يقال: أخذ القمر نجم كذا أو نزل به، والنزول الحلول، والمنـزل والمنزلـة موضـع النزول، انظر قوله تعالى: ﴿ هو الذِي جعلَ الشمس ضِـياء والْقَمر نُورا وقَدره منَازِلَ ﴾ يونس (٥) وقولـه تعـالى ﴿

---

[1] ابن قتيبة الأنواء ٣ .

[2] يذهب البعض إلى أن العرب قد عرفوا منازل القمر من اتصـالهم بالفرس والهنود قبل الإسلام.

انظر: جواد علي، (تاريخ العرب قبل الإسلام، ٨ / ٣٤٨).

والْقَمر قّدرنَاه منَازِلَ حتى عاد كَالعرجون الْقَدِيمِ ﴾ يس (٣٩)،
يقول ابن قتيبة: "تشير الآية إلى أن القمر ينزل كل ليلة منزلا حتى يصير في آخر ليلة من الثمـاني والعشـرين كالعـذق القديم، وإذا قدم دق واستقوس وأصرف، فشبه القمر به عنـد استسراره، وإذا كان الشهر تسعا وعشرين، استسر ليلة ثمان وعشرين، وإذا كان ثلاثين ليلة استسر التاسع والعشرين.

لقد عرفت الجماعة العربية حركتين للقمر [1] سريعة وهي حركة الفلك به من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب

---

[1] القمر -كما هو معروف- جرم مظلم يستمد نوره من الشمس، وهو أقرب الأجرام إلى الأرض وأقل حجما منها، يدور حول الأرض مـرة كل شهر، وإذا تصادف وقوعه أثناء دورته على خـط مسـتقيم مـع الشمس، وكانت الأرض في الوسط، فإنها تحجب عنه نـور الشـمس ويبدو مخنوقا؛ إذ يخفت الضوء الذي يعكسه من الشمس شـيئا فشـيئا حتى يعتم وجهه تماما. ومن المعروف أن المد والجزر يحدثان نتيجـة لجذب القمر للأرض ومياهها، فتعلو المياه في ربـع الأرض المواجـه للقمر وبدرجة أقل من الربع البعيد عنه، بينما تهبط المياه في الـربعين الآخرين، ويحدث ذلك نتيجة دوران الأرض حول نفسـها، ومـن ثـم دخول نقطة ما في منطقة المد، ثم انتقالها بعد ست ساعات إلى منطقـة الجذر، ثم بعد ست ساعات أخرى إلى منطقة المد الثانية.

إلى المشرق في اليوم والليلة، وبطيئة وهي حركته من جهـة الشمال إلى جهة الجنوب، ومن جهة الجنـوب إلـى جهـة الشمال، وتنقله في المنازل الثمانية والعشـرين فـي ثمانيـة وعشرين يوما بلياليها كالشمس في البـروج، كمـا كانـت كغيرها من الجماعات السامية المجاورة على علـمٍ بمنـازل القمر التي أفادت منها لمعرفـة أحـوال المطـر والريـاح والطقس، ولما كانت السنة أربعة أجزاء أو فصـول فقـط، صار لكل ربع منها سبعة منازل، ورتبوها كما يلي:[1]

أولا: منازل الربيع: ١– الشرطان ٢- البطـين ٣- الثريا ٤- الدبران ٥- الهقعة ٦- الهنعة ٧- الذراع .

ثانيا: منازل الصيف: ٨- النثرة ٩- الطـرف ١٠- الجبهة ١١- الزبـرة ١٢ – الصـرفة ١٣- العـواء ١٤- السماك الأعزل.

---

[1] انظر هذه المنازل ابن قتيبة ١٣٤ ابن سيده، سـفر ٩ / ١٤ ، ابـن الأجدابي ٦٠، المرزوقي ١ / ١٨٥ القلقشندي ٢ / ١٨٠ .

ثالثا: منازل الخريف: ١٥- الغفـر ١٦- الزبـانى ١٧- الإكليل ١٨- القلب ١٩- الشـولة ٢٠- النعـائم ٢١- البلدة.

رابعا منازل الشتاء: ٢٢- سعد الذابح ٢٣- سعد بلع ٢٤- سعد السعود ٢٥- سعد الأخبيـة ٢٦- الفـرغ الأول ٢٧- الفرغ الثاني ٢٨- بطن الحوت.

وقد قسمت الجماعة العربية هذه المنازل أو الأنـواء إلى قسمين شمالي وجنوبي، وشمل كل قسم منها أربع عشرة منزلة؛ فالشمالي منها ما كان طلوعه من ناحية الشام وتشمل منازل الربيع والصيف، والجنوبي منها ما كان طلوعه مـن ناحية اليمن، وتشمل منازل الخريف والشتاء.

٢ – ٢ كما راقبت الجماعة العربية القمر وحالاتـه خلال الشهر ووضعت له ألفاظا واصـفة تصـور ضـوءه وشكله، فأول ما يرى منه الهلال ليلة يهل أي عندما يخـرج من تحت شعاع الشمس ويظهر في الغرب، ويسمى: هـلالا

لثلاث ليال والجمع أهلة[1]، ثم يسمى: قمرا إذا ظهر وقارب الكمال وبه يسمى الشهر المعروف والجمع أشهر وشـهور، والقمر -كما سبق أن أشرنا- مشتق مـن القمـرة بمعنـى: البياض الذي فيه كدرة، ثم يسمى بدرا فـي الليلـة الرابعـة عشرة، سمي بذلك لامتلائه؛ يقال: غلام بدر إذا امتلأ شـبابا قبل أن يحتلم، ويقال: سمي بذلك لتمامه، ومن ذلك قـولهم: عين بدرة إذا كانت عظيمة، ومنه يقال: للعشرة آلاف درهـم بدرة؛ لأنها تمام العدد، وقيل: سمي بذلك لمبادرته الشـمس بالطلوع، ثم يسمى محاقا وقت ينمحي نوره في آخر الشهر؛ لأن الشمس تمحق نوره ولا تبينه، ويكون مثل الهـلال فـي أول الشهر لاستتاره بشعاع الشمس[2]. وقد سـمت العـرب

---

[1] كانت العرب تعتمد على هذه الأهلة في المواقيـت والآجـال التـي تجري بين الناس، وقد أثبت الإسلام ذلك بقوله تعالى : ﴿ يسأَلُونَكَ عن الأَهِلةِ قُلْ هِي مواقِيتُ لِلناسِ والْحج ﴾ البقرة (١٨٩) ، فقد كانوا يبدءون الشهر إذا رأوا الهلال، ويجعلون ابتداءه من أول الليلة التي يظهر فيها الهلال، وكانوا يسمون تلك الليلة غرة الشهر؛ لكون الهلال فـي أولهـا كالغرة في وجه الفرس.

[2] انظر ابن قتيبة ١٣٥ ابن سيده ٩ / ٣٠ القلقشندي ٢ / ٣٦٩

القمر بالزبرقان وبه سمي الرجل، ويقال له أيضا: الساهور، والهالة الدائرة التي تحيط بالقمر، والفخت ضووُّه الواقع على الأرض، تقول: جلسنا في الفخت إذا جلست في ضوء القمر[1].

٢ – ٣ وقد اصطلحت الجماعة العربية على تسمية ليالي الشهر القمري، فقسمت كل ثلاث ليال باسم حسب حالة القمر فيها كما يلي[2]:

الغرر: سميت بذلك لأن ضوء الهلال يكون كالغرة في أوائلها.

الشهب: سميت بذلك لأن ضوء القمر يكون غير باهر للظلمة.

الزهر: سميت بذلك لبياضها بضوء القمر.

البهر: سميت بذلك لأن القمر يبهر فيهن ظلمة الليل.

---

(١) انظر هذه الألفاظ في مواضعها من اللسان .

(٢) انظر ابن قتيبة ١٣٥ ، والفراء ٥٨ ، ابن سيده ٩ / ٣٠ القلقشندي ٢ / ٣٧٠ .

انظر أيضا هذه التسميات ودلالاتها في مواضعها بلسان العرب.

البيض: سميت بذلك لبياضهن من أولهن إلى آخرهن.

الدرع: سميت بذلك لطلوع القمر فيها لوجه الصبح وسائرها مظلم.

الظلم: سميت بذلك لسوادها.

الحنادس: سميت بذلك لشدة ظلمـتهن، والحنـدس الأسـود الحالك.

الدآدئ: سميت بذلك لأن القمر يدأدئ فيها، أي: يسرع.

المحاق: سميت بذلك لأن الشمس تمحق فيها نور القمر.

كما سمت الجماعة العربية بعـض ليـالي الشـهر القمري الأخرى، فسمت الليلة الثالثة عشـرة بليلـة السـواء لاستواء القمر فيها، وقيل: لاستواء ليلها ونهارها في الضياء، وقيل: هي ليلة التمام، وسمت الليلة الرابعة عشرة ليلة البـدر أو ليلة النصف، وسمت ليلة العشرين بالدعجاء، وسمت الليلة التاسعة والعشرين الدهماء، وسمت الليلة الموفيـة للثلاثـين الليلاء؛ إذ لا هلال فيها، كما سموها ليلة البراء؛ لأن القمـر يتبرأ من الشمس، وقيل: إن أول ليلة من الشهر هي البـراء، وآخر ليلة سميت بالفلتة؛ لأنها تكون كالشيء المنفلـت بعـد

وثاق [1]، كما سمت الليلة التي يستتر فيها القمر بالسرار من ذلك قول الشاعر:

رأت مر السـنين أخـذن منـي   كما أخذ السـرار مـن الهـلال

كانت الجماعة العربية الأولى تنظر إلـى النيـرين الشمس والقمر نظرتها للكائن الحي، وهي نظرة لم تنفرد بها بل شاركتهم فيها كثير من الجماعات السامية قديما[2]، وهـي

---

[1] قيل إن الفلتة هي آخر ليلة من شهر شوال، وهي التي يأتي بعـدها الأشهر الحرم؛ حيث لا يستطيع أحد إدراك ثأره فيها، وربما رأى القوم الهلال ولا يراه آخرون فيغير هؤلاء على أولئك للأخـذ بثـأر لهـم، والفلتة هنا بمعنى الفجأة، قال أبو الهيثم: كان للعرب في الجاهلية ساعة يقال لها: الفلتة يغيرون فيها، وهي آخر ساعة من آخر يوم في الشـهر قبل الأشهر الحرم. اللسان: فلت.

انظر شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٦ تحقيق محمد أبي الفضل.

[2] وذهب بعض الباحثين إلى رأي طريف قائلا: إن إحدى الجماعـات السامية قد عبدت القمر وسمته: سن Sen، ومنه اشتق اسم سيناء التـي عبدت القمر، وأن لفظ سنة كان يعني دورة القمر في شـهر، وعنـدما عرف الإنسان دورة الشمس Sun تحول معنى السنة من شهر إلى اثني

التي أوحت لهم وإلى غيرهم بعبادة الشمس والقمر واتخاذهما إلهين يتقربان إليهما، انظر إلى قوله تعـالى: ﴿ لاَ تَسـجدوا لِلشمسِ ولاَ لِلْقَمرِ واسجدوا ـِ الذِي خَلَقَهـن إِن كُنْـتُم إِيـاه تَعبدون ﴾ فصلت [٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمـا رأَى الْقَمـر بازِغًا قَالَ هذَا ربي ﴾ الأنعام [٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمـا رأَى الشمس بازِغَةً قَالَ هذَا ربي هذَا أَكْبر ﴾ الأنعام [٧٨]

لقد لعب القمر دورا هاما في حياة الجماعة العربيـة عندما اعتمدت عليه في تحديد المواقيت، فراقبـت ظهـوره ونموه وغيابه ولياليه، ووضعت لكل ذلك ألفاظا واصفة كمـا رأينا، بل وتخيلته كائنا حيا يسمع ويرى، وتنقل لنا مصـادر اللغة والأدب حوارا مأثورا عنها يجري بين أحـدهم وبـين القمر الذي يسأله قائلا: " ما أنت ابن ليلـة؟ فيقـول القمـر: رضاع سخيلة حل أهلها برميلة. أي أنه يبقى بقدر ما ينـزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون، فبقـاؤه فـي

عشر شهرا، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمـة Senate بمعنـى مجلـس المسنين أو الشيوخ وكلمة Senior بمعنى الأكبر سنا أو الأسبق!

د. سليمان أبو غوش: (عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربـي) ص ٣٦٤ ط الكويت ١٩٧٧ .

الأفق كمقدار رضاع السخلة الصغيرة، ويسأله السائل مـرة ثانية: ما أنت لليلتين؟ فيقول القمر: حديث أمتين بكذب ومين. يريد أن بقاءه قليل كمقدار ما تلقى الأمة الأخـرى فتحـدثها تكذب لها حديثا ثم تفترقان، ويسأله السائل ثالثة: مـا أنـت لثلاث؟ فيقول: حديث فتيات غير مؤتلفات، يريد أن يبقى بقاء فتيات أبكار اجتمعن على غير ميعاد، فيتحـدثن سـاعة ثـم ينصرفن غير مؤتلفات[1].

استعملت الجماعة العربية لفظ القمر فـي تعبيراتهـا وتشبيهاتها اللغوية، فقالت: "أضيع من قمر الشـتاء" للوقـت القصير الذي يمر سريعا، وقالت: أقمر التمـر. أي: أدركـه البرد فلم يكن له حلاوة، وقالت: وجه أقمر: أي: يحاكيه فـي بياضه، وقالت: استرعى القمر ماله: أي تركه هملا بلا راع يحفظه، والمال هنا الإبل، كما قالت أيضا: استرعى الشـمس ماله: أي: تركه هملا نهارا بلا راع[2].

---

[1] انظر الحوار بالمخصص ٩ / ٢ – ٣، ابن قتيبة الأنـواء ١٣٠ – ١٣٤ ، الأمثال لمؤرخ السدوسي ١٠٧.

[2] انظر اللسان: قمر.

٢ – ٤ عرفت الجماعة العربية الأولى الشمس ثاني النيرين، آلة هامة من آلات الزمان بل هي واهبة الزمان[1]، وكما كانت تراعي القمر وترصد منازله، كانت تراعي أيضا الشمس، وترصد بروجها التي كانت تقطعهـا فـي دورتهـا السنوية، وكما سبق أن أشرنا أن البروج للشمس كالمنـازل

---

[1] كما هو معروف أن الشمس كرة هائلة من الغـازات الملتهبـة، ولا تزال تشع بنفس القدر من الحرارة منذ ملايين السنين، مما يجعل الحياة على الأرض ممكنة، تغير الشمس ميل أشعتها على مدار السـنة بمـا يوازي ٤٧ O وتكون أقرب إلى العمودية في فصل الصيف ثم تأخذ في الميل درجة حتى ينتهي الصيف ويعتدل المناخ ويبلغ هنا الميل أقصـاه عندما يحل الشتاء. وهي تقطع السماء مرة في السنة، وتقيم في كل برج من الأبراج الاثني عشر شهرا، وفي كل منزلة من منازل القمر ثلاثـة عشر يوما، بينما يقطع القمر السماء مرة كل شهر، ويقيم في كل بـرج من الأبراج الاثني عشر ليلتين وثلث الليلة، ويمكن أن نمثل لذلك بهـذه المعادلة ١٢ + ٢ = ٢٤ + ٤ = ٢٨ يوما، كما يقيم في كل منزل ليلة كما عرفنا، ويستسر في ليلة ثمان وعشرين، وقد سـبق أن عرفنـا أن السنة الشمسية تزيد على القمرية بأحد عشر يوما انظر هـامش ١ ص ٣٦ من الدراسة.

للقمر وهي اثنا عشر برجا على قدر شهور السـنة موزعـة على فصول السنة أيضا كما يلي[1]:

بروج الشتاء: الجدي والدلو والحوت.

بروج الربيع: الحمل والثور والجوزاء.

بروج الصيف: السرطان والأسد والسنبلة.

بروج الخريف: الميزان والعقرب والقوس.

وقد قسمت هذه البروج إلى ثلاثة أقسام أخرى[2]:

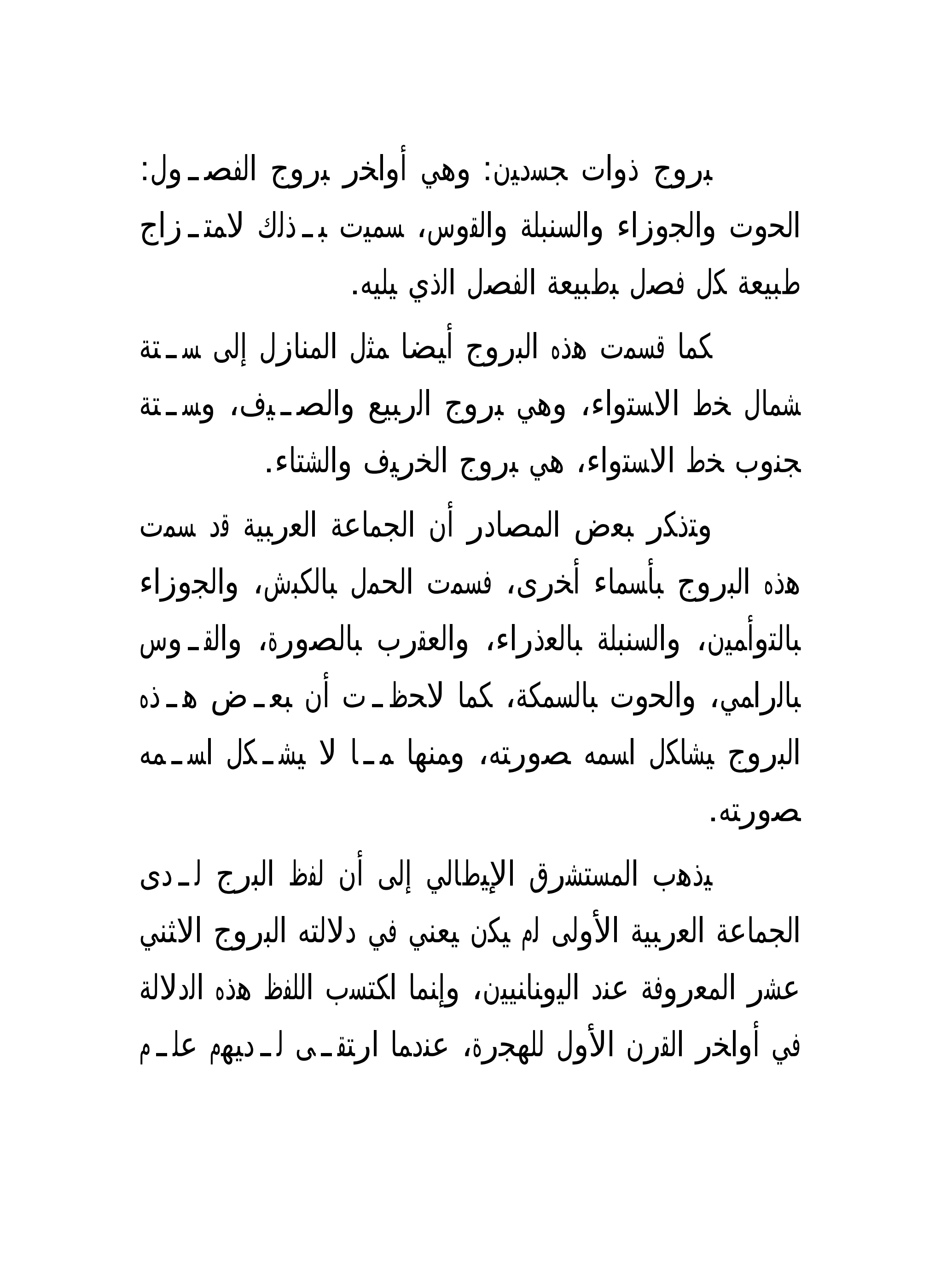
البروج الثابتة: وهي أواسط بروج الفصول: الـدلو والثور والأسد والعقرب، سـميت بـذلك لأن فـي أواسـط الفصول تثبت طبائع الزمان على حدها.

البروج المنقلبة: وهي أوائل بروج الفصول ينقلـب الزمان من طبيعة إلى طبيعة.

---

(1) المخصص ١ / ١٢ .

(2) المرزوقي ١ / ١٦٤ .



بروج ذوات جسدين: وهي أواخر بروج الفصول: الحوت والجوزاء والسنبلة والقوس، سميت بذلك لامتزاج طبيعة كل فصل بطبيعة الفصل الذي يليه.

كما قسمت هذه البروج أيضا مثل المنازل إلى ستة شمال خط الاستواء، وهي بروج الربيع والصيف، وستة جنوب خط الاستواء، هي بروج الخريف والشتاء.

وتذكر بعض المصادر أن الجماعة العربية قد سمت هذه البروج بأسماء أخرى، فسمت الحمل بالكبش، والجوزاء بالتوأمين، والسنبلة بالعذراء، والعقرب بالصورة، والقوس بالرامي، والحوت بالسمكة، كما لاحظت أن بعض هذه البروج يشاكل اسمه صورته، ومنها ما لا يشكل اسمه صورته.

يذهب المستشرق الإيطالي إلى أن لفظ البرج لدى الجماعة العربية الأولى لم يكن يعني في دلالته البروج الاثني عشر المعروفة عند اليونانيين، وإنما اكتسب اللفظ هذه الدلالة في أواخر القرن الأول للهجرة، عندما ارتقى لديهم علم

الفلك[1]، وربما يؤكد هذا الرأي ما جاء فـي تحديـد اللفـظ بالمعجم من أن البرج كل ظاهر مرتفع، ومنه قولهم: تبرجت المرأة أظهرت محاسنها، والبروج هي النجوم والكواكب في السماء لظهورها وارتفاعها[2]، ويذكر المرزوقي أن أصـل لفظ البرج في اللغة الحصن، فاستعير على التشـبيه وأطلـق على بروج الفلك[3]، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعـالى: ﴿ولَقَد جعلْنَا فِي السماءِ بروجا وزيناها لِلناظِرِين﴾ الحجـر (١٦) ".. قال الحسن وقتادة: البروج هي النجوم، وقيل: هـي الكواكب السيارة"[4].

لقد عرفت الجماعة العربية أن الشمس كوكب ثابـت ومتحرك في آن واحد، فهي ثابتة على محورهـا ومتحركـة

---

(١) نالنيو علم الفلك عند العرب ١١٠ – ١١١ ط ١٩١١. يذهب باحث آخر إلى أن اليونانيين قسموا السماء إلى بروج، عرف كل برج منهـا باسم Burgus وقد دخل اللفظ من اليونانية للعربية بهذه الدلالة. جـواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ / ٣٤٨ .

(٢) اللسان: برج .

(٣) الأزمنة والأمكنة ١ / ٤٨ .

(٤) البحر المحيط ٥ / ٤٤٩ .

حول هذا المحور، أي: حول نفسها مثل المروحـة السـقفية الكهربائية التي نراها ثابتة في سقفها ومتحركة حول نفسـها، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعـالى: ﴿ الشـمس والْقَمـر بِحسبانٍ ﴾ الرحمن(٥) ".. قال مجاهد: " الحسـبان الفلـك المستدير يشبه حسبان الرحى وهو العـود المسـتدير الـذي باستدراته تستدير المطحنة"[1]، ونجد أن هذا القول الذي ذهب إليه مجاهد وتبعه فيه بعض المفسرين والعلمـاء يتفـق مـع معلوماتنا الحديثة عن كوكب الشمس الذي يشبه في حركتـه المروحة الكهربائية أو الرحى على حد قول مجاهد التـابعي المشهور، الذي ذكره البخاري أيضا في كتاب (بدء الخلـق) باب صفة الشمس والقمر بحسبان: قال مجاهـد: كحسـبان الرحى، وقال غيره: بحساب ومنازل لا يعـدوانها، حسـبان جماعة حساب، مثل شهاب وشهبان[2].

٢ – ٥ كما عرفت الجماعة العربية أيضا أن للشمس حركتين؛ إحداهما من المغرب إلى المشرق بحسـب ذاتهـا

---

(١) البحر المحيط ٨ / ١٨٨ .

(٢) البخاري ٤ / ١٣١ ط الشعب .

وذلك يتم في سنة كاملة، وبسـبب ذلـك تحصـل السـنة، والأخرى حركتها من المشرق إلى المغرب بحسـب حركـة الفلك الأعظم[1] وتتم في اليوم بليلته، وينـتج عنهـا الليـل والنهار، لقد كانت الشمس تبسط سلطانها بأشعتها كمصـدر للحياة والنماء على الجماعة العربية الأولى، فسـمتها إلهـة لتعظيمهم وعبادتهم لها، قال الشاعر[2]:

---

[1] يعني الفلك الأعظم: العرش، جاء في الحديث قال الرسول ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب ؟ قال: ا   ورسوله أعلـم: قال: فإنها تذهب حين تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها .

انظر الحديث كتاب بدء الخلق، البخاري ٤/ ١٣١ ط الشعب، يقول ابن حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ والشمس تَجرِي لِمستَقَر لها ذَلِك تَقْـدِير الْعزِيزِ الْعلِيمِ ﴾ يس (٣٨) " مستقر الشمس بين يدي العرش تسجد فيـه كل ليلة بعد غروبها كما جاء في حديث أبي ذر، قـال الزمخشـري: بمستقر لها: حد لها مؤقت تنتهي إليه من فلكها .. شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره. قال الرازي :" المستقر من جهة الزمان الليل أو السنة، ومن جهة المكان غاية ارتفاعها في الصيف وانخفاضها فـي الشـتاء" البحر المحيط ٧ / ٣٣٦ .

[2] اللسان: لعب، المخصص ٩ / ١٩ .

تروحنـا مـن اللعبـاء قصـرا فأعجلنـــا الإلهـــة أن تؤوبـــا

ولهذا نهاهم الإسلام عن ذلـك بقولـه تعـالى: ﴿ لاَ تَسجدوا لِلشمسِ ولاَ لِلْقَمرِ واسجدوا ـ الَّذِي خَلَقَهن ﴾ فصلت (٣٧).

كما عرفت الجماعة العربية تسميات متباينة وصفت بها القمر مثل الهلال والبدر والمحاق، عرفت أيضا تسميات وصفت بها الشمس منها[1].

ذُكاء: سميت بذلك لأنها تذكو كما تذكو النـــــار.

الضح: سميت بذلك لشدة ظهورهـا وبروزهـا، والضـحوة والضحى ارتفاع النهار.

الغزالة: من أسماء الشمس إذا ارتفع النهار، وقيل إن اللفـظ اسم للشمس.

الجونة: سميت بذلك لبياضها واللفظ من الأضـداد بمعنـى الأبيض والأسود.

---

[1] ابن قتيبة ١٣٤ وابن سيده ٩ / ٢٠ انظـر هـذه التسـميات فـي مواضعها باللسان.

الجارية: سميت بذلك لأنها تجري من الشرق إلى الغرب كل يوم.

كما سمت الجماعة العربية ضوء الشمس: شعاعا وهو الذي نراه كأنه الحبال مقبلة عليك إذا نظرت إليها، ولعاب الشمس وهو الذي تراه في شدة الحر يبرق مثل نسج العنكبوت أو السراب، وعلاط الشمس والجمع أعلاط، وهو ما نراه من الشمس أشبه بالخيوط، كما قالت لوجه الشمس: عين الشمس، ونواحيها قرون الشمس، وحواجبها بمعنى أول ما يبدو منها في الطلوع، وقرن الشمس أعلاها، وأول ما يبدو منها.

كما عبرت عن شروقها وغروبها بقولهم: طلعت وبزغت وذرت في شروقها، وتضيفت ودلكت وغابت إذا غربت، ويقولون تضيفت إذا ذهب ضوؤها ودلكت إذا زالت عن كبد السماء، كما يقولون: أتيته والشمس دنف أي: عندما اصفرت وقاربت المغيب كأنها شبهت بالمريض لصفرته وضعفه، ووضعت أيضا بعض الألفاظ الواصفة لحركة الشمس اليومية لتكون علامات على ساعات أو أوقات اليوم

مثل: السحر، والإشراق، والضحى، والظهيـرة، والـزوال، والأصيل، والدلوك، والشفق[1].

وقد اختار التشريع الإسلامي حركة الشمس اليوميـة لتحديد مواقيت الصلاة ثلاث صلوات أثنـاء غيابهـا لـيلا، واثنتين أثناء حضورها نهارا، وكما سنعرف فيمـا بعـد أن اليوم الجديد كان يبدأ لدى الجماعة العربية من لحظة غروب شمس اليوم السابق، وينتهي بشروقها في اليوم التالي، وعلى ذلك تكون أولى صلوات اليوم صلاة المغرب التي تكون مع مغيب قرص الشمس، وتكون العشاء الصلاة الثانية مع مغيب الشفق أو حلول الظلام أو العتمة، وتكـون صـلاة الفجـر الصلاة الثالثة، وتبدأ مع الإصباح أي ظهور البياض المنبسط على الأفق وقبل شروق الشمس، وهذه هي صـلوات الليـل الثلاث، أما صلاتا النهار فهما الظهر والعصر، وتكون صلاة الظهر عندما تميل أو تزول الشمس عـن وسـط السـماء، ويكون ظل كل شيء مثله، وتكون صـلاة العصـر عنـدما تصفر الشمس في الأرض والجدران، ليس باصفرار عينها؛

---

[1] انظر هذه الأوقات بالتفصيل الفصل الثالث البـاب الثـاني أوقـات النهار والليل.

لأنها لا تصفر حتى تغرب[1]، وحينئذ يزيد ظل كل شيء عن مثله، وعندما يزيد عن ذلك يخرج وقت العصر[2]. وقد جاء في الموطأ أن عبد ا بن أبي رافع مـولى أم سـلمة زوج

---

[1] ذهب بعض الفقهاء إلى أن الأفق الغربي يعتريه بعد الغروب أحوال ثلاثة متعاقبة: احمرار، فبياض، ثم سواد، والشفق عنـد أبـي حنيفـة البياض، وغيبته ظهور السواد بعده، ومتى ظهر وقت السواد المغـرب وجاء وقت العشاء، وعند غيره ينتهي وقت المغرب بمغيـب الشـفق الأحمر، وقدر ذلك ساعة وأربع دقائق من مغيب قرص الشمس.

[2] يمكن معرفة ذلك بغرز عود أو نحوه في أرض مستوية قبل الظهر تحت الشمس، وحينئذ يكون له ظل ثم يأخذ في الـنقص حتـى يقـف ويكون ذلك وقت الاستواء، وإذا أخذ الظل في الزيادة فيعني هذا زوال الشمس، وسط السماء ويكون ظل العود مثله وهذا الظهر، وعندما يزيد على ذلك يكون في وقت العصر، لقد كان الظل أول جهاز لقياس الوقت اخترعه الإنسان وعرفه القدماء المصريون -الذي عرف فيما بعد باسم المزولة الشمسية، يعود الفضل إلى العرب الذين طوروا هـذا الجهـاز الذي يكون استعماله أثناء ساعات النهار فقـط، ممـا دفـع الإنسـان المصري القديم أيضا إلى اختراع الساعة المائية، وهي عبـارة عـن وعاء يتسرب منه الماء نقطة نقطة إلا أنه لا يمكن استخدامها عنـدما يتجمد الماء في فصل الشتاء، وتشبه هذه الساعة أيضـا فـي فكرتهـا الساعة الرملية التي تسجل نفوذ الرمل من فتحات صغيرة.

النبي ﷺ سأل أبا هريرة عن أوقات الصلاة فقال له: صل الظهر إذا كان ظلك مثلك، والعصر إذا كان ظلك مثليك، والمغرب إذ غربت الشمس، والعشاء ما بينك وبين ثلث الليل، فإن نمت إلى نصف الليل فلا نامت عينك، وصل الصبح بغلس[1].

٢- ٦ ارتبطت حركة الشمس اليومية بظواهر طبيعية ساهمت في تحديد أوقات الزمان، وقد وضعت الجماعة العربية ألفاظا واصفة مثل: الظل والفيء والسراب والآل.

الظل: هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة لا ظل، وظل كل شيء شخصه، ومكان سواده أو ما وارى الشمس منه، والجمع ظلال وأظلال وظلول، وعكس الظل الضح، والظُّلّة كل ما أظلك والجمع ظُلَل، والمظلة من بيوت الأعراب كالخيمة.

---

[1] انظر الموطأ باب فوت الصلاة ص ٣٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولفظ غلس ص ١٧٦ من الدراسة.

لقد كانت ظاهرة الظل شيئا هاما في حيـاتهم، وقـد جعلها ا –سبحانه- آية من آيات قدرته التي ذكرهم بها في قوله تعالى: ﴿ أَلَم تَر إِلَى ربك كَيفَ مد الظل ولَو شاء لَجعلَه ساكِنًا﴾ الفرقان (٤٥) وقوله تعالى: ﴿ وا ُ جعلَ لَكُم مما خَلَقَ ظِلاَلًا﴾ النحل (٨١)، أي: جعل لكم من الأشجار وغيرها مما تستظلون به من شدة الحر، لقد كان الظل شيئا محببـا لـدى الجماعة العربية التي كانت تعيش حر الشمس، انظـر قـول الهذلي متغزلا في محبوبته[1]:

ولم تر ظلا يشتهي الناس برده

سوى ظلها أو جمالا لمنزل

ولهذا نجد ا –سبحانه- يعِد المتقين من المـؤمنين جناتٍ ذات ظلال في قوله تعالى: ﴿ إِن الْمتقِين فِـي ظِـلاَلٍ وعيونٍ ﴾ المرسلات (٤١)، وقوله تعالى: ﴿ لهم فِيها أَزواجٌ مطَهرةٌ ونُدخِلُهم ظِلًا ظَلِيلًا ﴾ النساء (٥٧)، وجاء في الحديث:

---

[1] شرح أشعار الهذليين ٢ / ٢٥٧ .

" إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عـام" أي في ذراها وناحيتها[1].

استعملت الجماعة العربية لفظ الظل فـي تعبيراتهـا وتشبيهاتها اللغوية فقالت: ظل يفعل كذا لكل عمل بالنهـار، كما قالت بانت يفعل كذا لكل عمل بالليل، وقالت: "عاش فلان في ظل فلان" أي: في كنفه وحمايته كأنه ألقى عليه ظللـه. واستعملت الإظلال أيضا بمعنى الدنو، فقالت: أظلك الشيء: أي: دنا منك حتى ألقى عليك ظله من قربه، جاء في الحديث أنه ﷺ خطب آخر يوم من شعبان فقال: " أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم" يعني: شهر رمضان أي: أقبل عليكم ودنا مـنكم كأنه ألقى عليكم ظله" [2] وقد تكرر الظل كثيرا في الحـديث مثل قوله ﷺ: " الجنة تحت ظلال السيوف" و"سبعة يظلهم ا بظله يوم القيامة".

لا يزال المعجم العربي يمدنا بتعبيرات تتصل بالظل وتصور مدى ارتباطـه بالجماعـة العربيـة فـي بيئتهـا

---

[1] النهاية في غريب الحديث ٣ / ١٦٠ .

[2] المصدر نفسه ٣ / ١٦٠ انظر اللسان: ظلل.

الصحراوية مثل: الظل طباق الخف، بمعنى انتصاف النهار، ومن هذا القبيل أيضا قولهم: انتعلت المطايا ظلالها، وانتعـل الظل فصار جوربا، وقالت أيضا: أتيته حين ينشد الظبي ظله أي: حين يشتد الحر ويطلب الظبي كناسا يكتن فيه من شـدة الحر، ويكون ذلك وقت الظهيرة أو الهاجرة، كما عبرت عن قصر الوقت ومروره بسرعة بقولهم: يوم كظل الـذئب: أي مر سريعا، وقالوا لليوم الطويل: يوم كظل النعامة، وقـالوا: يوم كظل الرمح، ويوم أضيق مـن ظـل الـرمح إذا كـان قصيرا[(١)].

الفيء: كما استعملت الجماعة العربية لفـظ الظـل للتعبير عن حركة الشمس بالغداة وقبل الزوال، استعملت لفظ الفيء للتعبير عن حركة الشمس بالعشي[(٢)]. من هذا القبيـل قول الهذلي[(١)]:

---

(١) لسان العرب: ظلل.

انظر رسائل البيروني، الرسالة الثانية إفراد المقال في أمر الظلال ص ١٢ وما بعدها.

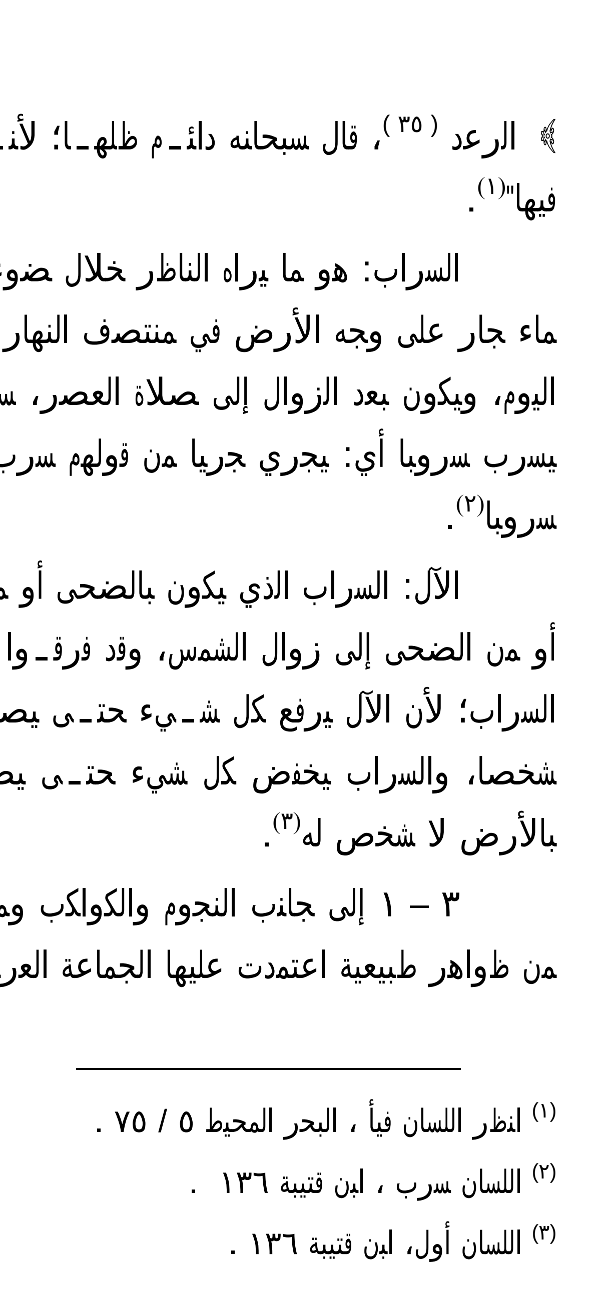
(٢) جاء اللفظ في القرآن بدلالات أخرى؛ فالفيء الغنيمة والخراج، وهو ما أفاء ا على المسلمين من أموال الكفار كأنها كانت في الأصل لهـم

لعمري لأنت البيت أكرم أهلــه وأقعــد فــي أفيائــه بالأصــائل

وقد جاء اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ أَوَلَم يروا إِلَى ما خَلَقَ ا ُ مِن شَيءٍ يتَفَيأُ ظِلاَلُه عـن الْيمِـين والشمائِل ﴾ النحل (٤٨)، واللفظ مشتق من قولهم: فاء يفيء فيئًا بمعنى: رجع وهو اسم لما يفيء من جانب إلى جانـب، وأصل الفيء الرجوع، ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال فيء؛ لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق، والفيء على ذلك كل ما كانت عليه الشمس فزالت والجمـع أفيـاء وفيوء، وقيل: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل؛ لهذا قـالوا: ظـل الجنة، ولم يقولوا: فيؤها. انظر قوله تعالى: ﴿ مثَـلُ الْجنـةِ الَتِي وعِد الْمتقُون تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهار أُكُلُها دائِمٌ وظِلها

ثم رجعت ﴿ مِما أَفَاء ا ُ علَيك ﴾ الأحزاب (٥٠) والفيء رجوع الرجل إلى جماع المرأة بعد الإيلاء أي: بعد حلفه ألا يجامعها ﴿ فَإِن فَاءوا فَإِن ا َ غَفُورٌ رحِيمٌ ﴾ البقرة (٢٢٦).

(١) شرح أشعار الهذليين ١ / ١٤٢ .



﴾ الرعد (٣٥)، قال سبحانه دائم ظلها؛ لأنه لا شمس فيها"[١].

السراب: هو ما يراه الناظر خلال ضوء الشمس كأنه ماء جار على وجه الأرض في منتصف النهار إلى سائر اليوم، ويكون بعد الزوال إلى صلاة العصر، سمي بذلك لأنه يسرب سروبا أي: يجري جريا من قولهم سرب الماء يسرب سروبا[٢].

الآل: السراب الذي يكون بالضحى أو من الضحى، أو من الضحى إلى زوال الشمس، وقد فرقوا بينه وبين السراب؛ لأن الآل يرفع كل شيء حتى يصير آلا، أي: شخصا، والسراب يخفض كل شيء حتى يصير لازقا بالأرض لا شخص له[٣].

٣ – ١ إلى جانب النجوم والكواكب وما ارتبط بها من ظواهر طبيعية اعتمدت عليها الجماعة العربية لتحديد

---

(١) انظر اللسان فيأ ، البحر المحيط ٥ / ٧٥ .

(٢) اللسان سرب ، ابن قتيبة ١٣٦ .

(٣) اللسان أول، ابن قتيبة ١٣٦ .

أوقات الزمان، نجد جانبا آخر من جوانب البيئة كان له صلة كبيرة في تحديد أوقات الزمان أيضا، ونعني بذلك الحيوانات التي عرفتها بيئة الجماعة العربية ولعبت دورا هاما في تعيين وقياس أوقاتها.

كانت الإبل كما هو معروف من أهم الحيوانات في البيئة العربية الصحراوية وقد اتخذتها الجماعة العربية آلة للتعبير عن أوقات الزمان، وقد سبق أن أشرنا إلى تعبيرات تشير إلى وقت الظهيرة أو انتصاف النهار مثل المطايا ظلالها، والظل كطباق الخف، من ذلك قول الأعشى عن ناقته:

إذا لاوذ الظل القصير بنحرها   فكان طباق الظل أو قل زائدا

ومن هذه التعبيرات الزمانية التي ترددت كثيرا في كلام الجماعة العربية نثرا ونظما قولهم: فواق ناقة، كان يقول الرجل للآخر: أمهلني فواق ناقة أي: قدر ذلك الوقت، وهو ما بين الحلبتين من الراحة[1]، جاء في الحديث: عيادة

---

[1] كان من عادتهم أنهم يحلبون الناقة ثم يتركونها ساعة لتفيق، ويقولون: فاقت الناقة فاحلبها، وقد حدثني بعض الطلاب الصوماليين بمعهد اللغة العربية جامعة أم القرى أن اللغة الصومالية تعرف تعبير

المريض قدر فواق ناقة" [1] وما جاء في حـديث علـي ﵁ عندما قال له الأشتر يوم حنين: أنظرني فواق ناقة[2]، وقـد جاء هذا التعبير في الشعر أيضا في قول أبي تمام[3]:

قبيل وأهـل لـم ألاق مشـوقهم   لوشك النوى إلا فواقـا كـلا ولا

يصف أبو تمام خفة مكث عشيرته وسرعة ارتحالهم، وأنه لم يجمعهم وإياه إلا وقت قصير، ولم يرض بلفظ الفواق للتعبير عن قصر الوقت وسرعته، فجعله مقـدار مـا يلفـظ القائل كلمة لا[4]، ومن ذلك قول أبي نواس متغزلا[5]:

Heskinta geele بمعني وقت الضحى، ويعني التعبير حرفيا: حلـب الإبل.

[1] النهاية ٣ / ٢٥١ .

[2] المصدر نفسه ٣ / ٤٨٠ .

[3] المرزوقي شرح شعر أبي تمام ص ٧٦

[4] يقول المرزوقي : شاع تعبير لا للدلالة على قصر المـدة الزمانيـة ومن ذلك قول جرير:

يكون نزول الركب فيه كلا ولا عشاشا   ولا يدنون رحلا إلى رحل

[5] الديوان

فراجعي الوصل فـإن زرتكـم قدر فواق ناقـة فـاحلقي رأسـي

وكما استعملت الجماعة العربية لفظ الفـواق الـذي يعني قدر الوقت ما بين الحلبتين للناقة -معادلا دلاليا للتعبير عن قصر الوقت أو سرعته، استعملت أيضا لفظ العتم اسـما للثلث الأول من الليل، واللفظ مأخوذ من العتم بمعنى: الحبس وهو المكث أو الإبطاء والتأخير؛ لأنه كان من عادتهم حبس الإبل والغنم بعد المغرب وتأخيرها في مراحها ثم يستفيقونها بعد ساعة من الليل للحاب، وقد سميت تلك الساعة بالعتمـة ومن ذلك العواتم أي: الإبل التي تحاب في ذلـك الوقـت[1]، ونجد ألفاظا أخرى تتصل بشرب الإبل [2] للتعبير عن أوقات الزمان.

---

[1] اللسان عتم.

[2] وضعت الجماعة العربية ألفاظا واصفة لأوقـات شـرب الإبـل أو سيرها للماء، مثل: الطلق بمعنى سيرها للماء نهارا، والقرب سـيرها للماء ليلا، والغب سيرها للماء يوما بعد يوم، والربع كل ثلاثـة أيـام، والخمس كل أربعة أيام. كما سمت الشرب الأول: نهلا، والثاني: عللا، انظر هذه الألفاظ في مواضعها باللسان.

الورد: يعني اللفظ الماء الذي ترده الإبل والطير، كما يعني: ذهاب الإبل والإنسان أيضا إلى الماء كل يوم، وهـو خلاف الصدر بفتح الصاد والدال الذي يعني رجوع الـوارد من الورد، انظر قوله تعـالى: ﴿ لَا نَسْـقِي حَتَّـىٰ يُصْـدِرَ الرِّعَاءُ﴾ القصص (٢٣) أي: عندما يرجع الرعاة من سقيهم، ومن أمثالهم تركته على ليلة الصدر، أي: لا شيء عنده الليلة لا يبقى فيها حيوان وإنسان على الماء، ومن هذا القبيل أيضا قولهم للذي يبتدئ أمرا ولا يتمه: فلان يورد ولا يصدر، وإن أتمه قالوا له: أورد وأصدر[1].

وقد استعملت الجماعة العربية لفظ الـورد بمعنـى الجزء من الليل يصليه الرجل، والورد الجزء مـن القـرآن يقرؤه الرجل كل ليلة، وكان الحسن وابـن سـيرين يقـرآن القرآن من أوله إلى آخره ويكرهان الأوراد، جمـع ورد أي الجزء، وكانوا قد جعلوا القرآن أجزاء؛ كل جزء منهـا فيـه سور مختلفة على غير تأليف؛ حتى يعـدلوا بـين الأجـزاء ويسووها، وكانوا يسمونها الأوراد.

---

[1] النهاية ٥ / ١٧٣

الغب: من أوراد الإبل، وهو أن تـرد المـاء يومـا وتدعه يوما، ومن ذلك قولهم: أغبت الإبل: لم تأتِ كل يـوم بلبن، وغب فلان: إذا جاء زائرا يوما بعد يوم، أو جاء يوما في الأسبوع، جاء في الحديث: "أغبوا في عيـادة المـريض" أي: لا تعودوه في كل يوم؛ لما يجده من ثِقَل العواد، وجـاء في الحديث أيضا: "أغبوا في عيادة المريض وأربعـوا" أي: زوروا المريض يوما بعد يوم، وأربعوا أي: دعـوه ثلاثـة وأتوا إليه في اليوم الرابع[1]، ومن أمثالهم: " زر غبا تـزدد حبا" قال الشاعر[2]:

إذا شئت أن تُقلَى فزر متـواترا وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبـا

ومن كلامهم: أقصر من غـب الحمـار، ويقولـون أيضا: أقصر من ظمأ الحمار؛ لأن الحمار لا يصـبر علـى الماء أكثر من غب ولا يربع، والربع بكسـر الـراء بعـد الغب[3].

---

[1] النهاية ٣ / ٢٣٦ واللسان .

[2] الميداني ٢ / ٨٧ .

[3] اللسان غبب الميداني ٢ / ٨٧ .

الظاهرة: أن ترد الإبل أو الخيل الماء كل يوم ظهرا وتصدر عند العصر، ومن ذلك قولهم: أقصر مـن ظـاهرة الفرس؛ لأن الفرس لا بد له أن يسقى كل يوم[١]:

كانت الإبل -كما نعرف- من أهم حيوانات الجماعة العربية التي اتخذتها وسيلة للحركة والسفر، وقد كان سفرها دائما ليلا لتتجنب شدة الحرارة؛ ولهذا قالوا: " اتخـذ الليـل جملا[٢] " لمن يعمل ليلا، وكأن الليل أشبه الجمل لأن كليهما يسهل أمر العمل أو السير.

٣ – ٢ ولا تزال الجماعة العربيـة الأولـى تمـدنا بتعبيرات زمانية ترتبط بالحيوانـات التـي عرفتهـا البيئـة الصحراوية، ومن هذه التعبيرات قولهم: ذنب السـرحان [٣] بدلالة وقت الفجر الكاذب، قد شبهوا ذلك الوقت بذنب الذئب الأسود؛ لأن باطن ذيله أبيض، وبجانبيه سواد، كما عبـروا عن انتصاف النهار أو وقت الظهيرة بقولهم: أتيته حين ينشد

---

[١] اللسان: ظهر الميداني ٢ / ٥٣ .

[٢] الميداني ١ / ٢٣٧ .

[٣] اللسان ذنب.

الظبي ظله [1] وذلك لأن الظبي يطلب كناسا يكتن فيه حـين يشتد الحر ظهرا، وقالوا أيضا: لقيته عن عفر: أي: بعد فترة قصيرة، والتعبير مأخوذ من تعفير الظبية لولدها، أي قطعـه عن الرضاع يوما أو يومين، فإن خافت عليه ردته للرضـاع أياما ثم أعادته للفطام، وقيل: إن التعبير مأخوذ مـن تعفيـر المرأة ثديها بشيء من التراب؛ لتبعد طفلها أياما عن الرضاع تمهيدا للفطام[2].

ومن هذه التعبيرات قولهم: سنة الحمار بمعنى السنة المائة؛ فقد كانت العرب تسمي كل مائة عام بهذا الاسم، يقول الثعالبي[3]: إن أصل هذا التعبير يعود إلى الحمار الذي مات مع صاحبه مائة سنة وأحياهما ا [4]، وقد سموا مروان بـن

---

[1] اللسان: ظبو .

[2] اللسان: عفر .

[3] الثعالبي ثمار القلوب ٣٧٢ انظر أيضا السير للذهبي ٦ / ٧٤ .

[4] انظر قوله تعالي ﴿ أَو كَالَّذِي مر علَى قَريةٍ وهِـي خَاوِيـةٌ علَـى عروشِها قَالَ أَنى يحيِي هذِهِ ا ُ بعد موتِها فَأَماتَه ا ُ مِائَـةَ عـامٍ ثُـم بعثَه ... فَانْظُر إِلَى طَعامِك وشَرابِك لَم يتَسنه وانْظُر إِلَـى حِمـارِك﴾ البقرة (٢٥٩) .

محمد: مروان الحمار؛ لأنه على رأسه استكمل ملـك بنـي مروان مائة سنة، فصارت سنة الحمار اسـما لكـل مائـة، ويستطرد الثعالبي قائلا: وسمعت أبا نصر العتبـي يقـول: عرض على بعض الأدباء حمارٌ أراد ابتياعه، فوجده مسـنا فقال: أرى هذا الحمار ولد قبل سنة الحمار.

كما تنقل لنا مصادر اللغة والأدب تعبيرات زمانيـة تنتمي إلي بعض الحيوانات التي عرفتها البيئة العربية، مثـل قولهم: بات بليلة أنقد، لمن يظل ساهرا لا ينام الليل، والأنقد هنا القنفد؛ لأنه لا ينام الليل بل يجول طوالـه، كمـا قالـت الجماعة العربية: " ليلة العقرب" لليلة الطويلة؛ لأن الملـدوغ لا يستطيع أن ينام فيها.. وقالوا للرجل الذي يـداوم العمـل ليلا: أسرى من جندب[1]، وعبروا عن قصر الوقت بقـولهم: أسرع من تلمظ الورل[2]، وعبروا عن العمر المديد بقـولهم:

---

[1] زهر الأكم ٣ / ١٦١ .

[2] المصدر نفسه ٣ / ١٦١ .

عمر الحسل، ومن ذلك قول رؤبة الرجاز لمن سـألته عـن سنه[1]:

تسألني عن السـنين كـم لـي فقلت لها عمرت عمـر الحسـل

كما قالوا: لا آتيك سن الحسل، أي: أبـدا؛ لأن سـن الحسل أي: ولد الضب لا يسقط أبدا.

٣ – ٣ ساهمت الطيور مثل الحيوانات فـي تحديـد أوقات الزمان لدى الجماعة العربية التي اسـتعملت الطيـر معادلا دلاليا للتعبير عن وقت البكور، من ذلك قول امـرئ القيس:

وقد أغتدي والطير في وكناتهـا بمنجـرد قيـد الأوابـد هيكـل

أراد أنه يخرج راكبا فرسه فـي الصـباح البـاكر، واستعمل تعبير والطير في وكناتها بدلالة البكور.

الورل بفتح الواو والراء: حيوان في حجـم الضـب عرفتـه البيئـة الصحراوية، واللمظ إخراج اللسان لمسح الشفتين، يقال أيضـا: لمـظ الماء ذاقه بطرف لسانه.

[1] اللسان: حسل والأمالي ١ / ٢٣٤ .

ولعل الديك يعد من أكثر المعادلات الدلالية تعبيرا عن وقت الصباح أو البكور في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات، فهو يعتبر في كثير من المجتمعات الإنسانية من أهم آلات ضبط الوقت إذا صح التعبير[1]، يقول المرزوقي:.. إن الزمان تقدير الحوادث بعضها ببعض؛ كقولك: غرد الديك وقت طلوع الفجر، وطلع الفجر وقت تغريد الديك، فيصير كل واحد من طلوع الفجر وتغريد الديك وقتا للآخر"[2]، من ذلك قول الشاعر[3]:

---

[1] حدثني بعض الأفريقيين الذين يدرسون بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، بأن اللغة السواحلية تعرف تعبير: خرج وصياح الديك، أي: قبل شروق الشمس، ورجع الدجاج أي: بعد غروب الشمس، كما تعرف لغة صنغاي في مالي والأمهرية في أثيوبيا نفس التعبيرين، كما تعرف اللغة المانيكية في غينيا تعبير: أمسكت بمنقار الديك أي: استيقظت أو خرجت مبكرا، و"جلست قدر تغوط الديك" أي: وقتا قصيرا، كما حدثني بعض الطلاب الآسيويين أن اللغة التركية والمارناوية في الفلبين تعرفان تعبير صياح الديك بمعنى البكور .

[2] المرزوقي الأزمنة والأمكنة ١ / ١٣٩ .

[3] أبو عبيد مجاز القرآن ٢ / ٨٢ .

شربت إذا ما الديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعس دنـوا فتصـوبوا

ويبدو أن الجاحظ قد لاحظ الديك وراقبه؛ لأننا نـراه يتحدث عن دوره في تحديد ساعات الليـل وطلـوع النهـار فيقول: ".. إنه يعرف آناء الليل وعـدد السـاعات وتقـادير الأوقات، ثم يقسط أصواته على ذلك تقسيطا موزونا لا يغادر منه شيئا، ثم قد علمنا أن الليل إذا كان خمس عشرة سـاعة، فإنه يقسط أصواته المعروفة بالعدد عليها، كما يقسطها والليل تسع ساعات، ثم يضع فيما بين ذلك مـن القسـمة وإعطـاء الحصص على حساب ذلك، فلـيعلم الحكمـاء بأنـه فـوق الإسطرلاب، وفوق مقدار الجذر والمد على منـازل القمـر، حتى كأن طبعه فلك على حده.. ويستطرد الجاحظ قائلا: ".. كما أنه يدل على أن موضعه مأهول مأنوس؛ ولذلك قالوا: لا يكون البنيان قرية حتى يصقع فيها ديـك، قـال عبـدة بـن الطيب:

إذا صفق الديك يدعو بعض أسرته إلى الصباح وهم قوم معازيـل

كما ينقل لنا الجاحظ ما رواه عبيد ا بن عبد ا بن عتبة أنه قال: صرخ ديك عند النبي ﷺ فسبه بعض الصحابة،

فقال ﷺ: ((لا تسبه فإنه يدعو للصلاة. وفي رواية أخرى: إنه يؤذن للصلاة[1])) [2].

يذكر أبو حيان التوحيدي ما نعرفه عن الديك من أنه يوقظ النائم بصياحه، ويبشر بإقبال الصباح وطلوع الشمس، ويوقظ الفلاحين لعملهم والصناع، كما ينقل لنا قول أحد الأعراب: أتيت فلانا قبل أن ينطق الديك[3].

لقد كان تعبير صياح الديك متداولا مشهورا لتعيين وقت الصباح الباكر، يقول أبو حيان الأندلسي نقلا عن ابن الأنباري: يجوز أن نقول: خروجنا وصياح الديك، أي: وقت

---

[1] جاء في الحديث قوله ﷺ : " إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطانا" صحيح مسلم بشرح النووي ٦ ، ٥٧٤ ط الشعب .

[2] الحيوان ٢ / ٢٤١ ، ٢ ، ٢٥٨ .

[3] الإمتاع والمؤانسة ١ / ١٨٧

صياح الديك"[1]، كما نجد أيضا تعبير: حسو الـديك بدلالـة قصر الوقت أو سرعته، ومن ذلك قول الشاعر[2].

ونوم كحسو الديك قد بات صحبتي ينالونه فوق القـلاص العباهـل

كما قالوا أيضا: حسو الطير؛ لأنها مثل الـديك، إذا شربت حطت رأسها في الماء ثم رفعته بسرعة، ومن ذلـك قول ذي الرمة[3]:

ونوم كحسو الطير نازعت صحبتي على شعب الأكوار فوق الحوارك

ومن هذا القبيل قولهم أيضا: "أقصر من إبهام القطا " أمارة لقصر الوقت أو سرعة انقضائه. ومـن ذلـك قـول جرير[4]:

ويـوم كإبهـام القطـا محبـب إلي هـواه غالـب لـي باطلُـه

---

[1] البحر المحيط ٥ / ٣٢٥ .

[2] الميداني ٣ / ٣٠١ .

[3] الديوان ٥١٠ .

[4] المستقصي ١ / ٢٧٣

وكما سبق أن رأينا تعبير: "والطير فـي وكناتهـا " عند امرئ القيس بدلالة البكور، نجد تعبيرا آخر يدل علـى هذا الوقت، وهو قبل العطاس يقول امرؤ القيس[1]:

وقد أغتدي قبل العطاس بهيكـل شديد مشك الجنب فعـم المنطـق

ومن ذلك قول المسيب بن علس[2]:

أرحلت من سلمى بغيـر متـاع قبل العطـاس وودعتهـا بـوداع

نجد المعجم العربي للجماعة العربية يمـدنا بـبعض التعبيرات الزمانية الأخرى: مثل لمـح البصـر، وارتـداد الطرف للتعبير عن قصر الوقت أو سرعته، ونجد التعبيرين في قوله تعالى: ﴿ وما أمر الساعةِ إلا كلَمح الْبصرِ أو هـو أقْرب ﴾ النحل (٧٨) وفي قوله تعالى: ﴿ أَنَا آتِيك بِهِ قَبـلَ أن يرتَد إِلَيك طَرفُك ﴾ النمل (٤١)، والطرف الجفن ويعبر بـه

---

[1] الديوان ١٧٢

[2] اللسان عطس

عن العين والبصر، ومثل هذين التعبيرين قولهم أيضا: " قبل عير وما جرى" [1] والعير هنا مثال العين وهـو الطـرف، وجريه حركته، فيكون معنى التعبير قبل أن يطرف الإنسان، قال الشماخ[2]:

وتعدو القبصى قبل عير وما جرى   ولم تدر ما بالي ولم أدر ما لهـا

وبعد أن رأينا كيـف سـاهمت البيئـة وظواهرهـا الطبيعية المختلفة في تحديد أوقات الزمان، ننتقل إلـى بيـان صورة الزمان ومفهومه لدى الجماعة العربية.

---

(1) الميداني ٢ / ٤٨٢ .

(2) اللسان: عير .

الفصل الثالث
الزمان والمجتمع

سبق أن أشرنا إلى أن مفهوم الزمان يرتبط ارتباطـا وثيقا بالإنسان الذي يحدده بناء على معايشـته للبيئـة التـي يعيش فيها من ناحية، والمجتمع الذي ينتمي إليه من ناحيـة أخرى، وإذا كان الزمان البيئي زمانا طبيعيا يرتبط بحركات الكواكب والأرض والشمس والقمر، فإن الزمان الاجتمـاعي يواكب حركات هذه الكواكب التي تتولد عنه تقسيمات زمانية مثل السنة، والفصل، والشهر، واليوم، والصباح، والمسـاء، والليل، والنهار، والشروق، والغروب، وغير ذلك، كما يربط بين هذه التقسيمات وبين أحداث ووقائع اجتماعية يمارسـها المجتمع في كل وقت من هـذه الأوقـات؛ مثـل الاحتفـاء بالمناسبات والمواسم والأعياد المختلفة، فالزمـان بوصـفه تجربة يتميز في جوهره بالتواتر والتكرار، فهو ينطوي على دورات متعاقبة لأحداث الميلاد والموت، والازدهار والذبول،

ودورات الأيام والشهور والفصول[1]، وإلـى جانـب هـذا الارتباط بين الزمان الطبيعـي وبـين الأحـداث والوقـائع الاجتماعية التي تعيشها الجماعة وتمارسها وفقا لمعتقـداتها وتصوراتها، فإننا نجد مفاهيم جمعية للزمان لدى كل مجتمع يعبر عنها لغويا بألفاظ وتعبيرات تعكس وتصور لنـا هـذه المفاهيم[2].

١ – ١ إن المجتمعات الإنسانية تتفق فـي معرفتهـا لأوقات الزمان مثل الفصول والشهور والأيام والليل والنهار التي تعتمد على الحركة اليومية للأرض، والدورة الاعتيادية للقمر والشمس، إلا أن بعض هذه الوحدات الزمانية لا تتفـق

---

(١) International Encyclopedia of social sciences m p. ٣٦ , vol. ١٦

[2] تعرف بعض اللغات الأفريقية والآسيوية لفظي اليوم والنهار؛ فاللغة السواحلية تستعمل لفظ siky لليوم ولفظ machann للنهار، وتستعمل لغة اليوربا في نيجيريا لفظ ojo لليوم ولفظ osan للنهار، وتسـتعمل التركية لفظ gun لليوم ولفـظ guanduz للنهـار، وتسـتعمل اللغـة المارناوية في الفلبين لفـظ Daw Dawn لليـوم ولفـظ Salangan للنهار، حدثني بذلك بعض الطلاب الذين يتكلمون هذه اللغـات بمعهـد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى مكة المكرمة.

جميعها ولا تأخذ مفهوما واحدا لدى هذه المجتمعات؛ فاللغـة الفرنسية مثلا تستعمل لفظ Le temps بدلالة الزمان ودلالة الطقس أيضا، كما تفرق مثل العربية بين مفهوم اليوم والنهار بلفظي La journee, Le jour أما الإنجليزية وبعض اللغات الأخرى فلا تعرف إلا لفظا واحـدا لليـوم Day فـإذا أراد متكلـم الإنجليزيـة أن يعبـر عـن النهـار قـال: day[1] Light، ومن هذا القبيل لفظ العام الموجود في كثيـر مـن اللغات الذي لا نجده في لغة قبائل الكنشـواس Qanechuas في بيرو، وإنما تستعيض عنه بالتعبير " توقفت الشمس " [2]، وإذا كانت كثير من المجتمعات الإنسانية تعرف هذا التعبير" مضى يومان " من الشهر أو الأسبوع، فإن هنـود الهـوبي Hopi يقولون هذه هي المرة الثالثـة التـي تضـيء فيهـا الشمس، كما يعرف هنود الهـوبي أيضـا ألفـاظ الماضـي والحاضر والمستقبل، ولكنهم يعبرون عـن ذلـك بحـالات

---

(١) لا تفرق بعض اللغات الأخرى بين اليوم والنهار بلفظين مختلفـين، وإنما تستعمل لفظا واحدا مثل لغة الهوسا في نيجيريا التي تستعمل لفظ Rana لليوم والنهار.

(٢) انظر كندراتوف الأصوات والإشارات ١١٣

مزاجية فقط، فهناك المزاج التوكيـدي Assertive mood مثل عبارة: "أؤكد وصوله" التي تشير إلى الأحداث التي تعبر عنها بالماضي والحاضر بمعنى وصل أو يصـل، وهنـاك أيضا المزاج الافتراضـي أو الظنـي Susceptive mood مثل عبارة أظنه قادم وهذه تماثل قولنا سيحضـر أو ربمـا يحضر" [1].

لقد سبق أن أشرنا إلى أنه إذا كان الزمـان النفسـي يرتبط بالذات الواحدة أو الآحاد من النـاس، فـإن الزمـان الاجتماعي يرتبط بذوات الناس أو مجمـوع الآحـاد الـذين يكونون العقل الجمعي الذي يشارك بدوره في إعطاء الزمان تصورات مختلفة تتباين من مجتمع لآخر، فالزمان النفسـي زمان خاص بالفرد، والزمان الاجتماعي زمان عام يشـترك فيه كل أفراد المجتمع[2].

نجد الزمان الفردي يقترن بالزمان الاجتماعي فـي الشكوى من الزمان لدى الشعراء في مثل هذه الأبيات:

---

[1] المصدر نفسه ١٢٥

[2] انظر ص (٤٧) من الدراسة .

يقولــون الزمــان بــه فســاد فهم فسدوا ومــا فســد الزمــان

وقول الشاعر:

نعيب الزمــان والعيــب فينــا ولو نطق الزمــان إذن هجانــا

وهذا تميم بن المعتز يشكو زمانه وقلة خلانه قائلا[١]:

لـــم يرضـــني زمنـــي كمـــا أرضـــى ســـواي فأرتضـــيه

زمـــن يقـــل بـــه الســـرور كقلـــة الإخـــوان فيـــه

وابن الرومي يعاتب صديقا بقوله[٢]:

وكنـــت إليـــك أذم الزمانـــا فأصـــبحت فيـــك أذم الزمانـــا

وكنـــت أعـــدك للنائبـــات فها أنـــا أطلـــب منـــك الأمانـــا

---

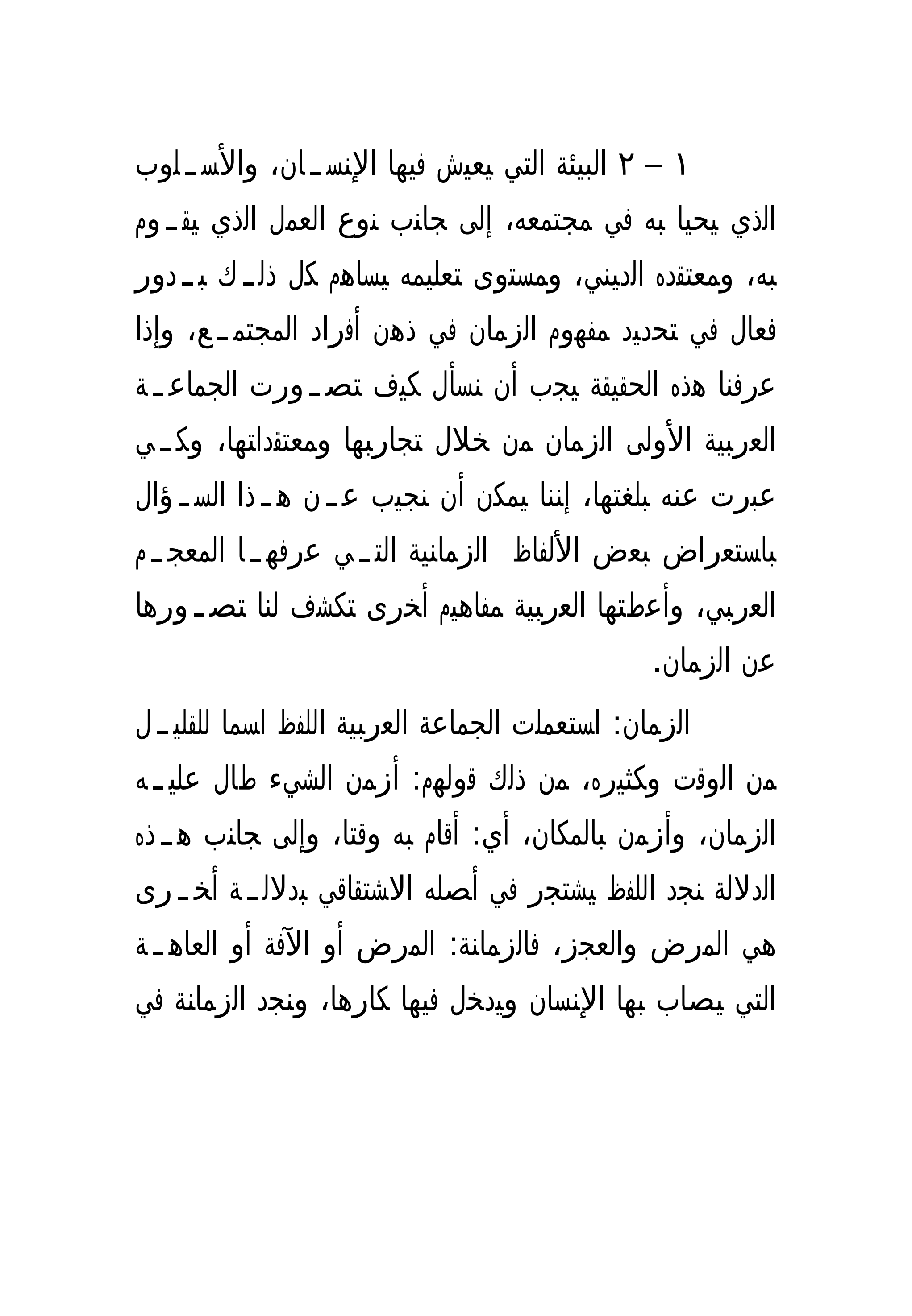
[١] الديوان ٢٧٤ ، ٢٦١

[٢] البصائر والذخائر ٤ / ١٢٩

إن كلا منا يكون مفهومه عـن الزمـان وتصـوره للماضي والحاضر والمستقبل من خلال لغته التي يكتسبها من مجتمعه؛ لأن اللغة تعبير صادق عن ثقافة المجتمع، بل هـي وعاء لهذه الثقافة التي تحمل تصوره ورؤيته لكل ما حولـه. إن هذه الثقافة تجعل أهم سؤال يسأل للطفل بعد سؤاله عـن اسمه: كم سنك؟ كما أن هذه الثقافة أيضا قد نجد في مثل هذا السؤال خروجا على آداب الحديث إذا وجه للمرأة، كما نجـد الثقافة تساهم كذلك -إلى حد كبير- في تحديد أوقات الزمان وقيمته، فوقت الفلاح في القرية ليس كوقـت العامـل فـي المدينة؛ فالأول يحدد لنفسه الوقت بحركة الشمس في السماء، والثاني يحدده له صاحب العمل بدقات السـاعة وحركـات عقاربها؛ لهذا نجد زمان العامل سريعا قصير الوحدات، يحدد بالساعة والثانية، وزمان الفلاح بطيئا طويل الوحدات مثـل: الصبح، والعصر، والمغرب؛ ولهذا نجده يضيق عندما نطالبه بتوقيت يلتزم بالساعة والدقيقة[1].

---

[1] د . زكي نجيب محمود، أفكـار ومواقـف ٢٧١ ط دار الشـروق ١٩٨٣



١ – ٢ البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والأسلوب الذي يحيا به في مجتمعه، إلى جانب نوع العمل الذي يقوم به، ومعتقده الديني، ومستوى تعليمه يساهم كل ذلك بدور فعال في تحديد مفهوم الزمان في ذهن أفراد المجتمع، وإذا عرفنا هذه الحقيقة يجب أن نسأل كيف تصورت الجماعة العربية الأولى الزمان من خلال تجاربها ومعتقداتها، وكي عبرت عنه بلغتها، إننا يمكن أن نجيب عن هذا السؤال باستعراض بعض الألفاظ الزمانية التي عرفها المعجم العربي، وأعطتها العربية مفاهيم أخرى تكشف لنا تصورها عن الزمان.

الزمان: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للقليل من الوقت وكثيره، من ذلك قولهم: أزمن الشيء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان، أي: أقام به وقتا، وإلى جانب هذه الدلالة نجد اللفظ يشتجر في أصله الاشتقاقي بدلالة أخرى هي المرض والعجز، فالزمانة: المرض أو الآفة أو العاهة التي يصاب بها الإنسان ويدخل فيها كارها، ونجد الزمانة في

شعر الهذليين تعني داء الحب الذي يعاني منه الرجل كما في قوله الشاعر[1]:

وقد خفت أن ألقى بليلي من الهوى زمانة وجـد مثـل وجـد المنخـل

فحبك ليلى حـين تـدنو زمانـةٌ ويلحاك في ليلى العريف المصحصح

والزمِن بكسر الميم، والزمين الذي أصـابه الـزمن بمرض أو آفة أو عاهة[2]، ونجد كتب اللغة ومصادر الأدب والتاريخ تستعمل اللفظ بهذه الدلالة، يقول أبـو حيـان فـي معرض كلامه عن الهجرة، أنها لا تستجب للشـيخ الفـاني والزمن، كما يقول في موضع آخر في تفسير قوله تعـالى: ﴿إن الذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ لَهم أجرٌ غَير ممنُـونٍ﴾ فصلت [4]، قال السدي[3]: نزلت الآية في المرضى والزمنى إذا عجزوا عن إكمال الطاعات.."، ويذكر التنوخي صـاحب (نشوار المحاضرة) قصة لبيد العابد الذي نهشت يـده حيـة

---

(1) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٥٢٢ ، ٣ / ١٠٣٩

(2) اللسان زمن، انظر ص (١١٩) من الدراسة .

(3) البحر المحيط ٧ / ٤٨٥ ، ٣ / ٣١٤

فشلت، ثم زمنت رجلاه واحدة بعد الأخرى"[١] أي: مرضتا، ويذكر لنا الزبير بن بكار أن ملك الروم بعث رسولا لأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور، فدخل عليه فسأله عن أشياء وأتاه بهدايا كثيرة، فأمر عمارة بن حمزة أن يركب معه إلى المهدي بالرصافة، فخرج حتى إذا كان على الجسر نظر الرسول الرومي إلى زمنى على الجسر يتصدقون، فقال للترجمان: قل لهذا – يعني عمارة – عندكم زمنى يتصدقون، وكان ينبغي لصاحبك أن يرحم هؤلاء من زمانتهم ويكفيهم مئونة أنفسهم وعيالهم، ويحمل عنهم الفقر والحاجة مع الزمانة[٢]، لقد اشتقت الجماعة العربية الزمانة من الزمن؛ لأنها اعتقدت أنها حادثة عنه، ويصور لنا بعض الشعراء ذلك أيضا، يقول أبو الفتح السبتي[٣]:

ليس الأمان من الزمان بممكن ... ومن المحال وجود ما لا يمكن

معنى الزمان على الحقيقة كاسمه ... فعلام نرجو منه أن لا يزمن

---

[١] نشوار المحاضرة ٢ / ٢٨٧

[٢] الأخبار الموفقيات ١٦٨

[٣] يتيمة الدهر ٤ / ٣٣٤

وقال آخر[(١)]:

يا زماناً ألبس الأحرار ذلا ومهانه
لست عندي بزمان إنما أنت زمانه

الدهر: نجد لفظ الدهر من أكثر الألفاظ دورانا في كلام الجماعة العربية وهو اسم لوقت من الزمان، وقيل: هو الزمان الطويل أو الأمد الممدود وإلى جانب الرجل الملحد وكلاهما منسوب للدهر. والدهر النازلة، يقولون: دهر بهم أمر أي: أصابهم مكروه[(٢)]، ومن ذلك حديث موت علي بن أبي طالب: " لولا قريش تقول دهره الجزع لفعلت"[(٣)]، والدهارير جمع الدهور: تصاريف الدهر ونوائبه، مشتق من لفظ الدهر.

يقول ابن الأثير في النهاية: "كان من شأن العرب أن تذكر الدهر وتسبه عند النوازل والحوادث التي تنزل بهم من

---

(١) شرح البلاغة ٣ / ٣٤٣

(٢) اللسان دهر انظر ص (١٢٠) من الدراسة.

(٣) النهاية ٧ / ١٤٤

موت أو هرم، فيقولون أصابتهم قوارع الـدهر وحوادثـه، وأبادهم الدهر فيجعلون الدهر الذي يفعل ذلك فيذمونـه" [١]

ونقرأ كثيرا من التعبيرات اللغوية التي تؤيد ذلك مثل: بوائق الدهر، نائبات الدهر، نكبات الدهر، حـدثان الـدهر، سـهام الدهر، ريب الدهر، يد الدهر[٢]، ونجد من يجعل الدهر غولا يلتهم الرجال، يقول امرؤ القيس[٣]:

لـم يحزنـك أن الـدهر غـول   ختـور العهـد يلـتهم الرجـال

ولعل هذا التصور جعلهم يستعملون لفـظ التـدهور الذي يشتجر مع لفظ الدهر في أصله الاشتقاقي بدلالة الفساد والتحلل، ومن هذا قولهم: دهور الشيء جمعه، والقذف به في مهواه[٤]، ولهذا قال الشاعر أيضا[٥]:

---

(١) النهاية ٢ / ١٤٤

(٢) الألفاظ الكتابية ١٥٤

(٣) الديوان ٣٠٩

(٤) اللسان دهر

(٥) يتيمة الدهر ٣ / ٣٤٣

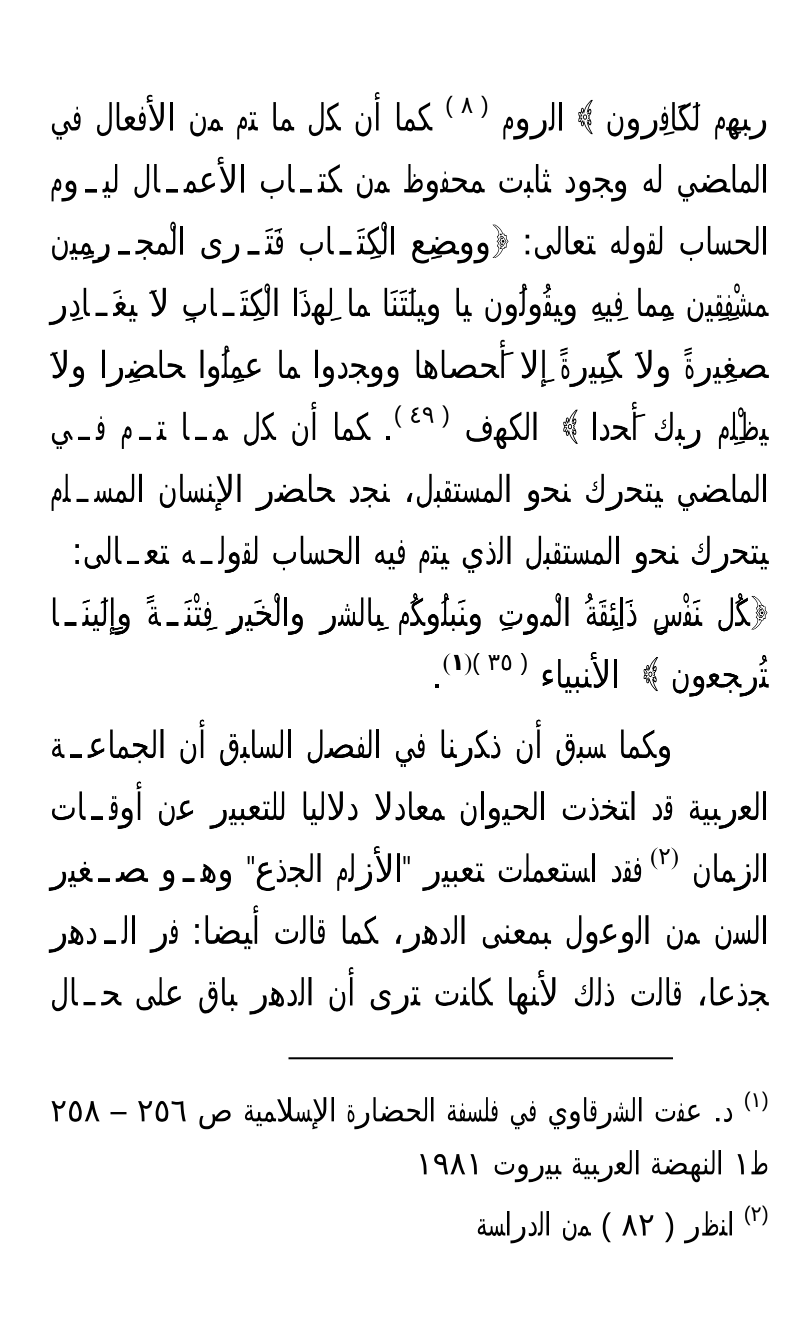
ألم تر أن الدهر يهـدم مـا بنـى ويسلب ما أعطى ويفسد مـا أسـدى

لقد نسبت الجماعة العربية للدهر كل شـيء؛ لأنـه يسيطر على كل شيء، وقد رد عليهم الشرع الإسلامي فـي قوله تعالى: ﴿ وقَالُوا ما هِي إِلا حياتُنَا الدنْيا نَموتُ ونَحيا وما يهلِكُنَا إِلا الدهر وما لَهم بِذَلِك مِن عِلْمٍ إِن هـم إِلا يظُنـون﴾ الجاثية (٢٤)، وجاء في الحديث قوله ﷺ: قال ا : يسب بنـو آدم الدهر وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار"[١].

لقد جرد الشرع الإسلامي لفظ الدهر من الإيحـاءات الجاهلية؛ فالفاعلية الحقيقية التي نسبت للدهر أو الزمان هـي ا -سبحانه وتعالى- وإن ثمة ضربين من الوجود: الوجود المتزمن؛ وجود المخلوقات، والوجود غير المتزمن؛ وجـود الخالق. الأول وجود فانٍ، والثاني وجود سـرمدي، كمـا أن هناك الزمان الماضي الذي يبدأ بخلق العالم ويتحـرك نحـو المستقبل الذي يتم فيه الحساب، كما نرى في قوله تعالى ﴿أَو لَم يتَفَكروا فِي أَنْفُسِهِم ما خَلَقَ ا ُ السماواتِ والأَرض ومـا بينَهما إِلا بِالْحق وأَجلٍ مسمى وإِن كَثِيرا من النـاسِ بِلِقَـاءِ

---

[١] البخاري ٨ / ٥١ ط الشعب



ربهم لكافرون ﴾ الروم (٨) كما أن كل ما تم من الأفعال في الماضي له وجود ثابت محفوظ من كتاب الأعمال ليوم الحساب لقوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ الكهف (٤٩). كما أن كل ما تم في الماضي يتحرك نحو المستقبل، نجد حاضر الإنسان المسلم يتحرك نحو المستقبل الذي يتم فيه الحساب لقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ الأنبياء (٣٥)[١].

وكما سبق أن ذكرنا في الفصل السابق أن الجماعة العربية قد اتخذت الحيوان معادلا دلاليا للتعبير عن أوقات الزمان [٢] فقد استعملت تعبير "الأزلم الجذع" وهو صغير السن من الوعول بمعنى الدهر، كما قالت أيضا: فر الدهر جذعا، قالت ذلك لأنها كانت ترى أن الدهر باق على حال

---

[١] د. عفت الشرقاوي في فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٥٦ – ٢٥٨ ط١ النهضة العربية بيروت ١٩٨١

[٢] انظر (٨٢) من الدراسة

واحدة، كأنه فتى لا يسن ولا يتغير مثل الوعول والظباء التي لا يسقط لها سن، فهي جذعان أبدا، وجاء التعبير في قولهم: لا آتيه الأزلم، أي: لا آتيه أبد الدهر، وأودى به الأزلم الجذع أي: هلكه الدهر ومن ذلك قول الأخطل[1]:

يا بشر لو لم أكن منكم بمنزلة ألقى على يديه الأزلم الجذع

الأبد: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمن غير المحدد، والجمع آباد وأبود، تقول أبديا، تقول: أبد بالمكان أقام به ولم يبرحه، والمؤبد الخالد والدائم، والتأبيد التوحش، والأوابد الوحوش؛ لأنها تعمر على الأبد، والآبدة الداهية يبقى ذكرها على الأبد، والآبدة الكلمة والفعلة الغريبة ومن ذلك قولهم: أبد الشاعر أتي بالعويص الذي لا يعرف معناه[2].

الأزل: استعملت الجماعة العربية اللفظ بفتح الألف والزاي بدلالة الزمان الماضي القديم في مقابل الأبد بدلالة

---

[1] اللسان زلم، جذع والميداني ٢ / ٤٤٤. انظر ص ١٢٣ من الدراسة.

[2] اللسان أبد

الزمان المستقبل، فقالت: شيء أزلي أي: قديم كما اســتعملت الجماعة العربية اللفظ بسكون الزاي بمعنى الضيق والشــدة. فالأزل: ضيق العيش والأزل الداهية أيضا، ومن ذلك قولهم: أزل الرجل يأزل أزلاً: صار في ضيق وشدة، وقولهم: هــم في أزل من السنة، أزلت السنة اشتدت وأجدبت[1]، ومن ذلك قول طهفة للرسول ﷺ: " أصابتنا سنة حمراء مؤزلة[2]"، أي: آتية بالأزل.

الحين: استعملت الجماعة العربية اللفظ بكسر الحــاء بدلالة الهلاك، ومن ذلك قولهم: حان الرجل أي: هلك وأحانه ا كذلك، والحائنة النازلة ذات الحين، والجمع حوائن ومــن أمثالهم: أتتك بحائن رجلاه[3]، قال النابغة:

بتبل غير مطلــب لــديها ولكن الحــوائن قــد تحــين

---

(1) اللسان أزل

(2) النهاية ١ / ٤٦

(3) الميداني ١ / ٣٣ اللسان حين

الأجل: استعملت الجامعة العربية اللفظ بدلالة غاية الوقت أو مدة الشيء، ومن ذلك وقت العمل في مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَما قَضى موسى الأجلَ وسار بِأَهلِهِ ﴾ القصص (٢٩)، ووقت حلول الدين في مثل قوله تعالى: ﴿ يا أَيها الذِين آمنُوا إِذَا تَداينتُم بِدينٍ إِلى أَجلٍ مسمى فَاكْتُبوه ﴾ البقرة (٢٨٢)، كما استعملته أيضا بدلالة وقت حلول موت الإنسان وكأنه قد استدان عمره لمدة محدودة، وعليه أن يرده مع حلول الوقت في مثل قوله تعالى ﴿ ولَن يؤَخر ا ُ نَفْسا إِذَا جاء أَجلُها ﴾ المنافقون (١١) وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جاء أَجلُهم لاَ يستَأْخِرون ساعةً ولاَ يستَقْدِمون ﴾ الأعراف (٣٤).

السنة: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة المدة الزمانية التي تتكون من اثني عشر شهرا، كما استعملته بمعنى الجدب أو الشدة، ومن ذلك قولهم: أصابتهم السنة أي: أصابهم قحط أو شدة، كما قالوا أيضا؛ هذه أرض سنة أي: مجدبة وهذه بلاد سنين أي: جدبة[1]، قال الطرماح.

---

[1] اللسان سنو

بمنخرق تحن الـريح فيـه حنين الجلب في البلد السنين

وقد جاء في القرآن والحديث ما يتفق وقولهم: أخذتهم السنة بمعنى الجدب أو الشدة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ولَقَـد أَخَذْنَا آلَ فِرعون بِالسِنِين ونَقْصٍ من الثمراتِ ﴾ الأعـراف (١٣٠) وجاء في حديث الدعاء على قريش[١]: " أعني علـيهم بسنين كسني يوسف " وهي التي ذكرها ا تعالى في قولـه تعالى: ﴿ ثُم يأْتِي مِن بعدِ ذَلِك سبعٌ شِدادٌ يأْكُلْن ما قَـدمتُم ﴾ يوسف (٤٨)، أي: سبع سنين فيها قحط وجدب، كما جاء في الحديث أيضا[٢] " اللهم أعني على مضر بالسنة" أي بالجدب. وجاء في حديث عمر رضي الله عنه: " أنه كان لا يجيز نكاحا عام سنة"، أي: عام جدب؛ لأنه ربما حملهم الضيق على أن ينكحوا غير الأكفاء، كما كان لا يقطع في عام سنة[٣] " أي: لا يقطع يـد السارق.

---

(١) النهاية ٢ / ٤١٣

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٤١٤

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٤١٤

وكما رأينا الجماعة العربية تسمي الـدهر بـالأزلم الجذع، نجدها تسمي السنة المجدبة وتقول: أفسد من الضـبع وتقول: أكلتنا الضبع، يقول الميداني: ومـن عبـث الضـبع وإسرافها في الإفسـاد اسـتعارت العـرب اسـمها للسـنة المجدبة[١].

كما نجد اللفظ يشتجر في أصله الاشـتقاقي بالسـنة بدلالة التغير والفساد، ومن ذلك قولهم: طعام سنة أتت عليـه السنون، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وشَرَابِكَ لَمْ يتَسنه ﴾ البقرة (٢٥٩) أي: لم يتغير ولم يفسد، كما يشتجر أيضا بلفظ السن بكسر السين بمعنى النتن والتغير، ومن ذلك قوله تعالي: ﴿ من حمإٍ مسنُونٍ ﴾ الحجر (٢٦) أي: متغيـر. جاء في حديث بروع بنت واشق، وكان زوجها سن في بئر، أي تغير وأنتن[٢].

اليوم: لم يكن هذا اللفظ مقتصرا كغيره مـن ألفـاظ الزمان على مفهوم الوقت المحدد أو غير المحدد من الزمان،

---

[١] الميداني ٢ / ٢٦٢ انظر ص (١٢٣) من الدراسة

[٢] اللسان سنن

ولكنه ارتبط كغيره من الألفاظ التي رأيناها بالشدة والهلاك، يشير المعجم إلى أنهم قالوا: يوم ذو أيام، ويوم ذو أيايم لطول شره على أهله، وقالوا: يوم لنا ويوم علينا، أي: يوم يسرنا ويوم يحزننا، واليوم يومك، يريدون التشنيع، ولكل قوم يوم، أي: عقاب وجزاء، وقالوا في الدعاء: لا أراني ا يومك أي: يوم موتك[1]، ومن ذلك قولهم: يوم عبيد أي: يوم قتله، ويوم العنز أي: يوم ذبحه[2]، ومن أمثالهم: من ير يوما ير به، أي: من أحل بغيره مكروها حل به مثله[3]، ونجد هذه الدلالة في شعر الهذليين في هذه الأبيات[4]:

وكل امرئ يوما إلى الموت صائر ... قضاء إذا ما حان يؤخذ بالكظم

وما أحد حي تأخر يومه ... بأخلد ممن صار قبلُ إلى الرجم

لا تأمنن ولو أصبحت في حرم ... إن المنايا يجنبى كل إنسان

---

(1) اللسان يوم

(2) ثمار القلوب ٦٤١

(3) الميداني ٤ / ٣٠٤

(4) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٧١٣ ، ٣ / ١٢٢٥

ولا تهـابن إن يممـت مهلكـة إن المزحـزح عنـه يومـه دانـي

ومن هذا القبيل ما يذكره أبو حيان في تفسير قولـه تعالى ﴿ عليهم دائرةُ السوءِ ﴾ التوبة (٩٨): الدوائر المصائب التي لا مخاص منها، تحيط بهم كما تحيط الدائرة، وحقيقـة الدائرة ما تدور به الأيام، كما يذكر في تفسير قولـه تعـالى ﴿وذكرهم بأيامِ ا ﴾ إبراهيم (٥)، قول الفـراء: إن معنـى الآية خوفهم بما نزل بعاد وثمود وغيـرهم مـن العـذاب، وبالعفو عن الآخرين، قال ابـن عبـاس: أيـام ا بـلاؤه ونعماؤه"[1]، ولعل هذا التصور لدى الجماعة العربية جعـل ابن سيده يفرد في سفر الأنواء بابا بعنوان " نعوت الأيام في شدتها[2]" ينقل فيه بعض هذه النعوت عن اللغويين كما يلي " عن أبي عبيد: يوم قسي وهو الشديد من حرب أو شر، وعن ابن السكيت: يوم عمرس بتشديد الراء وفتحها شديد مظلـم، قال أبو زيد: أغم يومنا: جاء بغمٍ، وليلة غمة وغم أيضا، قال أبو عبيد: يوم أرونا، وليلة أرونانة إذا بلغ الغاية في الشـدة

---

(1) البحر المحيط ٥ / ٩١ ، ٤٠٦

(2) المخصص ٩ / ٦٠ – ٦١

والكرب، قال ابن دريد: يوم نحِس بكسر الحاء وسكونها أي: شؤم ومنه قوله تعالى: ﴿إنا أَرسلْنَا علَيهم رِيحا صرصرا فِي يومِ نَحسٍ مستَمِرٍ﴾ القمر (١٩)، قال ابن دريد: الأيام الحسوم الدائمة الشرر والشؤم خاصة، واللفظ مأخوذ من الحسـم أي: القطع كأنها تقطع الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿ سخرها علَيهم سبع لَيالٍ وثَمانِيةَ أَيامٍ حسوما ﴾ الحاقة (٧).

وإذا كان مفهوم اليوم كما سجله لنا هؤلاء اللغويـون ونص عليه المعجم العربي فلا غرابة أن تسـمى الجماعـة العربية وقائعها وحروبها بالأيام، يقول ابن السـكيت: تقـول العرب الأيام في معنى الوقائع.. " ويجعـل حـاجي خليفـة معرفة هذه الأيام علما يعرفه بأنـه " علـم يبحـث الوقـائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب"، يقول أبو حيان فلان عالم بأيام العرب أي: وقائعها وحروبهـا وملاحمهـا؛ كيوم ذي قار، ويوم الفجار، ويـوم فضـة وغيرهـا، قـال الشاعر: " وأيامنا مشهورة في عدونا"، أي: وقائعنا[١].

---

[١] البحر المحيط ٥ / ٤٠٦

لقد كانت هذه الأيام غارات طائرة تقع في يوم واحد وتنتهي بانتهائه، وقد يطول بعضها ويمتد إلى شهور، بل إلى سنين، يقول عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة[(١)]:

وأيـام لنـا غـر طـوال عصينا الملك فيهـا أن نـدينا

يقول ابن السكيت أيضا: إنما خصوا الأيام دون ذكر الليالي؛ لأن حروبهم كانت نهارا، أو كانت توقف عند حلول الظلام؛ ولهذا نجد لفظ الصباح أو التصبيح يأتي في كلامهـم بمعنى الإغارة، ويشير المعجم إلـى أن العـرب تقـول إذا أنذرت بغارة من الخيل تفجؤهم صباحا: يا صباحاه! ينذرون الحي أجمع بالنداء العالي[(٢)]، وفي الحديث لما نزل قول تعالى ﴿ وَأَنذِر عشِيرتَك الأقْرِبين ﴾ الشعراء (٢١٤)، صعد الرسول ﷺ على الصفا وقال: يا صباحاه! [(٣)]، وهـذه كلمـة تقولهـا العرب إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثـر مـا يغيـرون عنـد

[(١)] الزوزني شرح المعلقات ١٤٦

[(٢)] اللسان صبح

[(٣)] النهاية ٣ / ٦

الصباح[1]، فكأن القائل يا صباحاه يقول: قد غشـينا العـدو، وقيل عن المتقاتلين: كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال، فإذا عاد النهار عادوا، وقد ارتبط الموت والهلاك في كلامهم بوقت الصباح. انظر قوله تعالى: ﴿ أَن دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُـوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ الحجر: (٦٦) أي: هلكوا في ذلك الوقت، وفـي حديث أبي بكر رضي الله عنه [2]:

كل امرئ مصبح في أهلـه والموت أدنى من شراك نعله

أي: مأتي بالموت صباحا؛ لكونه فيهم وقتئذ.

كما تخبرنا كتب الأمثال أن الرجل كان يقـول لمـن يتوعده: أرقب لك صبحا[3].

٢ – ١ لم يكن مفهوم الزمان الجمعـي فـي ذهـن الجماعة العربية مقتصرا على معاني المرض والعجز، كمـا وجدنا في لفظ الزمانة، والشدائد، والمصائب وكما وجدنا في ألفاظ الدهر، واليوم، والأبد، والأزل، والموت، والهلاك فـي

---

[1] اللسان صبح .

[2] النهاية ٣ / ٦

[3] الميداني ١ / ٣٨

لفظي الحين والأجل، والجدب، والفساد في لفظ السـنة، بـل نجد معنى الخوف أو التشاؤم يرتبط أيضا بالزمـان أيامـه وشهوره مما يدخل بعض أوقات الزمان ضمن مـا تعرفـه المجتمعات الإنسانية من المحظورات Taboos ومنها الزمان المحظور أو الحرام[1] [2].

---

[1] انظر: كريم حسام الدين، المحظـورات اللغويـة ص ١٤ – ١٨ ط الأنجلو المصرية .

[2] لا يزال العوام في مصر يعتقدون أن هناك ساعات من النهار بـل أياما مخصوصة لا يحسن بالمرء أن يأتي فيها عملاً؛ لأنها منحوسـة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الاعتقاد في الأيام سعدها ونحسـها يعود إلى الفراعنة القدماء؛ فقد كان اليوم الأول من أمشير ويـوم ٢٧ هاتور من أيام السعد والبركة عندهم؛ لأن الأول هو اليوم الذي رفعـت فيه السماء، والثاني هو اليوم الذي تم فيه الصلح بين الإلهين حـورس وسيت، أما يوم ٢٤ طوبة فهو من أيام النحس؛ لأنه اليوم الذي بكـت فيه إيزيس على أوزوريس، كما كان الفراعنة يؤجلون أعمـالهم مثـل السفر والزواج والزرع إذا صادفوا مثل هذا اليوم!

انظر محرم كمال، آثار حضارة الفراعنة ١٦ – ١٧ سلسـلة الألـف كتاب القاهرة.

تخبرنا مصادر اللغة والأدب أن يوم الأربعاء ارتبط بالطيرة والتشاؤم، ويصور لنا الثعالبي ذلك قائلا: ".. قـرأت في أخبار مزبد أن رجلا جاءه فقال له: أحب أن تخرج معي وتصل جناحي في حاجة لي؟ فقال: هذا يوم الأربعاء أستثقله ولست أبرح منزلي، فقال الرجل: ومـا تكـره مـن يـوم الأربعاء، وفيه ولد يونس بن متى؟ فقال: لا جرم وقد بانـت بركته في اتساع موضعه وحسن كسوته، حتى وصـل إلـى ورق القرع[1]، قال: وفيه ولد يوسف، فقال: وما أحسن مـا فعله إخوته حتى طال حبسه وغربته[2]، وقال: وفيه أوحـى إلى إبراهيم عليه السلام، فقال: فما كان أبرد من الأتون الذي

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَالْتَقَمه الْحوتُ وهو مِليمٌ * فَلَولاَ أَنه كَـان مِن الْمسبحِين * لَلَبِثَ فِي بطْنِهِ إِلَى يومِ يبعثُون * فَنَبذْنَاه بِالْعراءِ وهـو سقِيمٌ * وأَنْبتْنَا علَيهِ شَجرةً من يقْطِينٍ ﴾ الصافات: (١٤٥، ١٤٦)

[2] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ ثُم بدا لَهم من بعدِ ما رأَوا الآياتِ لَيسجنُنه حتى حِينٍ ﴾ يوسف (٣٥)

أوقدوه له حتى خلصه الله تعالى[1]، قال: وفيه نصر الله رسوله يوم الأحزاب، قال: أجل بأبي أنت وأمي، ولكن بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا"[2] [3].

كما ينقل لنا الثعالبي مفتتح قصيدة لابن الحجاج يرثي بها الفتح بن العميد قائلا[4]:

أقول ليوم الأربعاء وقد غدا ... علي بوجه أغبر اللون قاتم

بعثت على الأيام نحسا مؤبدا ... بشؤمك يا يوم الندى والمكارم

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا حرقُوه وانصروا آلِهتَكُم إن كُنْتُم فَاعِلِين * قُلْنَا يا نَار كُونِي بردا وسلامًا علَى إبراهِيم ﴾ الأنبياء (٦٨،٦٩)

[2] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِذْ جاءوكُم من فَوقِكُم ومِن أَسفَلَ مِنْكُم وإِذْ زاغَتِ الأبصار وبلَغَتِ الْقُلُوب الْحنَاجِر وتَظُنُون بِالله الظنُونَا * هنَالِك ابتُلِي الْمؤْمِنُون وزلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيدا ﴾ الأحزاب (١٠ ، ١١)

[3] ثمار القلوب ٦٤٩

[4] المصدر نفسه ٦٤٨

وينقل لنا تشاؤم شاعر آخر في قوله[1]:

الأربعــاء يــوم وحــش الــنحس فيــه مــنكمش

الأخــذ فيــه والعطــا مــن ذي المــودات خطــا

ونقرأ في الرسالة البغدادية لأبي حيـان التوحيـدي هجاءه لأحد أقرانه قائلا: ".. يا يوم الأربعاء في آخر صـفر"[2]، ويبدو من هذا القول أن الجماعة العربية كانت تتشـاءم أيضا من شهر صفر، فقد صورت لنا عبـارة أبـي حيـان الهجائية تشاؤما مركبا إذا صح التعبير، وعلى مـا يبـدو أن الجماعة العربية لا تزال إلى اليوم تتشاءم من بعض الأيـام والشهور، وتتطير من العمل والزواج فيها، ويذكر لنا بعض الباحثين المحدثين في دراسته لقبيلة حرب التي تعـيش فـي شبه الجزيرة العربية، أن أفراد القبيلـة لا يتزوجـون فـي شهري جمادى لاعتقادهم بأن الزواج لا يحمـد فيهمـا، ولا

---

[1] المصدر نفسه ٦٤٨

[2] الرسالة البغدادية ٣٤٢

يتزوجون أيضا في شهر شعبان ويسمونه: قصـير؛ لأنهـم يعتقدون أن الزواج يقصر عمره فيه، كما يتشاءمون من يوم الأربعاء فلا يسافرون فيه ولا يعقدون فيه نكاحا، ولا أمرا ذا بال، ويعتبر أفراد قبيلة حرب أن اليوم الحادي والعشرين من كل شهر كيوم الأربعاء. ويذكر الباحث لفظ الصريماء: الذي يعني اتفاق يوم الأربعاء مع الحادي والعشرين من الشـهر، واللفظ مشت من الصرم وهو القطع، وهم يغلظـون بـذلك تحريم السفر أو الزواج أو عمل أي شيء[1].

لم يكن يوم الأربعاء وحده هو اليوم تشـاءمت منـه الجماعة العربية، بل كان يوم الأحد أيضا من الأيـام التـي تطيروا منها، ويشير الثعالبي إلى هذا التشاؤم قائلا: كان قدار بن سالف ومن تابعه من ثمود قد عقروا ناقة ا يوم الأربعاء فصبحهم العذاب يوم الأحد فأهلكهم" وينقل لنا قول الشـاعر المتشائم[2]:

[1] عاتق البلادي نسب قبيلة حرب ص ١٠٥ ط دمشق ١٩٧٧

[2] ثمار القلوب ٦٤٨

تجنـب جـدة الأحـد ولا تركـب إلـى أحـد

وكما سبق أن أشار بعض الباحثين إلى تحريم قبيلـة حرب في شبه الجزيرة العربية الزواج في شهري جمـادى لأن الزواج يجمد فيهما!، تنقل لنـا المصـادر القديمـة أن الجماعة العربية الأولى في شبه الجزيرة كانت تحرم الزواج في شهر شوال؛ لما فيه من معنى الإشالة والرفع، وقد جـاء الإسلام وهدم هذا المعتقد، ومن ذلـك حـديث عائشـة ﵂: تزوجني الرسول ﷺ في شوال، وبنى علي في شوال، فـأي نسائه كانت أحظى عنده مني[1]، يقول النويري: كما كانـت السيدة عائشة ﵂ تستحب أن يدخل نساؤها في شوال، وقـد كانت تقصد بذلك رد ما كانت الجاهلية عليه، ومـا يتخيلـه عوام الناس[2].

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ٣ / ٨٥٠ ط الشعب .

[2] تشاءم العرب من معنى الإشالة من الشائل وهي الناقة التي ترفـع ذيلها للقاح ولا لبن لها أصلا. وقيل الشائلة: الناقة التي لـم يبـق فـي ضرعها إلا شول من لبن أي: بقية يكون ذلك بعد سـبعة أشـهر مـن حملها ومن أمثالهم: أنت شولة الناصحة، وشولة هذه أمة رعناء، كانت تنصح مواليها فتعود نصيحتها وبالا على مجتمعها .

ومن هذا القبيل أيضا ما تنقله لنا المصادر القديمة من أن الجماعة العربية الأولى كانت تحرم القتال في شهور أربعة وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وقد سموا هذا الشهر الأخير الأصم؛ لأنهم كانوا لا يسمعون فيه قعقعة السلاح، ولا صوت مستغيث، ومن ذلك قول الشاعر[1]:

يلومني العاذل في حبه   وما درى شعبان أني رجب

يقول اليوسي: قال ذلك لأن شعبان عند العرب يسمى العاذل، ورجب يسمى الأصم، كما كانت الجماعة العربية تعبر به عن السنة في مثلها المشهور: " عش رجبا ترى عجبا"[2]، ويعني المثل: من نظر في سنة واحدة ورأى تغير فصولها، قاس الدهر كله عليها، فكأنه قال: عش دهرا ترى عجبا.

---

[1] زهر الأكم في الأمثال والحكم ١ / ١٥٣

[2] انظر المثل وقصته الميداني ٢ / ٣٤٠

٢ – ٢ تخبرنا المصادر أن بعض القبائل كانـت لا تصبر على الأشهر الحرم جميعها، وتخرج على هذا العرف فتحرم شهري ذي القعدة وذي الحجة، وينسئون أي: يؤخرون المحرم إلى صفر ويحلون القتال في الأول ويحرمونـه فـي الثاني، كما كانوا ينسئون رجب إلى شعبان ويحلون القتال في الأول ويحرمونه في الثاني[(١)].

وقد كان نسيء الجماعة العربية على ضربين:

أحدهما: ما ذكرناه لشن الغارات وطلب الثأر.

[(١)] تذكر المصادر أن عمرو بن لحي الخزاعي كـان أول مـن نسـأ الشهور وأحل منها ما أحل، وحرم ما حرم، كما تذكر أيضا أن أول من فعل ذلك القلمس وهو حذيفة بن فقيم بن عامر، ثم جاء بعده ولده عباد، ثم ابنه قلع، ثم ابنه أمية، ثم ابنه أبو ثمامة وعليه ظهر الإسلام، فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت عليه بمنى، فقام فيها على جمـل وقال بأعلى صوت: اللهم إني لا أخاف ولا أعاف، ولا مرد لما نصب اللهم إني أحللت شهر كذا وأنسأته إلى العام المقبل، أي: أخرت تحريمه وحرمت، مكانه شهر كذا من الأشهر البواقي. انظر نهاية الأرب ١٠ / ١٦٦ .

الثاني: تأخير الحج عن وقته تحريما منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرون في كل عام أحد عشر يوما؛ حتى يدور في ثلاثة وثلاثين سنة فيعود إلى وقته.

ولما كانت السنة التاسعة من الهجرة حج أبو بكر الصديق ﵁ بالناس، فوافق حجه في ذي الحجة، ثم حج الرسول ﷺ في العام القابل فوافق عود الحج في وقته في ذي الحجة كما وضع أولا، فلما قضى الرسول ﷺ حجه خطب فكان مما قال في خطبته: " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض" يعني أن الحج قد عاد في ذي الحجة[1].

لقد حرم الإسلام النسيء الذي اتبعته الجماعة العربية في قوله تعالى: ﴿إِنما النسِيء زِيادةٌ فِي الْكُفْرِ يضل بِهِ الذِين كفَروا يحِلونَه عاما ويحرمونَه عاما ليواطِئُوا عِدةَ ما حرم الله ﴾ التوبة (٣٧)، كما أقرها على تحريم الأشهر الحرم في قوله تعالى: ﴿إِن عِدةَ الشهورِ عِنْد الله اثْنَا عشَر شَهرا فِي

---

[1] انظر البحر المحيط ٥ / ٣٧ – ٤٠ نهاية الأرب ١ / ١٦٧

كِتَابِ ا ـِ يوم خَلَقَ السماواتِ والأرض مِنْها أَربعةٌ حرمٌ ذَلِكَ الدين الْقَيم فَلاَ تَظْلِموا فِيهن أَنْفُسكُم ﴾ التوبة (٣٦).

٢ – ٣ ونجد من قبيل الزمان المحظور [1] تسـمية الجماعة لوقت العشاء بالعتمة، فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلـك قائلا: ((لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء؛ فإنهـا في كتاب ا العشاء، وإنها تعتم بحلاب الإبـل)) [2] يقـول الأزهري: كانت الأعراب يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة تسمية بالوقت؛ لأنهم يريحون الإبل ثم ينيخونها في مراحهـا حتى يعتموا أي: يدخلوا في عتمة الليل وهي ظلمته فنهـاهم الرسول ﷺ عن الاقتداء بهم، واستحب لهم التمسـك بالاسـم الناطق به الشريعة[3]. كما يذكر لنا النووي اسـتعمال لفـظ

---

[1] يمكن أن نعتبر أيضا شهر رمضان بأيامه من قبيل الزمان المحظور أو الحرام؛ حيث يحرم على المسلم الأكل والشرب والمعاشرة الجنسـية ومقدماتها خلال النهار.

[2] انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٢٨٧ ط الشعب .

[3] انظر النهاية ٣ / ١٨٠ واللسان عتم .

العتمة في بعض الأحاديث؛ لأنه مشهور عند العرب وكـأن النهي هنا عن استعمال اللفظ للتنزيه لا للتحريم[1].

كما نجد من الفقهاء من يحرم قول أحدهم خمـس أو ست بقين من شهر كذا؛ لأن الباقي من أسـماء ا الحسـنى والبقاء ضد الفناء، وا هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده فـي الاستقبال؛ ولهذا يستحسن أن يقول خمس أو ست خلون مـن شهر كذا.

ومن هذا القبيل ما قرره مجمع البحـوث الإسـلامية بالأزهر باستعمال لفظ يوم بدلا من لفظ عيد الذي يوافق ٢١ مارس للاحتفال بالأم وتكريمها؛ لأن لفظ العيد يستعمل فقـط في مناسبتين إسلاميتين؛ هما عيد الفطر وعيد الأضحى، كما رأى المجمع تغيير يوم الاحتفال من ٢١ مـارس إلـى ٢٠ مارس إلى ٢٠ مارس من كل عام؛ لأن التاريخ الأول يوافق اليوم الذي تحتفل فيه طائفة البهائية بعيد النيـروز أو عيـد البهاء.

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٢٨٧

٣ – ١ سبق أن أشرنا -في كلامنا عن ثنائية الزمان والمكان- إلى أن الأشياء تستمد مفاهيمها وهويتها من الكينونة والصيرورة معا، الكينونة في المكان والصيرورة في الزمان، وقد فطن اللغويون والنحاة لذلك، فدرسوا ظرفي الزمان والمكان في قسم المفعولات؛ لأن كلا منهما يشارك الآخر في الوظيفة التي يؤديها وهي وعائية الحدث، ولعل اختيار النحاة مصطلحا يصور مفهوم الجماعة العربية لوعائية الزمان للحدث، وارتباط أوقات الزمان بأفعال وأحداث يعينها.

وإذا كنا قد رأينا الزمان المحظور الذي حرمت فيه الجماعة العربية ممارسة أي فعل أو نشاط، فإننا يمكن أن نرى أيضا أن بعض أوقات الزمان ترتبط في ذهن الجماعة العربية بممارسة أفعال أو أنشطة معينة، ومن ذلك ما ينقله لنا القلقشندي تحت عنوان: "صفاء الزمان" من وصية أبي تمام للبحتري في اختيار الوقت المناسب لنظم الشعر قائلا: " اعلم أن السعادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر؛ فإن النفس تكون قد أخذت

حظها من الراحة وقسطها من النـوم، وخـف عنهـا ثقـل الغذاء.."[1].

وإذا كان أبو تمام قد اختار وقـت السـحر للتـأليف والنظم؛ فإن البلاغي المصري ابن أبـي إصـبح ت ٦٥٤، يختار وسط الليل محتجا بقول أبي تمام نفسه:

والليل أسود رقعة الجلباب

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجي

لقد فهمك ابن أبي الإصبع لفظ الدجي هنا بوسط الليل الذي اعتبره الوقت المناسب للإبداع؛ لأن النفس تكـون قـد أخذت حظها من الراحة ونالت قسطها مـن النـوم ويكـون الذهن صحيحا والصدر منشرحا بخلاف وقت السحر؛ فإنـه وإن كان فيه يرق النسيم ويهضم الغذاء، إلا أنه يكون قد انتبه فيه أكثر الحيوانات؛ الناطق وغيره، وترتفع معظم الأصوات وينقشع الظلام بطلائع الضوء"[2]، كما نجد بعضـهم يشـبه

---

[1] صبح الأعشى ٢ / ٣٢٠

[2] المصدر نفسه ٢ / ٣٢٠

أوقات اليوم بفصول السنة قائلا: إن الغدو بمنزلة الربيع، وانتصاف النهار بمنزلة الصيف، والمساء بمنزلة الخريف، وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء"[1].

كما نجد بعض المصادر تسجل لنا أيضا تصور الجماعة العربية عن توزيع الأعمال على الأيام، ومن ذلك ما ذكره أبو حيان التوحيدي نقلا عن بعض معاصريه من أن يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وعمارة، ويوم الاثنين يوم سعي وتجارة، ويوم الثلاثاء يوم حرب ومكافحة، ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحاجات، ويوم الجمعة يوم خلوة ونكاح"[2].

وقد نظم لنا ابن الرومي هذا التصور شعرا [3] فقال:

لنعم اليوم يوم السبت حقا ... لصيد إن أردت بلا امتراء

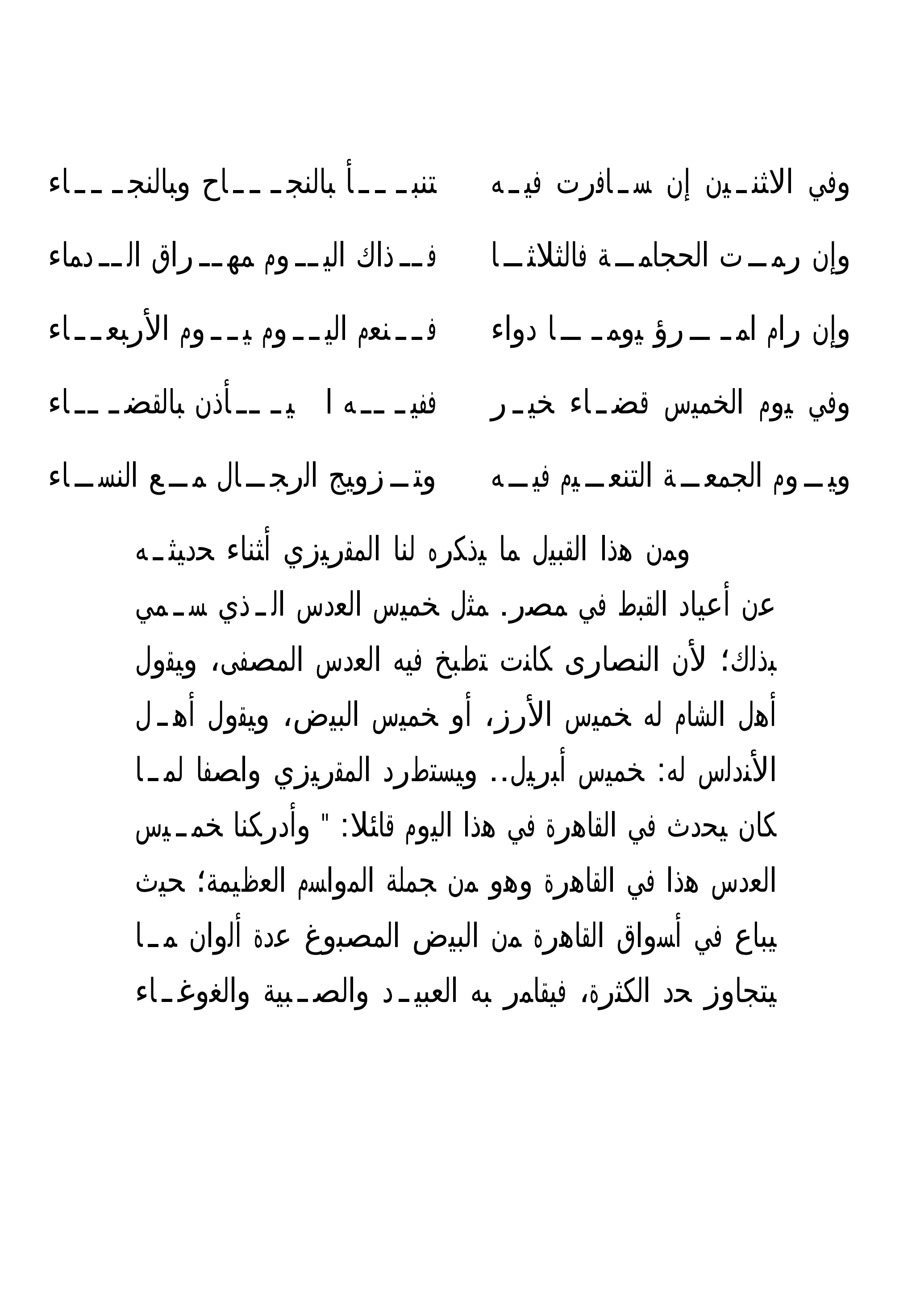
وفي الأحد البناء فإن فيه ... بدا الرحمن في خلق السماء

---

[1] القزويني عجائب المخلوقات ١٠٦ ط بيروت ١٩٨١

[2] أبو حيان البصائر والذخائر ٤ / ٢٢٢ ، القلقشندي ٢ / ٣٦٦

[3] ديوان ابن الرومي ١ / ٣٦ تحقيق د. حسين نصار ط دار الكتب



وفي الاثنين إن سافرت فيه تنبأ بالنجاح وبالنجاء

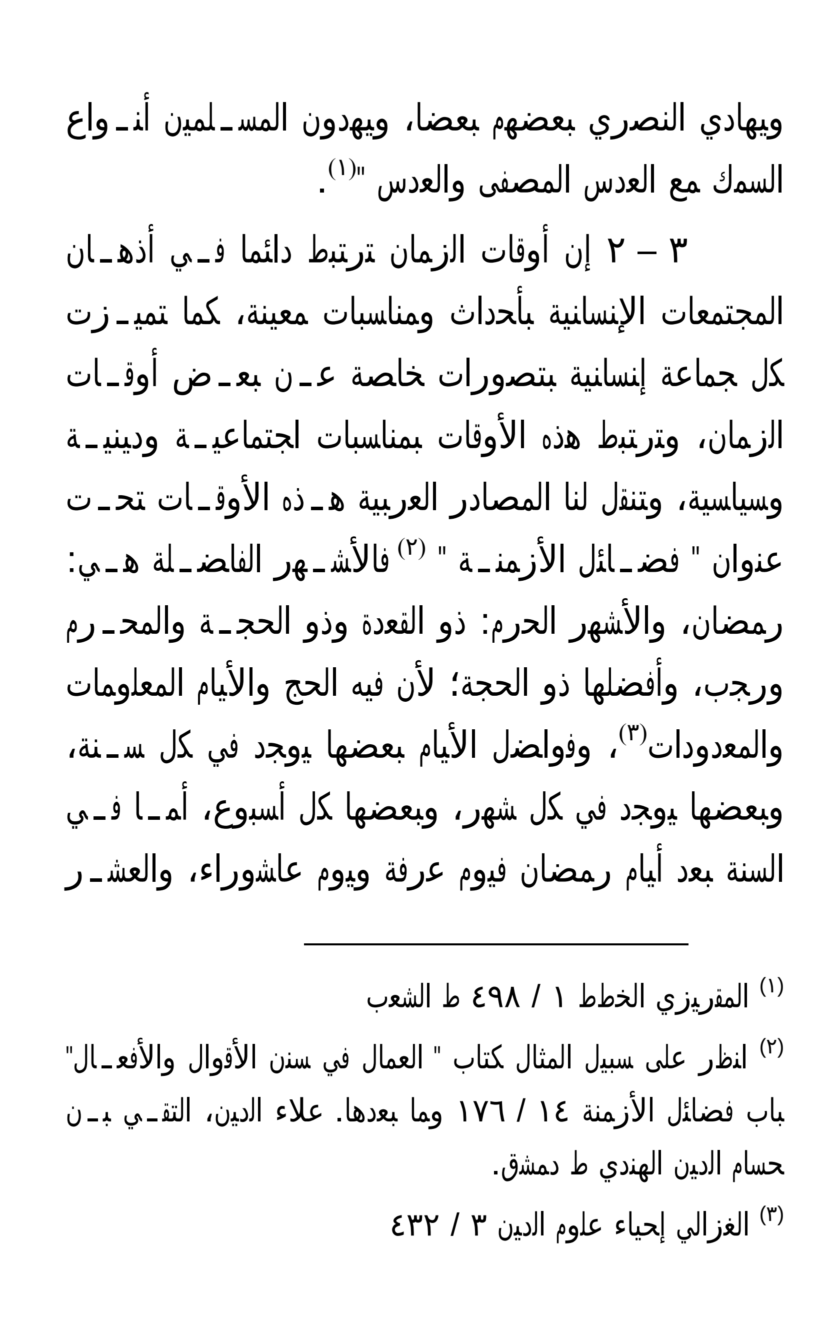
وإن رمت الحجامة فالثلاثا فذاك اليوم مهراق الدماء

وإن رام امرؤ يوما دواء فنعم اليوم يوم الأربعاء

وفي يوم الخميس قضاء خير ففيه ا يأذن بالقضاء

ويوم الجمعة التنعيم فيه وتزويج الرجال مع النساء

ومن هذا القبيل ما يذكره لنا المقريزي أثناء حديثه عن أعياد القبط في مصر. مثل خميس العدس الذي سمي بذلك؛ لأن النصارى كانت تطبخ فيه العدس المصفى، ويقول أهل الشام له خميس الأرز، أو خميس البيض، ويقول أهل الأندلس له: خميس أبريل.. ويستطرد المقريزي واصفا لما كان يحدث في القاهرة في هذا اليوم قائلا: " وأدركنا خميس العدس هذا في القاهرة وهو من جملة المواسم العظيمة؛ حيث يباع في أسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة، فيقامر به العبيد والصبية والغوغاء


ويهادي النصري بعضهم بعضا، ويهدون المسلمين أنواع السمك مع العدس المصفى والعدس "[1].

٣ – ٢ إن أوقات الزمان ترتبط دائما في أذهان المجتمعات الإنسانية بأحداث ومناسبات معينة، كما تميزت كل جماعة إنسانية بتصورات خاصة عن بعض أوقات الزمان، وترتبط هذه الأوقات بمناسبات اجتماعية ودينية وسياسية، وتنقل لنا المصادر العربية هذه الأوقات تحت عنوان " فضائل الأزمنة " [2] فالأشهر الفاضلة هي: رمضان، والأشهر الحرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وأفضلها ذو الحجة؛ لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات[3]، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها كل أسبوع، أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء، والعشر

---

[1] المقريزي الخطط ١ / ٤٩٨ ط الشعب

[2] انظر على سبيل المثال كتاب " العمال في سنن الأقوال والأفعال" باب فضائل الأزمنة ١٤ / ١٧٦ وما بعدها. علاء الدين، التقي بن حسام الدين الهندي ط دمشق.

[3] الغزالي إحياء علوم الدين ٣ / ٤٣٢

الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم[1]، وأما ما يتكرر في الشهر: فأول الشهر ووسطه وآخره، ووسطه الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما في الأسبوع: فالاثنين والخميس والجمعة، فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وكثرة الخيرات؛ لتتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات[2]. أما الليالي الفاضلة فهي خمس عشرة ليلة في السنة؛ ست منها في شهر رمضان، خمس في أوتارها العشر، وليلة سبع عشرة من رمضان حيث كانت وقعة بدر، أما التسع الأُخَر: فأول ليلة من المحرم، وليلة عاشوراء، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج، وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة وليلتا العيدين[3].

لقد عمل الإسلام على إعطاء الزمان مزيدا من الأهمية، وجعل الإنسان المسلم مسئولا عن الزمان الذي

---

(1) إحياء علوم الدين ٣ / ٤٣١

(2) المصدر نفسه ٣ / ٤٣٢

(3) المصدر نفسه ٤ / ٦٤٦

يعيشه، فقد جاء في الحديث: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به))[1]، وإذا كانت بعض اللغات الأوربية مثل الإنجليزية والفرنسية تعرفان عبارة: قتل الوقت Kill the time , Tuer le temps فإن اللغة العربية تعرف - بفضل التصور الإسلامي- عبارة إحياء الوقت، جاء في الحديث: " أحيوا ما بين العشاءين" أي: اشغلوه بالصلاة والعبادة والذكر، ولا تعطلوه فتجعلوه كالميت بعطلته، وقيل: لا تناموا فيه خوفا من فوات صلاة العشاء؛ لأن النوم موت واليقظة حياة، وإحياء الليل بالسهر فيه بالعبادة وترك النوم"[2]، وإذا كان لفظ العمارة يرتبط بالمكان، فإنه يرتبط عند فقهاء المسلمين بالزمان، فنجدهم يتحدثون عن عمارة الأوقات بما هو نافع؛ لأن هذا هو الصادق من الزمان، في مقابل الزمان الكاذب الذي يضيع هباء، كما نراهم يقولون

---

[1] الترمذي ٤ / ٦١٢ ، الدارمي ١ / ١٤٤ رقم الحديث ٥٣٧ ، الطبراني ٣ / ٣١٥ من اختلاف اللفظ .

[2] النهاية في غريب الحديث ١ / ٤٧١

أيضا: إن من علامة المقت إضاعة الوقت، وقد ترجم هـذا التصور الشاعر المسلم بقوله:

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هـدى   ولم استفد علما فما ذاك من عمـري

٣ – ٣ وإذا كان هذا التصور الـديني فـي الثقافـة العربية الذي يرى كسب الوقت فضيلة من الفضائل، وإطاعة الوقت رذيلة من الرذائل، فإننا نجده يأخذ تصورا اقتصـاديا في الثقافة الغربية[١]، فالوقت مرادف للمـادة بـل مـرادف للنقود، ولا غرابة أن نقرأ هذا التعبير في الإنجليزية " الوقت من ذهب Tim is gold والذهب كما هو معـروف أثمـن

---

[١] انظر على سبيل المثال Ferner , Jack

Successful time management , John Wiley & Sons, N. Y. , ١٩٨٠

بين فرنر في دراسته هذه كيف يشغل الفرد في أمريكا أوقاته، ويشمل ذلك أوقات العمل والنوم والأكل والترفيه وغير ذلك، والعوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تؤثر في توزيع الوقت، قارن ذلك بكيفية استغلال الفرد لوقته في الثقافة العربية. انظر إدارة الوقت: فيلم تسجيلي عملي: المنظمة العربية للعلوم الإدارية إعداد د. لوي القاضي د. منير صوالحة .

المعادن التي يعرفها الإنسان لهذا جعلها غطاء للنظام النقدي، ونجد بعض اللغات الأوربية مثـل الإنجليزيـة تعبـر عـن التصرف في الوقت والنقود بفعـل واحـد هـو To spend فتقول: To spend time, To spend money

وتقول: To save time, To save money , To waste money m To waste time ,

كما تقول أيضا: To pay a visite , To pay money

إن هذا التصور يعكس مدى القيمة الاقتصادية للوقت أو ما يمكن أن نسميه بشراء أو بيع الزمان، ألم يشتر شعيب من موسى عليهما السلام ذات يوم زمنا يقدر بثمانية أعـوام مهرا لابنته؟ انظر إلى قوله تعالى: ﴿ قَـالَ إِنـي أُرِيـد أَن أُنكِحك إِحدى ابنَتَي هاتَين علَى أَن تَأْجرنِي ثَمانِي حِججٍ فَـإِن أَتْممتَ عشْرا فَمِن عِنْدِك ﴾ القصص (٢٧) إن كلا منا يبيـع زمانا لمن يدفع له قيمة هذا الزمان الذي يتمثل فـي إنجـاز عمل وإنتاج سلعة، وهكذا يتحول الزمان إلى طاقـة تتحـول بدورها إلى ثروة؛ ولهذا نجد القزويني يقول منذ مئات السنين " الزمان أنفس رأس مال للإنسان، وبه يكتسب كل سعادة" [1]

---

[1] انظر عجائب المخلوقات ص ١٠٥ ط بيروت ١٩٨١

إننا إذا كنا نعجب بالآلة التي لها قدرة إنتاجية ضخمة، فإننـا نعجب كذلك بالشخص الذي يمتلك قدرة إنتاجية كبيرة، ومن هنا تتحدد القيمة الحقيقية للإنسان بما يصنعه.

٤ -١ تخبرنا كتب اللغة والأمثـال بـأن الجماعـة العربية الأولي قد تفاعلت مع الزمـان حتـى أصـبح مـن المصادر الرئيسة لتجاربها التي ساهمت بشـكل فعـال فـي تشكيل تصوراتها ومعتقداتها، وظهر ذلك واضحا في أمثالها وأقوالها المأثورة.

لقد عاشت الجماعة العربية كغيرها الزمان بأبعـاده الثلاثة: الماضي المنصرم، فقالت: ذهب أمس بمـا فيـه[1]، والمستقبل المنتظر، فقالت: يأتيك كـل غـد بمـا فيـه[2]، والحاضر الذي يستشرف المستقبل، فقالت: وإن مـع اليـوم غدا[3]، ولعل هذا القول جعل النحاة يعرفون الفعل المضارع

---

(١) الميداني ٢ / ٣٣

(٢) زهر الأكم ١ / ٣٦

(٣) زهر الأكم ١ / ١٣٤

بأنه ما دل على الحال والاستقبال، وقد عبر حاتم الطائي عن ثلاثية الزمان قائلا[١]:

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد ... كذاك الزمان بيننا يتردد

كما تخبرنا مصادر اللغة والأدب أن الجماعة العربية كانت ترى فيما يحدث في الحاضر تكرارا لما حدث في الماضي، فقالت: ما أشبه الليلة بالبارحة[٢]، أي: ما أشبه ما يحدث اليوم بالأمس، كما رأت في الماضي أيضا رمزا للضياع والتأسي على ما فات؛ ولهذا نجد الحديث عنه يتحول لدى الشعراء إلى تقليد شعري يتمثل في الوقوف على الأطلال وبكاء الزمان الغابر.

وإذا كانت الجماعة العربية رأت في الماضي مصدرا لليأس على ما فات، فإنها رأت في المستقبل رمزا للغموض والمجهول، يقول زهير[٣]:

---

(١) الديوان ٢٦٢ تحقيق د . عادل سليمان .

(٢) الميدان ٣ / ٣٦٣

(٣) الديوان ٤٩

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمِ

ونجد من يشبه الغد بالحبلى؛ لأن أمر ما في بطنهـا مبهم لا ندريه [1]، فيقول:

نرجـو غـدا وغـد كحاملـة في الحي لا يـدرون مـا تلـد

كما أن هذا الغد المبهم دائما يأتي سريعا لمن ينتظره، فقالت: إن غدا لناظره لقريب، ولكـن الجماعـة العربيـة لا ترحب به؛ لأنه قد يفرق شمل الأحبة كما يقول النابغة[2]:

لا مرحبا بغـد ولا أهـلا بـه إن كان تفريق الأحبة في غـد

بل نجدها تخاف الغد، والحديث عنه أحيانا كما يقول أبو نواس[3]:

---

[1] ابن أبي عون التشبيهات ٣٨٣

[2] الديوان ٩٠

[3] الديوان ٢٤٦

خفت مـأثور الحـديث غـدا وغـــدا أدنـــى لمنتظـــره

وإلى جانب هذا التصور لثنائية الماضي والمسـتقبل نجد تصورا آخر لثنائيـة الليـل والنهـار، فالليـل يـرتبط بالغموض والخوف والخطر، أما النهار فيـرتبط بالوضـوح والاطمئنان والأمان، وقد ترجمت الجماعـة العربيـة هـذا التصور في أمثالها وأقوالها المأثورة فقالت: الليل أعور؛ لأنه لا يبصر فيه[1]، والمكثار كحاطب ليل؛ لأنه يخلط في كلامه أو عمله مثل الذي يخرج للاحتطاب لـيلا فـلا يتبـين مـا يفعل[2]، و"الليل أخفى للويل" أي: أفعل ما تريد ليلا فإنه أستر لسرك[3]، كما قالت أيضا: " أمر نهار قضي بليل. لكل أمـر دبر في الخفاء، وحذرت من الليل وظلمته فقالـت: " أهلـك

---

[1] الميداني ٣ / ٩٧

[2] الميداني ٣ / ٣١٧

[3] الميداني ١ / ١١٥

والليل، وقالت كذلك. " الليل وأهضام الوادي"[1] أي: احـذر الليل ومخاطر الطريق.

وإذا كان هذا هو أمر الليل مع الجماعة العربية فأمر النهار أو الصباح يختلف؛ ففيهما تتضح الأشـياء فقالـت: " وهل يخفى عن الناس النهار[2]، وأشهر من فلق الصـبح[3]" "وبين الصبح لذي عينين [4]" أي: إذا جـاء الصـبح تبينـت الأشياء لكل ذي بصر، كما قالت أيضا: " إنما هو الفجـر أو البحر[5] " أي: أنتظر حتى يضيء لك الفجر الطريق، فتبصر قصدك وإلا أخطأت الطريق، وشبهت الشيء الجميـل بنـوم ساعة الفجر، فقالت: ألذ من إغفاءة الفجر، ومن ذلـك قـول المجنون[6]:

---

[1] الميداني ١ / ٨٦ ، ٣ / ١٧

[2] أبو عبيد الأمثال ٩٣

[3] الميداني ٢ / ١٩٨

[4] زهر الأكم ١ / ٢١١

[5] الميداني ١ / ١٧٧

[6] زهر الأكم ١ / ٢٨٤

ولو كنت لهوا كنت تعليل ساعة ولو كنت نوما كنت إغفاءة الفجر

وضربت المثل لكل ما يسر به الإنسان بهلال شوال، واختارت هلال شوال؛ لأنه يأتي بالعيد[1]، وضربت المثـل أيضا لمن يطلب شيئا ثم يضيعه على نفسه، أو مـن يطلـب شيئا في غير وقته فقالت: الصيف ضيعت اللبن، واختـارت الصيف لأن الألبان تكثر فيه[2].

٤ – ٢ ولا تزال الجماعة العربية تتفاعل مع الزمان الذي ارتبط في أذهان أفرادها؛ لحكايات ومأثورات حقيقية أو خيالية لنا تعابير اصطلاحية مثل قول أحدهم: كـان ذلـك " زمن الفطحل" بكسر الفاء وفتح الطاء، أي: كان فـي قـديم الزمان، يقول الميداني: قالوا هذا زمن لم يخلق فيه النـاس، وقال الجرمي: سألت أبا عبيدة عنه فقال: الأعـراب تقـول:

---

(1) ثمار القلوب ٦٤٨

(2) الميداني ٢ / ٤٣٤

ذلك زمن كانت الحجارة فيه رطبة، وقيل: من الفطحل زمن نوح عليه السلام. ومن ذلك قول رؤبة لمن سألته عن سنه[1]:

تسألين عن السنين كـم لـي   فقلت لو عمرت عمر الحسـل

أو عمر نوح زمن الفطحـل   والصخر مبتل كطين الوحـل

وقالوا أيضا: " زمن السلام" بكسـر السـين، وهـي الحجارة، قال أبو عمرو: تقول إذا قدم عهدك بالرجـل ثـم رأيته: متى عهدك بأسفل فيك!" أي متـى أثغـرت، فيقـول المجيب" زمن السلام رطاب" وربما قال: " زمـن الفطحـل" يريدون به قدم العهد.

ومن هذه التعابير الاصطلاحية قولهم: جاء أو لقيتـه "صكة عمي" بضم العين وفتح الميم وتشديد الياء بدلالة وقت الظهيرة وهو أشد أوقات النهار حرا، جاء في الحديث " أنـه ﷺ كان يستظل بظل جفنة عبد ا بن جدعان صكة عمـي" أي: في الهاجرة، يقول ابن الأثير: " قيل إن عميا اسم رجـل

---

[1] المصدر نفسه ٣ / ٣٠٩ اللسان حسل أيضا.

انظر المزيد من التعابير الاصطلاحية المرتبطة بالزمان ص (١٧٩) من الدراسة وما بعدها.

من عدوان كان يفيض بالحاج عند الهاجرة وشدة الحر، وقيل إنه أغار على قومه في حر الظهيرة، فضرب به المثل فيمن خرج في شدة الحر، وقيل: إن "عمي" تصغير أعمى، ويكون التعبير على ذلك عندما تعمي شدة الحر من يخرج أو يـأتي في ذلك الوقت، وقيل إن " عمي" الحر بعينه[1].

ومن هذه التعابير الاصـطلاحية الزمانيـة " أيـام العجوز" وهي خمسة أو سبعة أيام شديدة البرودة ينقـل لنـا المرزوقي تفسيرا لهذا التعبير قائلا: ".. إن قوما قـد جـزوا ذات يوم الأصواف والأوبار مؤذنين بالصيف وقالت عجوز منهم: لا أجز حتى تنقضي هذه الأيام؛ فإني لا آمنها، فاشـتد البرد وأضر بمن قد جز، وسلمت العجوز بغنمها، وقيل: إن العجوز هي التي عجلت بجز أصوافها لحاجتها إليه وثقتهـا بالحر، فجاء البرد وبدأ الموت يدب في الغنم، فكانت تمـوت واحدة كل يوم حتى بلغت سبعة أو خمسة؛ ولهذا سميت أيـام العجوز وهي أيام شديدة البرودة[2] [1]، وقد اسـتعمل بعـض

---

[1] النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤ انظر التعبير أيضا المخصص ٩ / ٥٤ واللسان صكك.

[2] الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٧٤ انظر اللسان عجز.

الشعراء هذا التعبير، ومن هؤلاء ابن الرومي الـذي يهجـو مغنية قائلا[٢]:

كنت عند الأمير عيسى بن ها   رون وفهم وذاك فـي تمـوز
فتغنت فهزنـي القـر حتـى   خلت أني في وسط برد العجوز

٤ – ٣ نجد إلى جانب الأمثال والتعابير الاصطلاحية التي تصور تفاعل الجماعة العربية مع الزمان، مظهرا آخر من مظاهر هذا التفاعل لدى الجماعات الإنسانية، ويتمثل ذلك في تسمية أفرادها بألفاظ الزمان ووصفهم بها، ومـن هـذا القبيل ما نجده لدى بعض المجتمعات الأفريقية التي تتحـدث

---

[١] يذكر المرزوقي رواية أخرى عن الكسائي في تفسير التعبير بـأن امرأة عجوز كان لها سبعة أولاد وطلبت مـنهم أن يزوجوهـا وأرادوا التخلص منها فقالوا لها: بيتي لنا سبع ليال على ثنية هذا الجبـل وكـل واحد منهم ليلة لنزوجك ثم ذهبوا إليها بعد الليلة السابعة وقد ماتت ١ / ٩٧٣ ، يذكر كراع النمل أن هذه الأيام سبعة تكون في دبـر الشـتاء لأربعة أيام تبقى من شباط، وثلاثة تخلو من آذار من شهور العجم، كما يذكر أسماءهم. انظر المنتخب ٢ / ٧٦٥ تحقيق د . محمد العمـري ط جامعة القرى .

[٢] الديوان ٣ / ١١٥٤ تحقيق د . حسين نصار ط دار الكتب.

لغة الهوسا، وسمت أبناءها الفصول والمناسـبات والأيـام، فالذي يولد في فصل الربيع وهو فصل سقوط الأمطار يسمى Damina والذي يولد في فصل الصيف وهو فصل الحصاد يسمى Kaka ومن يولد في رمضـان يسـمى Danzumi، ومن يولد يوم العيد يسمى Dan Asabe، والذي يولد يـوم الأحد يسمى Dan Ladi [1].

لقد عرفت الجماعة العربية أيضا ظـاهرة التسـمية بأسماء الزمان [2] مثل: الصيف ومن هؤلاء الذين تسموا بهذا الاسم صيفي بن أكثم، وصيف بن أسود، وصيفي بن أميـة، والربيع وقد سمت العرب أبناءها بهذا الاسـم كثيـرا، مـن

---

[1] حدثني بذلك بعض الطلاب النيجيريين بمعهد اللغة العربيـة لغيـر الناطقين بها بجامعة أم القرى. لاحظ أيضا هذه الأسماء في المجتمـع المصري: عيد وعرفة ورمضان وشعبان ورجـب ومحـرم وربيـع، وجمعة وخميس، شمس، قمر، نجم، وأسماء العائلات: شتاء، الصيفي.

[2] راجع فهارس أسماء الأعلام فـي كتـب اللغـة والأدب والتـاريخ المعروفة.

هؤلاء: الربيع بن أنس، الربيع بن إياس، الربيع بن طفيل[1]، وسمت الجماعة العربية أبناءها شهرا أو شهيرا ومشـهورا، واستعملت المثنى منه فقالوا: شهران وهو أبـو قبيلـة مـن خثعم[2].

كما تسمت العرب بأسماء أخرى تتصل بالزمان مثل الهلال، ومن هؤلاء: هلال بن أمية، هلال بن الحارث، هلال بن عامر، هلال بن يزيد [3] وتسمت بالقمر، ومـن هـؤلاء: قمر بن علقمة، وبنو قمير بطن من مهرة بن حيدان، وتسمت بالزبرقان وهو اسم من أسماء القمر، ومن هؤلاء الزبرقـان بن بدر [4]، كما سمت العرب أبناءها بالبراء وهي أول ليلـة من الشهر القمري سميت بذلك لتبرؤ القمر فيها من الشمس.

---

[1] طبقات ابن سعد ٨ / ٣٩٠ ، ٣٨٠ ، ٥٥٢ ، ١٢٧ ، ٤٠٥ ، ٣٨٩ ، ٣٦٣

[2] اللسان شهر .

[3] طبقات ابن سعد ٨ / ٣٨٠ ، ٣٣٠ ، ٧ / ٤٧ ، ٢١٩

[4] طبقات ابن سعد ٦ / ٧٩ ، ٧ / ٤٤ ١ / ٢٩٤

ومن هؤلاء: البراء بن أوس، البراء بن نوفل، البراء بن مالك[1]، وسمي بعضهم بالشمس وما اشتق منها مثل بنو عبد شمس من تميم، وشماس بن عثمان، شموس بنت حـق، وشموس بنت عامر، وشمسة بنت معن[2].

وكما سمت الجماعة العربية الرجل عمـرا تفـاؤلا بطول العمر، سمت المرأة أيضا هنيدة تفاؤلا أيضـا بطـول العمر، ويعني اللفظ مائة سنة، ومن هـؤلاء: هنيـدة بنـت خباب، وتسمى بعضهم بالدهر ومن هؤلاء دهر بن الأحـزم [3] وسميت المرأة بعائشة تفاؤلا بطول عيشها.

سمت الجماعة العربية أبناءها أيضا بأوقـات اليـوم مثل النهار، ومن هؤلاء: نهار العبدي، وأبو نهار عقبة بـن عامر[4]، والصبح والصباح وصبيح، ومن هؤلاء: صباح بن الهذيل، وأبو الصباح موسى بن كثير، وبنو صبح بطن مـن

---

[1] طبقات ابن سعد ٨ / ٤٣٦ ، ٢٢٦ ، ٧ ١٧ ، ٣٢٦

[2] طبقات ابن سعد ٣ / ٥٦٧ ، ٤٦٢ ، ٢ / ٤٢ ، ٥ / ٢٨٤

[3] الإصابة ١ / ٤٧٦ انظر ص (١٢٩) من الدراسة .

[4] طبقات ابن سعد ١ / ٢٢٥ والإصابة ٣ / ٥٧٥

سلمة وبنو صبيح فطن بن فزارة [١]، والليل اسم لكل ليلـة، وقد قالوا ليلة ليلاء وليلى أي طويلة، وبه سميت المرأة وهو أكثر مما نمثل له، وسبرة بدلالة الغداة الباردة أو الوقت مـا بين السحر إلى الصباح، ومن هؤلاء سبرة بن يزيد، أو سبرة يزيد بن مالك، أبو سبرة الهذلي[٢].

٤ – ٤ وكما استعملت الجماعة العربية ألفاظ الزمان لأبنائها واستعملتها أسماء للأعلام استعارتها أيضا لتصف بها الإنسان فقالت: أصاف الرجل أي: ترك النساء شابا ثم تزوج كبيرا، وهو وصيف وولده صـيفي والجمـع صـيفيون[٣]، وقالت: أربع الرجل فهو مربع، ولد له في شـبابه، وولـده ربعي والجمع ربعيون وهم الذين ولدوا وآباؤهم شباب، ومن ذلك قول الشاعر[٤]:

---

[١] طبقات ابن سعد ٦ / ٢٨٨ واللسان صبح .

[٢] طبقات ابن سعد ١ / ٣٢٥ ، ١ / ٤٤٦

[٣] اللسان صيف .

[٤] اللسان ربع.

إن بنـي صـبية صـيفيون　　أفلح من كـان لـه ربعيـون

ومن الصباح وصفت الجماعة العربية الإنسان بأنـه صبيح وصباح بضم الصاد للثانية، أي: أنه جميـل وضـيء الوجه [1] وعكس ذلك مظلم الوجه، ومن المقمر قالت: أقمـر وقمراء. والقُمرة البياض، ومن ذلك رجـل أقمـر الوجـه، وامرأة قمراء الوجه[2]، ومن شروق الشمس قـالوا: وجـه مشرق، والتشريق الجمال وإشراق الوجه،

قال الشاعر[3]:

يزينهن مع الجمـال ملاحـة　　والـدل والتشـريق والفخـر

ومن الشمس قالت الجماعة العربية: امرأة شـموس أي: عفيفة لا تطمع فيها، ورجل شموس أي: عسير الخلـق،

---

(1) اللسان صبح

(2) اللسان قمر

(3) اللسان شرق

والشموس من الدواب الجامح والنافر منها[1]، ومن الضـحى قالت: حصان أضحى والأنثى ضحيا إذا كان أبيض اللون[2].

---

[1] اللسان شمس .

[2] اللسان ضحو .

الباب الثاني

الزمـــان واللغـــــة

الفصل الأول
ألفاظ الزمان المبهم

يرتبط اكتساب المرء للغته الأم منذ طفولته بـإدراك العالم حوله من خلالها، ومهما كان العالم حوله غنيا فهو لن يدرك إلا الظواهر التي لها مسميات في هـذه اللغـة التـي تصنف له ما يبصره ويسـمعه وفقـا لطريقتهـا الخاصـة، وتفرض عليه تصورات معينة لما حوله من أنواع النباتـات والحيوانات والظواهر الطبيعية مثل شروق وغروب الشمس، وسقوط الأمطار والثلوج، وتصنيف ألوان الطيـف وتقسـيم أوقات الزمان.

عن دور اللغة لا يقتصر فقط على اختزال وتصنيف ما نبصره أو نسمعه، ووصف تجاربنـا وخبراتنـا الماديـة والمعنوية، بل إنها تقوم بتشكيل تفكيرنا أو الطريقـة التـي ننظر بها إلى ما حولنا، إننا حين نكتسب اللغة الأم نكتسـب معها وبطريقة لا شـعورية أسـلوبا متميـزا فـي التفكيـر والسلوك، فاللغة الإنجليزية تستعمل الأفعـال To pay, To

save To spend في سياقات تتصل بقضاء وإنفاق النقـود مثل:

To save money, To save time To spend money, To spend time , To pay money , To pay a visite .

كما نجد متكلم الإنجليزية يقـيس الوقـت بمقيـاس اقتصادي؛ فبدلا من أن يقول: ساعتي تقدم أو تؤخر يقـول: my watch agains or loses أي: تربح أو تخسر.

فالوقت لدى الجماعـة الإنجليزيـة يتخـذ مفهومـا اقتصاديا، فلا فرق بين التصرف في الوقت والنقود؛ فكلاهما له نفس القيمة، ومن هذا القبيل ما سبق أن أشرنا إليـه مـن ارتباط ألفاظ الزمان العربية مثـل السـنة واليـوم والأجـل بدلالات الجدب والشدة والموت[1]، وارتباط لفظ Le temps في الفرنسية بدلالة الزمان والطقس أيضا.

إن عين الإنسان تبصر نفس الألوان، بيد أن اللغـات تلعب دورا هاما في تحديد هذه الرؤية ومفهومها، فإذا كانت اللغة الروسية على سبيل المثال تميز بين درجتين من اللون

---

[1] انظر ص (٩٤) من الدراسة وما بعدها .

الأزرق وتستعمل لكل منهما لفظا مستقلا فـإن الإنجليزيـة والألمانية تعبر عن هذين اللونين بكلمات مركبة هكذا: أزرق غامق [1] وأزرق فاتح، ومن هذا القبيل تمييز اللغة العربيـة والفرنسية بين اليوم Le jour والنهار Le journee بينما لا تميز لغات أخرى بينهما بلفظين مستقلين، مثـل الإنجليزيـة التي تستعمل لفظ Day لليوم وتعبيرا مركبا هو Day light للنهار.

إن اللغات كما تتباين وتختلف في أصواتها وتراكيبها تختلف أيضا في مفرداتها ومعانيها التي تتطابق مـع ثقافـة الجماعة اللغوية، فثقافة أبناء الصحراء تعرف مفردات كثيرة للنخيل والإبل، ولكنها لا تعرف إلا مفردات قليلة للإشارة إلى الثلج الذي تعرف له لغة الإسكيمو عشرات الأسماء، كما أن خبرة الجماعة اللغوية بما حولها تقودها نحو المزيد من الدقة والتمييز في إطلاق المسميات طبقا لخبراتها التي تتراكم على مر الأجيال، فالظاهرة الواحدة من الظواهر التي نجدها فـي

---

[1] كندراتوف، الأصوات والإشارات ٦٢

ثقافة ما قد تتخذ تسميات قليلة محدودة في لغة، وتتخذ تسميات كثيرة ومتنوعة في لغة أخرى.

إننا إذا تتبعنا ظاهرة الزمان في العربية وكيف اصطلحت الجماعة العربية على تقسيم أوقاته، فإننا سنجد المعجم العربي زاخرا بعشرات الألفاظ التي تدل على أنها قد أحست بالزمان إحساسا دقيقا؛ لأنه كان منظما لحركتها في الصحراء الواسعة في السفر والإقامة، والحل والترحال، وتتبع أوقات اليوم والشهر والسنة لارتباطها بالحر والبرد وهبوب الرياح وسقوط الأمطار، وتبدل مواسم الخصب والجدب.

سنحاول في هذا الجزء الثاني من الدراسة استعراض هذه الألفاظ التي عرفتها الجماعة العربية الأولى، وسجلها لنا المعجم، وسنلاحظ أن بعضها يشير إلى المبهم من الزمان، وبعضها الآخر يشير إلى المحدد منه، كما سنلاحظ أيضا أن هذه الألفاظ تتسع وتضيق دلالتها على أوقات الزمان المختلفة؛ القصيرة والطويلة. ونلاحظ كذلك أن بعض الألفاظ يشتجر بمفاهيم متباينة في أذهان الجماعة العربية من ناحية، كما يتداخل بعضها في علاقات الترادف من ناحية أخرى.

نستعرض في هذا الفصل ألفاظ الزمان المـبهم فـي أربع مجموعات دلالية كما يلي:

المجموعة الأولى: الزمان، الدهر، الأبـد، الأزل، السـرمد، المسند.

المجموعة الثانية: الوقت، الحين، الأوان، العهـد، الحقبـة، العصر.

المجموعة الثالثة: المدة، الملاوة، البرهة، الفترة، الطـور، التارة.

المجموعة الرابعـة: العمر، الأمد، الأجل، القـرن، الأمـة، الطبقة.

١- ١ الزمان: ينص المعجم على أن الزمان والزمن اسم للقليل من الوقت وكثيرة، والجمع أزمن وأزمنة وأزمان، ومن قولهم: أزمن الشيء طال عليه الزمان، وأزم بالمكـان أقام به زمانا، وقولهم أيضا: لقيته ذات الزمين بضم الـزاي أي: في ساعة لها أعداد، يريدون بذلك تراخي الوقت كقولهم: لقيته ذات العويم أي: من الأعوام[1].

---

[1] اللسان زمن، انظر (٩٠) من الدراسة .

كما ينص المعجم أيضا على أن الزمان يقـع علـى الفصل من فصول السنة ومن ذلك قولهم: زمـان الرطـب والفاكهة، وزمان الحر والبرد، كما يقع لفظ الزمـان علـى المدة وولاية الرجل وما ِبه، يقولون: زمان أبي بكر أو زمان عمر، جاء في الحديث أنه ﷺ قال لعجوز تحفـى بهـا فـي السؤال: ((كانت تأتينا أزمان خديجة))[1] أي: مـدة حياتهـا. وفي حديث آخر: " إذا تقارب الزمان لم تكد رؤية المـؤمن تكذب " [2] أراد ﷺ قرب انتهاء أمد الدنيا.

يعرف الطبري الزمان بأنه اسـم لسـاعات الليـل والنهار، وهي مقادير قطع الشمس والقمر الفلـك[3]، يعرفـه ابن مليكا البغدادي " بأنه شيء له كمية تعد وتقدر بأقسـام أو أجزاء هي الساعات والأيام والشهور والأعوام، أو بحالاتـه مثل الحر والبرد والخصب والجدب[4].

---

(1) النهاية ٢ / ٣١٤

(2) النهاية ٢ / ٣١٤

(3) تاريخ الأمم والملوك ١ / ١١ ط دار القلم بيروت .

(4) كتاب المعتبر في الحكمة ٢ / ٧٧ ط حيدر آباد ١٣٥٨

نلاحظ أن المعجم لم يفـرق بـين لفظـي الزمـان والزمن، كما نلاحظ أيضا أن القدماء من النحاة اللغويين قـد استعملوا لفظ الزمان بدلالة الوعاء الحامل للحدث السابق أو المتأخر أو المصاحب، يقول سيبويه تحت عنوان: هذا بـاب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله: ".. يتعدى إلى الزمـان، نحو قولك: ذهب؛ لأنه بني لما مضى منه وما لم يمض، فإذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان.."[1] يقول ابن يعيش ".. الفعل مـا دل علـى اقتـران حـدث بزمان"[2]، كما يقول ابن مالك[3]:

وقد ينوب عن مكان مصـدر   وذاك في ظرف الزمان يكثـر

وإذا كان المعجم العربي لم يفرق بين لفظي الزمـان والزمن، وإن القدماء قد اسـتعملوا لفـظ الزمـان بصـورة متواترة، فإننا نجد بعض المحدثين يفرق بين دلالة اللفظين، " فالزمان" كمية رياضية من كميات الوقـت تقـاس بمقـاييس

---

[1] الكتاب ١ / ٣٥ تحقيق عبد السلام هارون .

[2] شرح المفصل ٧ / ٢

[3] شرح ابن عقيل ١ / ١٨٨ تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

معينة كالثواني والدقائق والساعات، والزمن: مصطلح نحوي يحدد معنى الصيغ المفردة في السياق، وبنـاء علـى هـذه التفرقة يمكن أن نستعمل لفظ الزمن Tense مصطلحا لتحديد الحد المرتبط بالبنية الصرفية أو التركيبية، ونسـتعمل لفـظ الزمان Time مصطلحا لتحديد أوقات الزمـان الـدلالي أو المعجمي[1].

١ – ٢ الدهر: يعتبر لفظ الدهر من أكثـر الألفـاظ دورانا على لسان الجماعة العربية، وقد استعملته مرادفا للفظ الزمان، يقول الأزهري: سمعت غير واحد من العرب يقول: أقمنا بموضع كذا وعلى ماء كذا دهـرا، وإن هـذا البلـد لا يحملنا دهرا طويلا، أي: مدة من الزمـان[2]، يقـول حـاتم الطائي[3]:

---

(١) د. تمام حسان اللغة العربيـة مبناهـا ومعناهـا، ٢٤٢ ط الهيئـة المصرية.

(٢) اللسان جهر ص (٩١) من الدراسة .

(٣) الديوان ٢٦٢ تحقيق عادل سليمان .

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد   كذاك الزمان بيننا يتردد

ونجد سيبويه يستعمل اللفظ مرادفا للزمان في قوله: ".. والأماكن لم يبن لها فعل، والأماكن إلى الأناسي ونحوهم أقرب.. والدهر ليس كذلك، والأماكن لها جثة، وإنما الدهر مضي الليل والنهار، فهو إلى الفعل أقرب[١]، ويقول في موضع آخر: ".. اعلم أن ظروف الدهر أشد تمكنا في الأسماء؛ لأنها تكون فاعلة ومفعولة تقول: أهلكت الليل والنهار واستوفيت أيامك فأجر الدهر هذا المجرى"[٢].

كما نجد اللفظ يحمل دلالة الزمان المطلق، فالدهر الأمد الممدود، يقول ابن سيده: " الدهر مدة بقاء الدنيا إلى انقضائها، وقيل: دهر كل قوم زمانهم، وفي الحديث: ((لا تسبوا الدهر فإن ا هو الدهر))، ويستطرد قائلا: " ليس ا هو الدهر تعالى؛ ذلك لأن الدهر عرض وليس ربنا عرض، وإنما أراد أن ما تنسبونه إلى الدهر إنما هو فعل ا عز وجل، وجمع الدهر أدهر ودهور".

---

(١) المصدر نفسه ١ / ٤١٩

(٢) الكتاب ١ / ٣٧

١ – ٣ الأبد: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمان غير المحدد في المستقبل والجمع آباد، فقالوا: أبد بالمكان يأبد أبودا، أقام به ولم يبرحه، وقالوا: وقف الرجل أرضه وقفا مؤبدا، إذا جعلها حبسا لا تباع ولا تورث، والتأبيد التخليد، قالت العرب: لا أفعل ذلك أبد الأبيد أو أبد الآباد، كما قالت: لا أفعله دهر الداهرين، أي: أبدا[1]، وفي حديث الحج، قال سراقة بن مالك: أرأيت متعتنا هذه ألعامنا أم للأبد؟ فقال: بل هي للأبد [2] أي: لآخر الدهر.

وقد ضربت الجماعة العربية المثل لكل شيء قديم طال عليه العهد فقالت: " طال الأبد على لبد"[3]، واستعملت العرب لفظ أبدا ظرفا للزمان لاستغراق النفي أو الإثبات في المستقبل واستمراره، تقول: لا أكلمه أبدا أي: من لدن تكلمت إلى آخر عمرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يا موسى إِنا

---

[1] اللسان أبد .

[2] النهاية ١ / ١٣

[3] الميداني ٢ / ٢٨٠

لَن ندخُلَها أَبدا ما داموا فِيها ﴾ المائدة (٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ما أَظُن أَن تَبِيد هذِهِ أَبدا﴾ الكهف (٣٥).

١ – ٤ الأزل: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمان غير المحدد في الماضي في مقابل الأبد[1]، فالأزل هو ما لا بداية له في أوله كالقدم، والأبد ما لا نهاية له في آخره كالبقاء، والأزلي أعم من القديم.

١ – ٥ السرمد: استعملت الجماعة العربيـة اللفـظ بدلالة الزمان المتعاقب أو دوام الزمان من ليـل أو نهـار، واللفظ مشتق من السرد بمعنى التوالي والمتابعة والاطـراد، وزادوا الميم للمبالغة، ومن ذلك قولهم: ليل سـرمد ونهـار سرمد أي: متوال [2] أو دائم ومن ذلك قوله تعـالى: ﴿ قُـلْ أَرأَيتُم إِن جعلَ ا ُ علَيكُم الليلَ سرمدا إِلَى يومِ الْقِيامةِ من إِلَهٌ غَير ا ِ يأْتِيكُم بِضِياءٍ أَفَلاَ تَسمعون ﴾ القصص (٧١) وقوله تعالي: ﴿ قُلْ أَرأَيتُم إِن جعلَ ا ُ علَيكُم النهار سرمدا إِلَى يومِ

---

(١) اللسان أزل .

(٢) اللسان سرمد .

الْقِيامةِ من إِلَهٌ غَيرِ ا ِ يأْتِيكُم بِلَيلٍ تَسكُنُون فِيهِ أَفلاَ تُبصِرون ﴾ القصص (٧٢).

١ – ٦ المسند: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الدهر، فقالت: لا آتيه الدهر ويد المسند، أي: لا آتيه أبدا[١].

١ – ٧ الحرس: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الدهر، فقالت: أحرس بالمكان أي أقام به حرسا بسكون الراء، والمحروس من آتى عليه الحرس أي الجهر والجمع أحرس[٢]، ومن ذلك قول امرئ القيس:

لمن طلل داثر آيه تقاوم في سالف الأحرس

وإلى جانب هذه الألفاظ التي تشير إلى الزمان المبهم أو الدهر نجد تعبيرات اصطلاحية تشير إلى هذه الدلالة، ومن ذلك " الأزلم الجذع" [٣] في قولهم: لا آتيه الأزلم الجذع أي: لا آتيه أبدا، وقولهم: أودى به الأزلم الجذع أي أهلكه،

---

[١] اللسان سند، المخصص ٩ / ٦٤

[٢] اللسان حرس المخصص ٩ / ٦٤ .

[٣] اللسان جذع – زلم – انظر ص (٨٢ ، ٩٣ ، ٩٥) من الدراسة .

وقد قالوا إن تعبير الأزلم الجذع يعني الصغير من الوعول والظباء؛ لأنه لا يسقط لها سن فهي جذعان أبدا، وقد سموا به الجهر لأنه باق على حالة واحدة لا يتغير على طول أناة فه جذع لا يسن، قال الأخطل:

لمن طلل داثر آية تقاوم في سالف الأحرس

ومن هذه التعبيرات " سجيس عجيس "[1] في قولهم: لا آتيه سجيس عجيس أي: لا آتيه أبدا، والسجيس الماء الراكد لأنه آخر ما يبقى، وعجيس مأخوذ من قولهم: عجس بتشديد الجيم أي: أبطأ ومن ذلك المعجوس بمعنى الناقة بطيئة المشي. وقد قالوا ذلك لأن الجهر يتعجس أي: يبطئ ولا ينفد أبدا ومن ذلك قول الشاعر:

فأقسمت لا آتي ابن ضمرة طائعا سجيس عجيس ما أبان لساني

---

[1] اللسان سجس ، عجس ، وحبس ، الأمثال لأبي عبيد ٣٨٢، المخصص ٩ /٦٥

انظر أيضا المرزوقي، الأزمنة والأمكنة فصل أسماء الدهر ١ / ٢٨٨

كما قالوا أيضا: " سجيس الأوجس" والوجس الفزع الذي يقع في القلب.

٢ – ١ الوقت: مقدار من الزمان محدد فـي ذاتـه والجمع أوقات، والتوقيت تحديد الأوقات، تقول: وقت الشيء يوقته جعل له زمنا يقع فيه، ومن ذلك قولـه تعـالى: ﴿ إِن الصلاَةَ كَانَتْ علَى الْمؤْمِنين كِتَابا موقُوتًا ﴾ النسـاء (١٠٣)، أي مفروضات في أوقات محددة، وكل ما قدرت له غاية فهو موقوت، تقول: وقته ليوم كذا مثل أجلته[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنك مِن الْمنْظَرِين * إِلَى يومِ الْوقْتِ الْمعلُومِ ﴾ الحجرات (٣٧) والوقت المعلوم هنا يوم البعث، وقد ذكر في قوله تعالى ﴿ إِن يوم الْفَصل كَان مِيقَاتًا ﴾ النبأ (١٧)، يقول أبـو هـلال العسكري في تحديد دلالة اللفظ: " الوقت يدل على نقط معينة أو مواضع ثابتة في خط الزمان الممتد، تقول: وقت انتصاف الليل، أو وقت انتصاف النهار، فالوقت واحد، وهو المقـدر بالحركة الواحدة من حركات الفلك، وهو يجري من الزمـان مجرى الجزء من الجسم، فالزمان يسـاوي أوقاتـا متواليـة

---

[١] اللسان وقت، المرزوقي ١٣٩/١

مختلفة وغير مختلفة؛ لهذا يوصف الزمان بالقصر والطول ولا يوصف الوقت بذلك، فتبين من ذلك أن الوقت أو الأوقات في علم الفلك عبارة عن نقط معينة من الزمان[1].

والميقات بمعنى الوقت كالميعاد بمعنى الوعد، قال بعضهم: إن الميقات ما قدر فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشيء والجمع مواقيت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَجمِع السحرةُ لِمِيقَاتِ يومٍ معلُومٍ ﴾ الشعراء (٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ وواعدنَا موسى ثَلاَثِين لَيلَةً وَأَتْممنَاها بِعشْرٍ فَتَم مِيقَاتُ ربهِ أَربعِين لَيلَةً﴾ الأعراف (١٤٢).

وقد استعمل اللفظ أيضا بدلالة المكان، فالميقات الموضع الذي يحرم منه المسلمون للحج والعمرة، ومن ذلك قولهم رابغ ميقات أهل مصر وذو الحليفة ميقات أهل المدينة[2].

٢ – ٢ الحين: يعني قدرا مبهما من الزمان طويله وقصيره، تقول: أحين بالمكان أقام به حينا، وحين الشيء

---

[1] أبو هلال العسكري ٢٢٤ ، ٢٢٥

[2] البحر المحيط ٢ / ٥٩ ٤ / ٣٨٨ ، انظر ص (٤٢) من الدراسة

جعل له حينا، وجاء في حديث الأذان: " كانوا يتحينون وقت الصلاة" أي: يطلبون حينها[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عنْهم حتى حِينٍ ﴾ الصافات (١٧٤)، أي: حتى تنقضي المـدة التي أمهلوا فيها، الجمع أحيان وأحايين، يقـول الأزهـري: الحين اسم كالوقت يصله لجميع الأزمان لقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ إبراهيم (٢٥) أي: ينتفع بها في كل وقـت ولا ينقطع نفعها ألبته، ويقول الفراء: الحين حينان: حـين لا يوقف على حده وهو الأكثر، وحين محدود[2]، ويفصل لنـا أبو حيان التوحيدي قول الفراء قائلا: "الوقت قدر من الزمان مفروض مميز من جملته مشار إليه بعينه، وكذلك الحين هو مدة أطول من الوقت وأفسح وأبعد، وإنما تقترن أبدا هاتـان اللفظتان بما يميزهما ويفصلهما من جملة الزمان الذي هـو كل لهما، فيقال: وقت كذا أو حين كذا، فينسب إلى حـال أو شخص أو ما أشبه ذلك، فإذا أريد بها الإبهام لا الإفهام قيل:

---

(١) اللسان حين النهاية ١ / ٤٧

(٢) اللسان حين

كان كذا في حين أو وقت: فيعلم السامع أن المتكلم لم يـؤثر تعيين الوقت والحين، وهما لا محالة معنيان محصلان"[1].

وينقل لنا أبو حيان الأندلسي في تفسير قوله تعـالى: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ إبراهيم (٢٥)، بعض الأقوال التـي تحدد الحين بقدر معين من الزمان فيقول: ".. الحـين بقـدر معين من الزمان فيقول: " ... الحين في اللغة قطعـة مـن الزمان، والمعنى: تعطي جناها كل وقت وقته ا ، قال ابـن عباس: كل سنة، وقال جماعة من الفقهاء: من حلـف أن لا يفعل شيئًا حينا فإنه لا يفعله سنة، واستشهدوا بهـذه الآيـة، وقيل: ستة أشهر وهي مدة بقاء الثمر. قال ابـن المسـيب: شهران؛ لأن النخلة تدوم مثمرة شهرين[2]، كما نجده يقـول في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيسجنُنه حتى حِينٍ ﴾ يوسف (٣٥) " الحين يدل على مطلق الزمان، والمعنى إلى زمان، ومن عين له منا زمانا مقداره سبع سنين، فإنما كان باعتبار مدة سـجن يوسف[3]، وهكذا نجد أن لفظ الحين كما يقول المرزوقي يدل

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٣١

(٢) البحر المحيط ٥ / ٤٤٢

(٣) البحر المحيط ٥ / ٣٠٧

على ما يتطاول من الزمان ويتقاصر، ويكـون محـدودا أو غير محدود أيضا[1]".

٢ – ٣ الأوان: مثل الحين والزمان والجمع آونة مثل زمان وأزمنة، ومن ذلك قولهم: أوان البرد أي: وقته، وجاء أوان التمر أي زمانه المختص به[2]، وقد قالت العرب: طلب أمرا ولات أوان"، يضرب المثل لمن طلب شـيئا ثـم فاتـه وذهب وقته[3]، وجاء اللفظ في الحديث في قولـه ﷺ: " مـا زالت آكلة خيبر تعاودني، فهذا أوان قطعت أبهري"[4].

وقد قالوا أيضا: فعل كذا آونة أي: وقتا بعد وقـت، أي: يصنعه مرارا ويدعه مرارا، جاء في الحـديث: " مـر الرسول ﷺ برجل يحتلب شاة آونة، فقال دع داعي اللـبن،

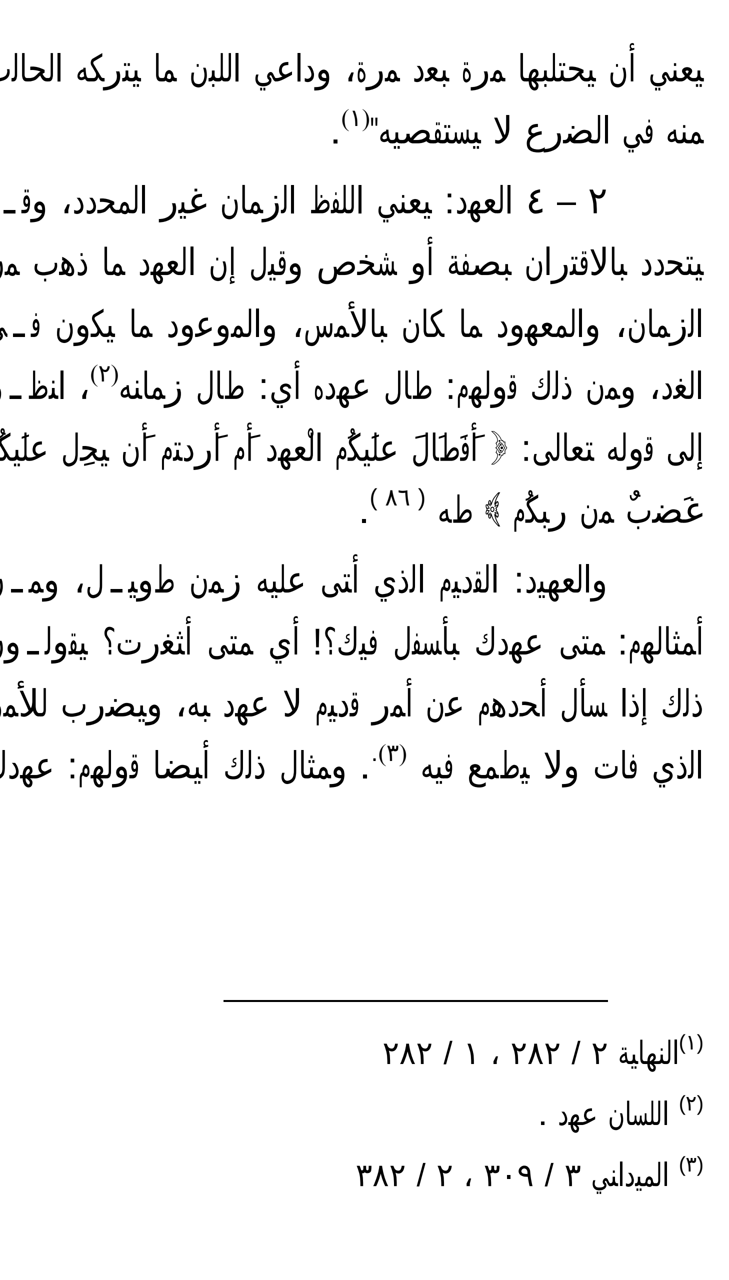
---

(1) الأزمة والأمكنة ١ / ٢٣٥

(2) اللسان أون.

(3) الميداني ٢ / ٢٨٨

(4) النهاية ٢ / ٢٨٢ ، ١ / ٢٨٢



يعني أن يحتلبها مرة بعد مرة، وداعي اللبن ما يتركه الحالب منه في الضرع لا يستقصيه"[1].

٢ – ٤ العهد: يعني اللفظ الزمان غير المحدد، وقد يتحدد بالاقتران بصفة أو شخص وقيل إن العهد ما ذهب من الزمان، والمعهود ما كان بالأمس، والموعود ما يكون في الغد، ومن ذلك قولهم: طال عهده أي: طال زمانه[2]، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ طه (٨٦).

والعهيد: القديم الذي أتى عليه زمن طويل، ومن أمثالهم: متى عهدك بأسفل فيك؟! أي متى أثغرت؟ يقولون ذلك إذا سأل أحدهم عن أمر قديم لا عهد به، ويضرب للأمر الذي فات ولا يطمع فيه [3]. ومثال ذلك أيضا قولهم: عهدك

---

[1] النهاية ٢ / ٢٨٢ ، ١ / ٢٨٢

[2] اللسان عهد .

[3] الميداني ٣ / ٣٠٩ ، ٢ / ٣٨٢

بالفاليات قديم، يضرب للأمر الذي فـات وتعـذر إدراكـه، وأصله في الرأس لبعد عهده بالدهن والفلي[1] [2].

٢ – ٥ الحقبة: يعني اللفظ مدة من الزمان مبهمـة، والجمع أحقاب ومن ذلك قوله تعالى ﴿ لَابِثِين فِيها أَحقَابـا ﴾ النبأ (٢٣) أي أزمانا، والحقُب بضم الحاء والقـاف، وضـم الحاء وسكون القاف: الدهر، والأحقاب الدهور[3].

وقيل: إن الحقب ثمانون سنة أو أكثر، قيـل أيضـا الحقبة السنة، والجمع حقب، يقول أبو حيان في تفسير قولـه تعالى: ﴿ وإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاه لا أَبرح حتـى أَبلُـغَ مجمـع الْبحرين أَو أَمضِي حقُبا ﴾ الكهف (٦٠) ".. الحقب السـنون واحدها حقبة، قال الشاعر:

---

[1] نلاحظ أن أكثر ما يستعمل لفظ العهد بدلالة الميثاق أو الاتفاق الذي يجب مراعاته.

[2] نلاحظ أن أكثر ما يستعمل لفظ العهد بدلالة الميثاق أو الاتفاق الـذي يجب مراعاته.

[3] اللسان حقب

فإن تنأ عنها حقبـة لا تلاقيهـا   فإنك مما أحدثت بـالمجرب

قال الفراء: الحقب سنة ... قال ابن عباس: الحقـب الدهر، وقال عبد ا بن عمر وأبو هريرة: ثمـانون سـنة، وقال الحسن: سبعون، وقيل: سنة بلغة قريش، وقيل: وقـت غير محدود، قاله أبو عبيدة، والمعنى لا أبرح حتـى أبلـغ مجمع البحرين، إلى أن أمضي زماناً أتيقن معه فوات مجمع البحرين"[1].

٢ – ٦ العصر: ينص المعجم على أن اللفظ يعنـي الدهر أو الزمان والجمع عصور وأعصر[2]، تقول: أهل هذا العصر كما تقول: أهل هذا الزمان، وتقول:عاصرت فلانا أي كنت في عصره أي في زمان حياته، جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ والْعصرِ * إِن الإِنْسان لَفِي خُسرٍ﴾ العصـر [١، ٢] يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية: " العصر: قال ابن عباس: هو الدهر، أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب، وقال قتادة: العصر العشي أقسم به كما بالضـحى

---

(١) البحر المحيط ٦ / ١٤١ ، ١٤٤

(٢) اللسان عصر

لما فيهما من دلائل القدرة. وقيل: العصر اليوم والليلة، ومنه قول حميد بن ثور[١]:

ولن يلبث العصران يوم وليلـة   إذا طلبا أن يدركا ما تيممـا

وقد جاء فـي الحـديث: " حـافظوا علـى صـلاة العصرين، أي: صلاتي الفجر والعصر، سـميا بالعصـرين لأنهما يقعان في طرفي العصرين وهما الليل والنهار[٢].

٣ – ١ المدة: قدر من الزمان طال أو قصر والجمع مدد، واللفظ مأخوذ من المد، وهو الطول، تقول: مد ا   فـي عمره أي: جعل حياته طويلة، ومن ذلك أيضا قولهم رجـل مدير أي طويل، والمد أيضا البسط والزيادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وهو الذِي مد الأَرض وجعلَ فِيها رواسِي وأَنْهارا﴾ الرعد (٣)، والمد أيضا الإمهال [٣] ومن ذلك قولـه تعـالى ﴿ويمدهم فِي طُغْيانِهِم يعمهون ﴾ البقرة (١٥) .

---

[١] البحر المحيط ٨ / ٥٠٩

[٢] النهاية ٣ / ٢٤٦

[٣] اللسان مدد

٣ – ٢ الملاوة: قدر من الزمان طال أو قصر مثـل المدة والبرهة بكسر وفتح وضم الميم، ويقولون أيضا ملـوة بكسر وفتح وضم الميم بمعنى: مدة من العيش أو حين مـن الدهر، ويقولون كذلك: ملي في مثل: مر ملي مـن الـدهر وملي من النهار، وملي من الليل أي لأطول ما فيه الملوان: الليل والنهار، قال الشاعر[1]:

نهـار وليـل دائـم ملواهمـا   على كل حال المرء يختلفان

ويقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ واهجرني مليا ﴾ مريم (٤٦) انتصب مليا علـى الظـرف أي: دهـرا طويلا، قاله الجمهور والحسن ومجاهـد وغيرهمـا، ومنـه الملوان وهما الليل والنهار، والملاوة، الدهر الطويل، يقولون أمليت لفلان في الأمر: إذا أطلت له، قال سيبويه: سير عليه ملي من الدهر أي زمان طويل" [2] يقول: تملى العـيش أي عاش واستمتع طويلا بالحياة، ومن أمثالهم: البس جديدا وتمل حبيبا، أي: لتطل أيامك معه، أملى عليه الزمان أي طال عليه

---

[1] اللسان ملو

[2] البحر المحيط ٦ / ١٩٥

مأخوذ من الإملاء أي الإهمال والتأخير، ومن ذلـك قولـه تعالى: ﴿وأُملي لهم إن كيدي متينٌ﴾ الأعراف (١٨٣)، وجاء في الحديث: " إن ا ليملي للظالم" أي يمهله[١].

٣ – ٣ البرهة: ينص المعجم على أن اللفـظ يعنـي الزمان المبهم والطويل بضم الباء وفتحها، تقول: أقمت عنده برهة أي مدة طويلة من الزمان[٢].

٣ – ٤ الفترة: ينص المعجم على أن اللفـظ يعنـي الزمان المعترض بين وقتين، وقيل: إن الفترة هـي الزمـان بين كل نبيين، واللفظ مأخوذ من الفتر بمعنى السكون[٣] يقول أبو حيان في تفسير قوله: ﴿ يا أهلَ الْكِتَابِ قَد جاءكُم رسولُنَا يبين لَكُم علَى فَتْرةٍ من الرسل أَن تَقُولُوا ما جاءنَا مِن بشِيرٍ ﴾ المائدة (١٩) الفترة هي الانقطاع، تقول: فتر الوحي أي انقطع والفترة السكون بعد الحركة[٤].

---

(١) النهاية ٤ / ٣٦٣

(٢) اللسان برد

(٣) اللسان فتر

(٤) البحر المحيط ٣ / ٤٤٤

٣ – ٥ الطور: ينص المعجم على أن اللفـظ يعنـي الحال أو الحد بين الشيئين ومن ذلك قوله تعالى: وقَد خَلَقَكُـم أَطْوارا

﴿ وقَد خَلَقَكُم أَطْوارا ﴾ نوح (١٤)، وقال الأخفـش: طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة، وطورا عظمـا، والطور أيضا التارة، ومن ذلك قول النابغة[١]:

تناذرها الراقون من سوء سـمها تطلقه طورا وطورا تراجـع

أي تارة بعد تارة أو وقتا بعد وقت .

٣ – ٦ التارة: يعني اللفظ كما ينص المعجم المرة أو الكرة والجمع تارات، تقول:أترث الشيء أي جئت به مـرة بعد مرة، أو وقتا بعد وقت[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْها خَلَقْنَاكُم وفِيها نُعِيدكُم ومِنْها نُخْرِجكُم تَارةً أُخْرى ﴾ طه (٥٥)

---

(١) اللسان طور

(٢) اللسان ثور

٤ – ١ العمر: استعملت الجماعـة العربيـة اللفـظ للتعبير عن مدة عمارة البدن بالحياة، تقول عمر الرجل يعمر عمرا وعمارة عاش وبقي زمنا طويلا[١]،

انظر قوله تعالى: ﴿ بلْ متعنَا هؤُلاَءِ وآباءهم حتـى طَالَ علَيهم الْعمر ﴾ الأنبياء (٤٤)، وتقول أيضا عمـره ا بالتشديد أي أبقاه زمنا طويلا انظر قوله تعالى: ﴿ وما يعمر مِن معمرٍ ولاَ ينقَص مِن عمرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ ﴾ فـاطر (١١) والتعمير إطالة العمر. انظر قوله تعـالى: ﴿ ومـن نعمـره نُنَكسه فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يعقِلُون ﴾ يس (٦٨)

والمعمر الذي عاش طويلا، وقـد سـمت الجماعـة العربية الرجل عمرا ومعمرا تفاؤلا ليبقى عمرا طويلا، كما أقسمت فقالت لعمرى ولعمرك بفتح العين أي وحياتي وحياتك ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَعمرك إِنهم لَفِي سكْرتِهم يعمهون﴾ الحجر (٧٢) ودعت للرجل فقالت: عمرك ا أي أطـال ا عمرك، أو نشدتك با والعمرى بضم العين وسكون الميم ما يجعله الرجل للآخر طول عمره، تقول: أعمـره الـدار أي

---

[١] اللسان عمر .

جعلها له يسكنها مدة عمره، فإن مات عادت إليه، وقد أبطل الإسلام ذلك جاء في الحديث: " لا تعمروا ولا ترقبوا فمـن أعمر شيئا أو أرقبه فهو له ولورثته من بعده"[1].

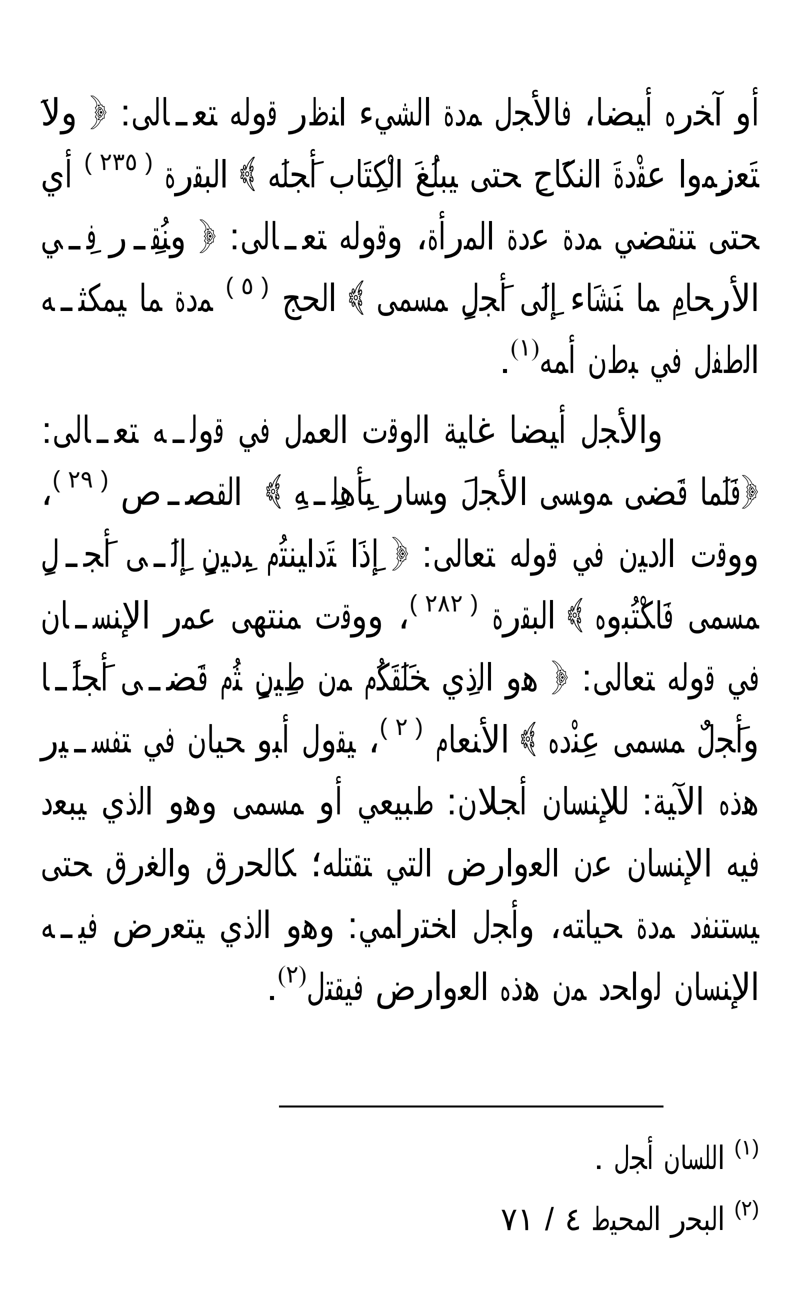
٤ – ٢ الأمد: يعني اللفظ غاية الزمان كالمدى ومن ذلك قوله تعالى ﴿ تَود لَو أَن بينَها وبينَه أَمـدا بعِيـدا ﴾ آل عمران (٣٠)، أي: زمنا طويلا أو قديما، وقوله تعالى: ﴿ ثُم بعثْنَاهم لِنَعلَم أَي الحِزبين أَحصى لِما لَبِثُوا أَمـدا ﴾ الكهـف (١٢)، كما يعني اللفظ أيضا عمر الإنسان ومن ذلك قـولهم للرجل: ما أمدك؟ أي كم عمرك، ومن ذلك سـؤال الحجـاج للحسن البصري: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه[2]، وقالوا أيضـا: إن للإنسان أمدين: أحدهما ابتداء خلقه الذي يظهر عند مولـده، والثاني منتهى أجله.

٤ – ٣ الأجل: يعني اللفظ غاية الزمـان كالأمـد، والجمع آجال تقول أجل الشيء تأجيلا حدد له وقتا أو غايـة

---

(١) اللسان عمر النهاية ٣ / ٢٩٨

(٢) اللسان أمد والنهاية ١ / ٦٥



أو آخره أيضا، فالأجل مدة الشيء انظر قوله تعـالى: ﴿ ولاَ تَعزموا عقْدةَ النكَاح حتى يبلُغَ الْكِتَاب أَجلَه ﴾ البقرة (٢٣٥) أي حتى تنقضي مدة عدة المرأة، وقوله تعـالى: ﴿ ونُقِـر فِـي الأرحامِ ما نَشَاء إِلَى أَجلٍ مسمى ﴾ الحج (٥) مدة ما يمكثـه الطفل في بطن أمه[1].

والأجل أيضا غاية الوقت العمل في قولـه تعـالى: ﴿فَلَما قَضى موسى الأجلَ وسار بِأَهلِـهِ ﴾ القصـص (٢٩)، ووقت الدين في قوله تعالى: ﴿ إِذَا تَداينتُم بِدينٍ إِلَـى أَجـلٍ مسمى فَاكْتُبوه ﴾ البقرة (٢٨٢)، ووقت منتهى عمر الإنسـان في قوله تعالى: ﴿ هو الَذِي خَلَقَكُم من طِينٍ ثُم قَضـى أَجلاً وأَجلٌ مسمى عِنْده ﴾ الأنعام (٢)، يقول أبو حيان في تفسـير هذه الآية: للإنسان أجلان: طبيعي أو مسمى وهو الذي يبعد فيه الإنسان عن العوارض التي تقتله؛ كالحرق والغرق حتى يستنفد مدة حياته، وأجل اخترامي: وهو الذي يتعرض فيـه الإنسان لواحد من هذه العوارض فيقتل[2].

---

[1] اللسان أجل .

[2] البحر المحيط ٤ / ٧١

٤ – ٤ القرن: يعني اللفظ مقدارا من الزمـان وقـد اختلفوا في هذا القدر، فقيل مدته عشر سنوات، وقيل عشرون سنة وقيل ثلاثون، وقيل ستون وقيل سبعون، وقيل ثمـانون، وقيل القرن أربعون سنة بدليل قول الجعدي[١]:

ثلاثـــة أهلـــين أفنيـــتهم وكان الإله هـو المستآسـا

قال ذلك وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل القـرن مائة سنة، وجمعه قرون جاء في الحديث[٢]: "أنه مسح علـى رأس غلام وقال: عشْ قرنا، فعاش مائة سنة" كما يعني اللفظ أيضا أهل الزمان الواحد الـذين يقترنـون فـي أعمـارهم وأحوالهم. يقول الأزهري: " إن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلت السنون أو كثـرت. جاء في الحديث: " خيركم قرني، ثم الـذين يلـونهم" [٣] أي الصحابة ثم التابعين، ومن ذلك قول الشاعر[٤]:

---

[١] اللسان قرن

[٢] النهاية ٤ / ٥١

[٣] النهاية ٤ / ٥١

[٤] اللسان قرن.

إذا ذهب القرن الذي أنت فـيهم   وخلفت في قرن فأنت غريب

يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَم يروا كَم أَهلَكْنَا مِن قَبلِهم من قَرنٍ مكناهم فِي الأَرضِ ما لَم نُمكن لكُم وَأَرسلْنَا السماء علَيهم مدرارا وجعلْنَا الأَنْهـار تَجـري مِـن تَحتِهم فَأَهلَكْنَاهم بِذُنُوبِهم وَأَنْشأْنَا مِن بعدِهِم قَرنًـا آخَـرين ﴾ الأنعام (٦) " القرن الأمة المقترنة في مدة من زمان ومنـه ((خير القرون قرني)) وأصله الارتفاع عن الشـيء، ومنـه قرن الجبل، سموا بذلك لارتفاع السن، وقيل هو من قرنـت الشيء بالشيء جعلته بجانبه أو مواجها له، فسموا بذلك لكون بعضهم يقترن ببعض، وقيل: سموا بذلك لأنه جمعهم زمـان له مقدار هو أكثر ما يقرن فيه أهل ذلك الزمان، ومدة القرن مائة سنة، قاله الجمهور، وقد احتجوا بقول الرسول ﷺ لعبـد ا بن شبر: "عشر قرنا، فعاش مائة سنة"[١].

٤ – ٥ الأمة: يعني اللفظ مقدارا من الزمان وينص المعجم على أن الأمة حين من الدهر، قاله الفراء في تفسـير

---

[١] البحر المحيط ٥ / ٣١٤

قوله تعالى: ﴿ وادكر بعد أمةٍ ﴾ يوسف (٤٥) وقوله تعالى: ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمةٍ معـدودةٍ ﴾ هـود (٨)، يقول أبو حيان في تفسير الآية الأولى: " ادكر أي: تذكر مـا سبق له مع يوسف، بعد أمة أي بعد مدة طويلة ويقـول فـي تفسير الآية الثانية: " الأمة الثانية هنا المدة من الزمان قالـه ابن عباس وقتادة ومجاهد والجمهور، ومعناه إلى حين وقـت معلوم ما يحبسه استفهام، قالوه وهو على سبيل التكذيب[١].

وكما رأينا القرن يعني مقدارا مـن الزمـان وأهـل الزمان الواحد، نجد أيضا لفظ الأمة يعني مقدارا من الزمان كما يعين أيضا كل جيل من الناس، وينص المعجم على أننـا يمكن أن نقول: مضت أمة أو أمم من النـاس، كمـا تقـول مضى قرن ومضت قرون[٢]، وأمة كل نبي من أرسل إلـيهم ومن ذلك قولنا: أمة محمد ﷺ ومنه قوله تعالى: ﴿ ولكل أمةٍ رسولٌ فإذا جاء رسولهم قضي بينهم ﴾ يونس (٤٧) وقولـه

---

[١] البحر المحيط ٥ / ٢٠٥

[٢] اللسان أمم .

تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرسلْنَاكَ فِي أُمةٍ قَد خَلَتْ مِن قَبِلهـا أُمـمٌ ﴾ الرعد [٣٠].

٤ – ٦ الطبقة: استعملت الجماعـة العربيـة اللفـظ بدلالة جماعة من الناس المقترنين في زمان معين، وقيـل إن أمدها عشرون سنة [١] قال العباس في مدح الرسول ﷺ:

تنقل مـن صـلب إلـى رحـم إذا مضى عالم بـدا طبـق

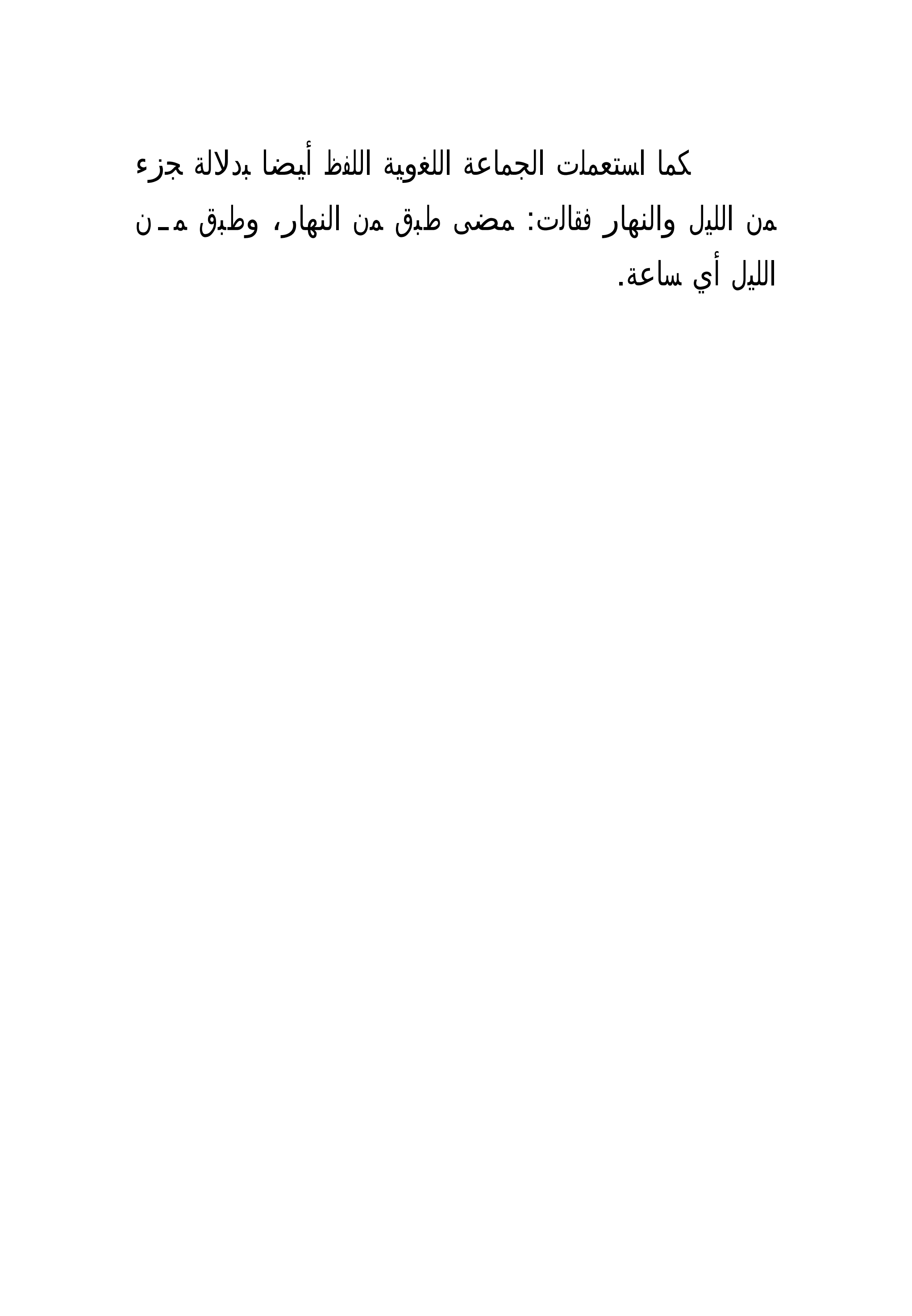
يقول ابن الأثير: " أراد إذا مضى قرن ظهـر قـرن آخر، وإنما قيل للقرن طبـق؛ لأنهـم طبـق لـلأرض ثـم ينقرضون ويأتي طبق للأرض آخر، وكذاك طبقات النـاس كل طبقة طبقت زمانها[٢] [٣].

---

[١] اللسان طبق

[٢] النهاية ٣ / ١١٣

[٣] لاحظ أيضا أن هذا اللفظ أصبح مصطلحا لنوع معين من المصنفات التراثية تعرف باسم كتب الطبقات ومثال ذالـك طبقـات ابـن سـعد، وطبقات الشعراء، وطبقات الفقهاء وغير ذلك من المصنفات المعروفة للباحثين.



كما استعملت الجماعة اللغوية اللفظ أيضا بدلالة جزء من الليل والنهار فقالت: مضى طبق من النهار، وطبق مـن الليل أي ساعة.

الفصل الثاني
ألفاظ الزمان المحدد

استعرضنا في الفصل السابق الألفاظ الدالـة علـى الزمان المبهم، ورأينا كيف تعددت هـذه الألفـاظ وتميـزت بعلاقة الترادف فيما بينها، كما نـرى فـي ألفـاظ الزمـان والدهر، والأوان والحين، والمدة والملاوة، كما نـرى فـي ألفاظ مثل العصر بمعنى الزمان طويلة وقصيرة، كما نـرى في ألفاظ مثل العصر بمعنى الزمان المبهم أو الجـزء مـن اليوم، والحقبة بمعنى الزمان المبهم أو السنة، والحين بمعنى الزمان المبهم أو الفصل.

وإذا كان الزمان قد تصوره الإنسان كما يشير إلـى ذلك الفخر الرازي – متصلا واحدا، فإن هذا المتصل الواحد لا يمكن تحديده إلا بعد أن يتجزأ، وإنما تحصـل التجزئـة بإحداث فصول في ذلك المتصل[١]، إننا نجد المعجم العربـي للجماعة العربية يمدنا بألفاظ مختلفة للتعبيـر عـن أجـزاء

---

[١] المباحث الشرقية ٢ / ٦٧٥.

الزمان، وسنحاول في هذا الفصل استعراض الألفـاظ التـي عبرت بها الجماعة العربية عن أوقـات الزمـان المختلفـة وتعكس مدى إحساسها بها.

يقول المرزوقي: " إن الأمم على اختلافهـا أولعـت بالتوقيت بذي الليالي والأيام والشهور والأعوام؛ لما يتعلق به من وجوه المعاملات والآجال المضـروبة فـي التجـارات والزراعات، وآماد العمارات وتوجيه المعاش ومن اشـتغال أرباب النحل بما افترض عليه عندهم من تقرب وعبـادة"[(١)]. لقد كانت الجماعة العربية من أكثر الأمم ولوعـا بالزمـان وإحساسا به، فقد كان لكل لحظة عندهم شأن فـي الحركـة والإقامة، وفي المرعى والتجارة وفي الحرب والأمـان، إن مثل هذا الإحساس بالزمان لا تصوره كلمات في لغـة مـن اللغات التي نعرفها، ولا نجده على صـورة أدق مـن هـذه الصورة التي سنراها.

يمكن أن نعرض لألفاظ الزمان المحدد فـي خمـس مجموعات دلالية كما يلي:

[(١)] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٤٣

المجموعة الأولى: وتشتمل على ألفاظ السنة والعام والحـول والحجة والحقبة ودلالتها.

المجموعة الثانية: وتشمل ألفاظ الفصل وأسـماء الفصـول ودلالتها.

المجموعة الثالثة: وتشمل ألفاظ الشـهر وأسـماء الشـهور ودلالتها.

المجموعة الرابعة: وتشمل الأسبوع وأسماء الأيام ودلالتها.

المجموعة الخامسة: وتشمل ألفاظ اليوم والنهـار وأوقـات الليل والنهار.

١ – ١ السنة: يعني اللفظ مدة الزمان التي تقطع فيها الشمس الفلك، ومقدارها اثنا عشر شهرا، وأصله سنة بـوزن جبهة فحذفت لأمها ونقلت حركتها إلى النون فبقيـت سـنة؛ لأنها من قولهم: سنهت النخلة، وتسـنهت إذا أتـت عليهـا السنون[1]، وجاء في الحديث أنه ﷺ نهى عن بيـع السـنين، وهو أن يبيع ثمر نخلة لأكثر من سنة[2]، نهى عنه لأنه غرر

---

[1] اللسان سنه.

[2] النهاية ٢ / ٤١٤

وبيع ما لم يخلق، وفي رواية أخرى أنه نهى عن المعاومـة، وجمع السنة سنون وسنوات وسنهات، ويقولون سانهه مسانة أي: عامله بالسنة أو استأجره قدر سـنة، ويقولـون أيضـا سانهت النخلة أي: حملت سنة ولم تحمـل الأخـرى وهـي سنهاء.

كما سبق أن عرفنا أن السنة تعني الجدب في معجـم الجماعة العربية، وقد جاء في الحديث: " اللهم أعنـي علـى مضر بالسنة" [1] أي: بالجدب. يقولون: أخـذتهم السـنة إذا أجدبوا وقحطوا، وفي حديث حليمة السعدية: خرجنا نلـتمس الرضعاء بمكة في سنة سنهاء[2]، أي: لا نبات بها ولا مطر، وهي لفظة مبنية من السنة، كما يقال: ليلة ليلاء ويوم أيـوم، ونجد المعجم ينص على أن العرب تقول: سنة جدبة، وعـام خصب لقوله تعالى: "ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقـص من الثمرات" الأعراف (١٣) وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَـذْنَا آلَ فِرعون بِالسِنِين ونَقْصٍ من الثمراتِ ﴾ الأعراف (١٣) وقوله

---

[1] النهاية ٢ / ٤١٤

[2] النهاية ٢ / ٤١٤

تعالى: ﴿ ثُم يأْتِي مِن بعدِ ذَلِك عامٌ فِيهِ يغَاثُ الناس وفِيهِ يعصِرون ﴾ يوسف (٤٩)، ولكن قد وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزرعون سبع سِنِين دَأَبا فَما حصدتم فَذَروه فِي سنبلِهِ ﴾ يوسف (٤٧).

يذهب بعض اللغويين مثل المرزوقي إلى أن العام أقل أياما من السنة[1]؛ لأن العرب تقول في طول الزمان: جرت عليه سنون؛ لأن السنين أطول من الأعوام، فتقول مثلا بلغ فلان أربعين سنة، فتذكر السنين بدلا من الأعوام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ حتى إِذَا بلَغَ أَشُده وبلَغَ أَربعِين سنَةً ﴾ الأحقاف (١٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِم أَلْفَ سنَةٍ إِلا خَمسِين عاما ﴾ العنكبوت (١٤)، ولكننا نجد أيضا استعمال لفظ العام للتعبير عن السنين الطويلة[2]، في قوله تعالى: ﴿فَأَماتَه اللَّه مِائَةَ عامٍ ثُم بعثَه ﴾ البقرة (٢٥٩) كما يقول المرزوقي أيضا إذا أردنا أن نخبر عن اكتمال الإنسان وتمام قوته واستوائه، فإن لفظ سنة أولى بهذا، فنقول: سن فلان كذا

---

[1] ربما قالوا ذلك لارتباط السنة بدورة الشمس ومدتها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات وارتباط العام بدورة القمر ومدتها ٣٥٤ يوما و٨ ساعات.

[2] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٦٣

وأصل ذلك السن في الحيوان الذي يرتبط بالسنة الشمسية [1] لأن النتاج والحمل له يكونان في الربيع والصيف حتى قيـل ربعي للبكر وصيفي للمتأخر"[2].

يرى أبو هلال العسكري مثل المرزوقي أن السـنة أطول من العام، فالعام جمع أيام والسنة جمع شهور فيقول: " ألا ترى أنه لما كان يقال: أيام الزنج، قيل: عام الزنج ولـم يقل شهور الزنج، ولم يقل سنة الزنج ويجوز أن يقال: العام يفيد كونه وقتا لشيء والسنة لا تفيد ذلك؛ لهذا يقـال: عـام الفيل ولا يقال سنة الفيل، ويقال في التاريخ سنة مائة، وسنة خمسين، ولا يقال عام مائة وعام خمسين؛ لأنه لـيس وقتـا لشيء مما ذكره هذا العدد ... " ورغم ذلك يقرر أبو هـلال أن العام هو السنة، والسنة هي العام ذكره هـذا العـدد ... " ورغم ذلك يقرر أبو هلال أن العام هو السنة، والسـنة هـي العام وإن اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخـر"[3]،

---

[1] انظر هامش ٢ ص ٧٠ من الدراسة .

[2] انظر ص (١١٣) من الدراسة.

[3] الفروق في اللغة ٢٦٤

كما يقول المرزوقي والصحيح أنهما اسمان موضوعان على مسمى واحد"[١].

١ – ٢ العام: اللفظ مصدر كالعوم وقد سمت به الجماعة العربية هذا المقدار من الزمان لأنه عومة من الشمس في الفلك، والعوم من الشمس في الفلك والعوم كالسبح؛ لأن الأفلاك تجري وتسبح في برجها[٢]، انظر قوله تعالى ﴿كُل فِي فَلَكٍ يسبحون﴾ الأنبياء (٣٣)، وألفه منقلبة عن واو لقولهم العويم والأعوام، والعام على هذا كالقول والقال[٣] قالت العرب: عاومه معاومة وعواما: عامله بالعام أو استأجره قدر عام، كما قالت سانهت النخلة قالت أيضا عاومت بمعنى حملت عاما، ولم تحمل آخر ويقولون: لقيته ذات العويم، أي: لدن ثلاث سنين مضت أو أربع كما يقولون: لقيته ذات الزمين أي: منذ ثلاثة أزمان أو أعوام[٤].

---

[١] الأزمنة والأمكنة١ / ١٦٣

[٢] انظر ص ٦١ من الدراسة.

[٣] البحر المحيط ٢ / ٢٨٥

[٤] اللسان عوم ومفردات الراغب .

ومن العام اشتقوا المعاومة بمعنى أن تبيع زرع عامك أو ثمر نخلك أو شجرك لعامين أو ثلاثة، وجاء في الحديث: نهى عن بيع النخل معاومة[١]، وقال بعض اللغويين: إن المعاومة أن يحل دينك على رجل فتزيده في الأجل ويزيدك في الدين.

١ – ٣ الحول: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة السنة أو العام، واللفظ مشتق من الحول بمعنى التغير[٢]، تقول: حال الشيء يحول تغير بنفسه، وحولت الشيء فتحول غيرته بنفسك، وجاء في الحديث: " أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال" أي: غيرت ثلاث تغييرات أو تحويلات[٣] وقد سمت الجماعة العربية السنة بهذا الاسم باعتبار انقلابها وتغيرها بدورة الشمس، فقالت: حالت السنة تحول كما قالت: حالت الدار بمعنى تغيرت أو أتى عليها الحول، أي العام أو السنة، وقالت أيضا: أحولت بالمكان

---

[١] النهاية ٣ / ٣٢٣

[٢] اللسان حول ومفردات الراغب.

[٣] النهاية ١ / ٤٦٣

وأحلت أقمت حولا، وأحال الرجل بالمكان وأحوال أي أقـام حولا، انظر قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج ﴾ البقرة (٢٤٠) أي: لزوجة المتوفى السكنى والنفقة سنة كاملـة في ماله ما لم تخرج برأيها وقولـه تعـالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ البقرة (٢٣٣)، ويقولون: أحول الصبي فهو محـول أي أتـى عليه حول من مولده، ومن ذلك قول امرئ القيس[1]:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

كما يقولون نبت حولي، وجمل حولي أي: أتى عليه العام، والأنثى حولية والجمع حوليات.

١ – ٤: استعملت الجماعة العربية اللفظ بكسر الحاء بدلالة السنة، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج ﴾ القصـص

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات السبع ١٢

(٢٧) واللفظ مأخوذ من الحج بكسر الحاء بمعنى عمل السنة، تقول: حججت فلانا إذا أتيته مرة بعد مرة، وقالوا: حج البيت بفتح الحاء؛ لأن الناس يقصدونه كل سـنة؛ ولهـذا سـمت الجماعة العربية السنة حجة، والجمع حجج[١].

١ – ٥ الحقبة: ينص المعجم على أن هذا اللفظ مـن الألفاظ التي استعملتها الجماعة العربية بدلالة السـنة، وقـال بعض اللغويين مثل ثعلب: إنها لغة قيس خاصـة[٢]، وقـال الفراء: إنها لغة قريش، فالحِقبة بكسر الحاء السـنة والجمـع حِقَب بكسر الحاء وفتح القاف وبضم الاثنتين، وبهـذا فسـر بعضهم لفظ الحقب في قوله تعالى: ﴿ وإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاه لاَ أَبرح حتى أَبلُغَ مجمع الْبحرين أَو أَمضِي حقُبا ﴾ الكهف (٦٠) بالسنين جمع سنة، ومن ذلك قول الشاعر[٣]:

فإن تنأ عنهـا حقبـة لا تلاقهـا   فإنك مما أحدثت بـالمجرب

---

[١] اللسان حول.

[٢] اللسان حجج والمخصص ٩ / ٦٦

[٣] اللسان حقب المخصص ٩ / ٦٦

ونجد اللفظ يشتجر مع لفظ الحقب بفتح الحاء والقاف بدلالة الحزام أو الحبل الذي يشد به حقوا البعير، والحقـاب بمعنى الحزام الذي تشد به المرأة الحلـي حـول وسـطها، والحقبة بمعنى الوعاء الذي يجعل الرجل فيه زاده[1]، وكـأن الجماعة العربية قد رأت في الحقبة امتداد الأيـام وتسلسـلها خلال السنة، أو امتداد أو اتصال السنين على مـن قـال إن اللفظ يعني مدة طويلة من الزمان، قدرها بعضهم بثمانين أو أنها رأت الحقبة بمعنى الظرف أو الوعاء الـذي يـتم فيـه الحديث.

٢ – ١ الفصل: استعملت الجماعة العربيـة اللفـظ لتمييز أوقات السنة التي يكون فيها الحر والبرد وما بينهمـا، وهو مشتق من الفصل بمعنـى التفريـق أو التمييـز بـين الشيئين[2]، وقد ذهب إلى ذلك بعض اللغويين قـائلا: سـمي

---

[1] البحر المحيط ٦ / ١٤١ ، ١٤٤

[2] اللسان فصل .

الفصل فصلا؛ لانفصال الحر من البرد وانقلاب الزمن الذي قبله والجمع فصول[1].

٢ – ٢ الفَصية: استعملت الجماعة اللغوية اللفظ بفتح الفاء وسكون الصاد بدلالة الخروج من حر إلى برد، ومـن برد إلى حر[2]، يقول المرزوقي: إن الفصية تصلح في كـل أوقات السنة ومتى خرجت من أذى إلى رخاء فتلك فصـية، ولا تستعمل الفصية إلا في حينه[3]، ويذهب الأصمعي إلـى أن الفصية هي أن تخرج من برد إلى حر، ويقـال أفصـى القوم وهم مفصون، ويذكر ابن الأعرابي قولهم: أفصى عنك الشتاء وسقط عنك الحر، ومن أمثالهم عن الرجل يكون فـي غم فيخرج منه قوله: أفصى عنك الشتاء وسقط عنك الحـر، ومن أمثالهم عن الرجل يكون في غم فيخرج منـه قـولهم: أفصى علينا الشتاء.

---

(١) المرزوقي ١ / ١٧٧

(٢) اللسان فصي .

(٣) المرزوقي ١ / ١٧٨

وقد كانت العرب تقول أيضا: اتقوا الفصية، وهي الخروج من برد إلى حر ومن حر إلى برد، وكما ذكر المرزوقي أن الفصية تصلح لكل أوقات السنة، وإن كان بعض اللغويين قد خصصها بالخروج من البرد إلى الحر واللفظ مأخوذ من قولهم فصى الشيء فصيا فصله، ومن هذا قولهم فصى اللحم عن العظم؛ إذ أخلصه ومنه الاسم فصية، ونلاحظ أن لفظي الفصل والفصية يتفقان في دلالة الخروج من حالة إلى أخرى كما يشتجران في لفظ ثالث وهو الفصم بمعنى القطع وهي دلالة تتفق مع دلالة التفريق في الفصل والتخليص في الفصي[1].

٢ – ٣ الشتاء: قسمت الجماعة العربية كغيرها من الجماعات الإنسانية السنة إلى أربعة فصول الشتاء والربيع والصيف والخريف، ومدة كل فصل ثلاثة أشهر[2]، إلا أن فصلي الشتاء والصيف كانا أبرز الفصول وأوضحها في بيئتهم الصحراوية، ولاسيما فصل الصيف الذي يعتبر أطول

---

[1] اللسان قصي .

[2] انظر ص (٦٨) من الدراسة.

الفصول، وهذا هو الذي دفع الجماعة العربية، كمـا تـذكر بعض كتب الأنواء إلى تقسيم السنة على نصفين أو فصـلين الشتاء والصيف[1].

تذكر كتب الأنواء أن الجماعة العربيـة قـد بـدأت فصول السنة بالشتاء وقدمته على الصيف، وينقل المرزوقي عن أبي حنيفة في كتابه (الأنواء) علة ذلك قائلا: ".. زعـم بعضهم أنهم إنما قدموا الشتاء على الصيف لأنه ذكـر، وأن الصيف أنثى، ولم يذكروا علة تذكير الشتاء وتأنيث الصيف، ولا أظنه لقسوة الشتاء وشدته ولين الصيف وهونه، ألا ترى أنه من عادتهم أن يذكروا كل صعب من الأمور قاس شـديد

---

[1] يذكر ابن الأجدابي أن العرب قسمت السنة نصفين شتاء وصيفا، ثم قسمت الشتاء على ثلاثة والصيف على ثلاثة، فتكون السنة كلها سـتة أزمنة: ثلاثة للشتاء وثلاثة للصيف، يسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه فأول أزمة الشتاء الثلاثة: الوسمى ثم الشتاء ثم الربيع، وكلها شتاء وأول أزمنة الصيف الثلاثة: الصيف بتشديد الياء ثم الحميم ثم الخريف وكلها صيف.

انظر الأزمنة والأنواء ٩٧، والأزمة والأمكنة ١ / ١٦٥ و (٥٨، ٥٩، ١٤٤) من الدراسة.

حتى قالوا: داهية مذكار وإن كانت أنثى، وحتى قالوا: أرض مذكار إذا كانت ذات مخاوف وإفزاع"[١].

ويذكر المرزوقي تعليلا آخر فيقول: "ويذكر غيـره من تعليل تذكير الشتاء أقرب منه وهو لما كان إدراك الثمار في الربيعين ووضع الأحمال من الملاقيح ونتائج الخير فـي أصناف المعاش من الزرع والضرع في الصيف فأشبهت ما في بطون الحاملات، فجعلوا الشتاء ذكرا والصيف أنثى[٢].

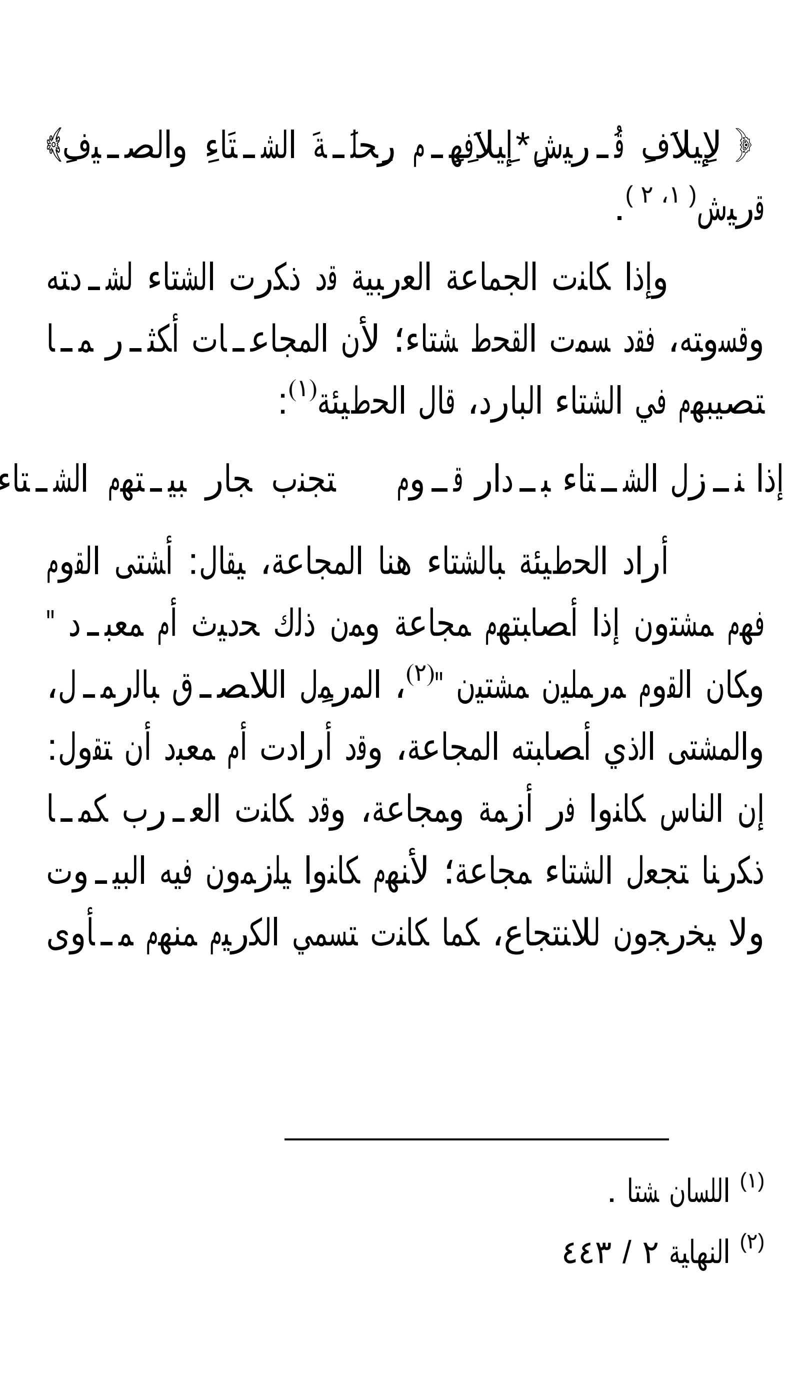
كما يعلل المرزوقي أيضا تقديم الجماعـة العربيـة للشتاء على الصيف لاعتمادها على مبادئ الأقوات فيه، ولأن أوائل النماء في العالم منه، ويشهد على ذلك تقديم ا تعـالى الشتاء على الصيف حين ذكر رحلتي قريش للتجارة وامـتن عليهم بما مكن لهم في النفوس من الإجلال والمهابة؛ لكونهم قطان الحرم وأرباب الأشهر الحرم، حتـى أمنـوا الزمـان وكانت العرب تقول: من غلـب سـلب[٣]، فقـال تعـالى:

---

[١] الأزمنة والأمكنة ١ ، ١٦٨

[٢] المصدر نفسه ١ / ١٦٩

[٣] المصدر نفسه ١ / ١٦٤



﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ*إِيلَافِهِم رِحلَةَ الشِّتَاءِ والصيفِ﴾ قريش[١، ٢].

وإذا كانت الجماعة العربية قد ذكرت الشتاء لشدته وقسوته، فقد سمت القحط شتاء؛ لأن المجاعات أكثر ما تصيبهم في الشتاء البارد، قال الحطيئة[١]:

إذا نزل الشتاء بدار قوم ••• تجنب جار بيتهم الشتاء

أراد الحطيئة بالشتاء هنا المجاعة، يقال: أشتى القوم فهم مشتون إذا أصابتهم مجاعة ومن ذلك حديث أم معبد " وكان القوم مرملين مشتين "[٢]، المرمِل اللاصق بالرمل، والمشتى الذي أصابته المجاعة، وقد أرادت أم معبد أن تقول: إن الناس كانوا فر أزمة ومجاعة، وقد كانت العرب كما ذكرنا تجعل الشتاء مجاعة؛ لأنهم كانوا يلزمون فيه البيوت ولا يخرجون للانتجاع، كما كانت تسمي الكريم منهم مأوى

---

(١) اللسان شتا .

(٢) النهاية ٢ / ٤٤٣

المحتاجين ومطعم الشتوات. ونجد هذه الدلالـة فـي شـعر الهذليين في هذه الأبيات[(١)]:

يا عـين فـابكي المـالكين أول	فوارس الأضائف المحـول
المطعمين في الشـتاء الأطحـل	والأزمات والزمان المعضل
مطاعيم للضيف حـين الشـتاء	شم الأنوف كثيـرو الفجـر

وقد قالت الجماعة العربية أشـتينا أي: دخلنـا فـي الشتاء، كما قالت: أصفنا أي: دخلنا في الصـيف، والنسـبة شتوي مثل صيفي، والشتوة مصدر شتا بالمكان شتوا، وشتوة للمرة الواحدة، كما تقول: صاف بالمكـان صـيفا، وصـيفة واحدة، كما قالت أيضا: شتى وتشتى بالمكان: أقام بـه فـي الشتوة، وقالت: شتا الشتاء يشتو ويوم شاتٍ[(٢)].

وكما ارتبط الصيف بالحر وسموه: قيظـا، ارتـبط الشتاء بالبرد وسموه: قُرا بضم القاف، فقالوا: هذا يوم ذو قر ويوم مقرور وقار، وليلة قرة وقارة أي: باردة، وفي حـديث

---

(١) شرح أشعار الهذليين ١ / ١١٨ ، ٢ / ٨٦٠

(٢) اللسان شتو .

أم زرع " لا حر ولا قر" [1] أرادت لا ذو حر ولا ذو برد فهو معقول. أرادت بالحر والبرد الكناية عن الأذى، فالحر قليله والبرد كثيره، وقد قالت العرب للرجل تدعو له: قرت عينك، أي: برد ا دمع عينك، وأن القرور هو الدمع البارد يخرج من العين فرحا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَكُلِي واشْرِبِي وقَري عينًا ﴾ مريم (٢٦).

٣ – ٤ الصيف: هو نصف السنة الثانية لدى الجماعة العربية وربع من أرباع السنة لدى غيرها، وقد كان من أرز الفصول وأوضحها في بيئتها الصحراوية، كما كان من أطولها أيضا؛ ولهذا قالوا: أصاف الرجل فهو مصيف إذا تزوج وأنجب وهو كبير، وقالوا لولد الرجل الذي ينجبه في كبره صيفي والجمع صيفيون، أما إذا تزوج وهو شاب فولده ربعي والجمع ربعيون قال الشاعر[2]:

إن بني صبية صيفيون   أفلح من كان له ربعيون

---

[1] النهاية ٤ / ٣٨

[2] اللسان صيف

كما ارتبط الصيف في ذهن الجماعة العربية بالنتـاج واللقاح فقالت: في الصيف ضيعت اللبن، لمن طلب شيئا في غير وقته وقد خصوا الصيف لأن الألبان تكثر فيه[1].

قالوا: أصاف القوم دخلوا زمان الصيف، كما قـالوا: أشتوا دخلوا في زمان الشتاء، وقالوا يـوم صـائف وليلـة صائفة، وقالت صاف بمكان كذا، أقام فيـه الصـيف فهـو صائف، وقالت أيضا تصيف مثل تشتي، واصطاف كـذلك، والمصيف والمصطاف الموضع الذي يصيف أو يصـطاف فيه[2].

والصيف أيضا المطر الذي يـأتي فـي الصـيف، والواحد صيفة، قال الهذلي[3]:

ولقد وردت الماء لم يشرب به   بين الربيع إلى شهور الصيف

---

[1] الميداني ٢ / ٤٣٤

[2] اللسان صيف

[3] شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٠٨٥

وكما ارتبط الشتاء بالبرد وسموه قرا ارتبط الصيف بالحر وسموه قيظا والقيظ صميم الصيف، ومن ذلك قـولهم: قاظ يومنا أي اشتد حره وفي الحديث:

" سرنا مع رسول ا ﷺ في يوم قائظ" [١] أي شديد الحر، قالوا: قاظ وقيظ واقتاظ بمكان كذا: أقام زمـن قيظـه والمقيظ اسم المكان الذي يقام فيه وقت القيظ مثل المصيف.

ونجد الجماعة العربية تكني عن الخيـر والسـهولة بالبرد، وتكني عن الشدة والشر بالحر، ومن ذلك مـا روي عن عمر ﷺ أنه قال لابن مسعود: " بلغني أنـك تفتـي ول حارها من تولى قارها" [٢] أي: ول شرها من تولي خيرهـا، وول شديدتها من تولى سهولتها، والحر عكس القـر وكمـا قالت الجماعة العربية في الدعاء للرجل: " قر ا عينه" قالت في الدعاء عليه: "أسخن ا عينه"؛ لأن دموع الفرح بـاردة،

---

[١] النهاية ٤ / ١٣٢

[٢] النهاية ٤ / ٣٨

ودموع الحزن ساخنة، كما اشتقت من الحر تعبير استحر القتل أي: اشتد[1].

٢ – ٥ الربيع: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للشهور والفصل، وتذكر بعض كتب الأنواء أنها تجعل زمان الشتاء نصفين؛ فصل الشتاء أوله والربيع آخره، كما تجعل زمان الصيف نصفين فصل الصيف أوله والقيظ آخره، كما تذكر أيضا أن بعض العرب تسمي الشتاء: الربيع الأول والصيف الربيع الآخر[2].

وكما سمت الجماعة العربية المطر الساقط في الصيف صيفا، سمت أيضا المطر الساقط في هذا الزمان ربيعا، يقول الأزهري: السنة أربعة أزمنة: الربيع الأول وهو عند العامة الخريف، ثم الشتاء، ثم الصيف وهو الربيع الآخر، ثم القيظ وهذا كله قول العرب في البادية، وقد سمعت العرب تقول لأول مطر يقع بالأرض: أيام الخريف ربيعا، ويقولون إذا وقع ربيع بالأرض: بعثنا الرواد وانتجعنا مساقط

---

[1] اللسان حر

[2] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٧٠ ، المخصص ٩ / ٧٩

الغيث، وسمعتهم يقولون للنخيل إذا خرفت وصـرمت: قـد تربعت النخيل، قال: إنما سمي فصل الخريف خريفـا؛ لأن الثمار تخترف فيه، وسمته العرب ربيعا؛ لوقوع أول المطـر فيه[1]، ويذكر ابن الأجدابي أن العرب تسمي كل زمن باسـم الغيث الواقع فيه، فأول أزمنة الشتاء الثلاثة الوسمى ثم الشتاء ثم الربيع وكلها شتاء، وأول أزمنة الصيف الثلاثة الصـيف، ثم الحميم، ثم الخريف وكلها صيف"[2].

قالت العرب: أرب القوم دخلوا فـي الربيـع، أو إذا صاروا إلى الريف والماء، وقالـت تربـع القـوم المكـان، وارتبعوه أقاموا فيه زمن الربيع، أربع القـوم: أقـاموا فـي المربع، والمربع المنزل الذي ينزل فيه الإنسان زمن الربيـع مثل المصيف، والمرتبع المكان أيضا[3].

وقالت العرب لأول كل شيء ربعي، فالربعي الولـد يولد لأبيه في شبابه عكس الصيفي، كما قالت: ناقـة مربـع

---

(1) اللسان ربع .

(2) الأزمنة والأنواء ٩٧

(3) اللسان ربع .

ومرباع التي تبكر في النتاج أو تلد في هذا الزمن[١]، والربيع أيضا الجدول أو النهر الصغير، وجاء في حديث المزارعة " ويشترط ما سقى الربيع، والأربعاء" الربيع النهـر الصـغير والأربعاء الجمع، وفي الحديث أيضا أنه ﷺ عدل إلى الربيع فتظهر" [٢].

ولما كان الربيع من الأزمة التي يرتاح فيهـا قلـب الإنسان ويميل إليها، فإننا نجد في حديث الدعاء قولـه ﷺ: " اللهم اجعل القرآن ربيع قلبي"[٣].

٢ – ٦ الخريف: سمت الجماعة العربية هذا الفصل من السنة بالخريف؛ لأنه تخرف فيـه الثمـار أي تجتنـى، والخارف الذي يخرف الثمار أي يجتنيها، وهو مـن آخـر الصيف وأول الشتاء[٤]، وتذكر بعض كتب الأنواء أن العرب لم تذكر الخريف في الأزمـة؛ لأن الخريـف عنـدها اسـم

---

[١] اللسان ربع .

[٢] النهاية ٢ / ١٨٨

[٣] المصدر نفسه ٢ / ١٨٨

[٤] اللسان خرف .

الأمطار آخر الصيف، وقد سمي هذا الزمان به، وقد سبق أن أشرنا إلى أن بعض العرب يجعل أزمنـة الصـيف ثلاثـة: صيف وحميم وخريف، وتقسم أزمنة السنة طبقا للمطر إلـى ستة أقسام أو فصول، مدة كل منها شهران[١]، قال أبو زيـد اللغوي " أول المطر الوسمي ثم الشـتوي ثـم الربعـي ثـم الصيفي ثم الحميم ثم الخريف. يقول الأصـمعي: أول مـاء المطر في إقبال الشتاء اسمه الخريف، وهو الذي يأتي عنـد صرام النخل، ثم يليه الوسمى وهو أول الربيع، وهـذا عنـد دخول الشتاء، ثم يليه الربيع ثم الصـيف ثـم الحمـيم؛ لأن العرب تجعل السنة ستة أزمنة[٢].

قالت العرب أخرفوا بالمكان: أقاموا بـه خـريفهم، والمخرف موضع إقامتهم ذلك الزمن، وجاء في حديث عمر ﵁: " إذا رأيت قوما خرفوا في حائطهم"[٣]، أي: أقاموا فيـه وقت اختراف الثمار وهو الخريف، كقولك صافوا وشتوا: إذا

---

(١) الأزمة والأمكنة ١ / ١٧٠، المخصص ٩ / ٧٩

(٢) اللسان خرف .

(٣) النهاية ٢ / ٢٥

أقاموا في الصيف والشتاء، وأما قولهم: أخرف مثل أصـاف وأشتى يعني دخل في هذه الأوقات.

والمخرف الناقة التي تنتج فـي الخريـف، تقـول: أخرفت الناقة ولدت في الخريف، والمخرف جنـي النخـل خاصة وثمارها، تقول: خرفت النخلة أخرفها خرفا: جنيـت ثمارها"[1].

ويبدو أن الجماعة العربية قد استعملت اللفظ أيضـا بدلالة العام أو السنة؛ جاء في الحديث: " فقراء أمتي يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفـا" يقـول ابـن الأثيـر: " الخريف الزمان المعروف من فصول السنة ويراد به هنـا " أربعين سنة"؛ لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة، فإذا انقضى أربعون خريفا فقد مضت أربعون سنة، وجاء في الحديث أيضا: " ما بين منكبي الخازن مـن خزنـة جهـنم خريف" أي: مسافة تقطع ما بين الخريف إلى الخريف[2].

---

[1] اللسان خرف .

[2] النهاية ٢ / ٢٤

٣ – ١ الشهر: اللفظ مصدر قولهم: شهر الشـيء أو الأمر يشهره: أظهره وذكره وعرفه، ومن ذلك قوله: أشهرت السيف من غمده أي: أظهرته، استعملت الجماعـة العربيـة اللفظ بدلالة العدد المعروف من الأيام التي يكون مبدؤ الهلال فيها خافيا إلى أن يستسر ثم يعود خافيا مرة أخرى وكأنهـا كانت تنظر إلى الهلال فتشره وذلك سـمي الشـهر شـهرا لشهرته وبيانه، أو لأن الناس يشـهرون دخولـه وخروجـه والجمع أشهر وشهور.

وقد سمت الجماعة العربية هذا العدد المعروف مـن الأيام التي تكون جزءا من اثني عشر جزءا من أجـزاء أو أقسام السنة: شهرا باسم الهلال، يقولون: هلّ الشـهر وهـل الهلال، انظر قوله تعالى: ﴿ فَمن شَهد مِنْكُم الشهر فَلْيصمه ﴾ البقرة (١٨٥) أي من شهد رمضان، وجاء في الحـديث: " إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُم علـيكم فصوموا ثلاثين يوما"[١]، ومن ذلك أيضا قول الشاعر[٢]:

---

(١) اللسان شهر، صحيح مسلم ٣ / ٣٨ ط الشعب.

(٢) القرطبي ٣ / ٢٩٣

أخوان من نجد على ثقة   والشهر مثل قلامة الظفر

حتى تكامل في استدارته   في أربع زادت على عشر

والهلال غرة القمر حتى يهله الناس، ويسمى القمر هلالا إلى أن يبهر ضياؤه سواد الليل، والجمع أهلة، ويكون ذلك لليلتين أو ثلاث في أول الشهر، ولليلتين أو ثلاث لآخر الشهر، ويسمى ما بين ذلك قمرا[١].

وقيل قد سمي الهلال هلالا لارتفاع الأصوات عند رؤيته، ومن ذلك قولهم: استهل الصبي: رفع صوته وصاح لدن ولادته، ومن ذلك أيضا الإهلال بالحج أي: رفع الصوت بالتلبية أو من رفع الصوت بالتهليل عند رؤيته الهلال، ولما كان أصل الإهلال رفع الصوت سمي كل رافع صوته "

---

[١] لا يزال اسم القمر في بعض اللغات يعني الشهر؛ فلفظ Month في الإنجليزية مشتق من اللفظ moon أي القمر، كما نجد في اللغتين الفارسية والتركية لفظي Ay, mah بمعنى الشهر أو القمر، انظر عبد الحق فاضل، تاريخهم من لغتهم ص ١٢٥

مهل"، ولقد كانت الجماعة العربية -على ما يبـدو- تعلـق بداية الشهر بالإهلال أي الصياح[1].

لقد كان الهلال هو المقيـاس الـذي سـارت عليـه الجماعة العربية لتعيين أوائل الشهور وتنظيم أحوال معاشهم، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿يسأَلُونَك عنِ الأَهِلـةِ قُلْ هِي مواقِيتُ لِلناسِ والْحج﴾ البقـرة (١٨٩) " ... سـأل أحدهم الرسول ﷺ ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثـم يزيد ثم يمتلئ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة.. لا يريد بذل السؤال عن ذات الأهلة بـل عن حكمة اختلاف أحوالها وفائدة ذلك فقال سبحانه: ﴿قُلْ هِي

---

[1] كان الرومان يبدءون كل شهر برؤية القمر الجديد يوم ظهوره فـي شكل هلال رفيع في السماء الغربية بعد غروب الشمس مباشرة، ومـن يوم بزوغ قمر جديد إلى القمر التالي له، وكما نجد أن لفظ الشهر فـي الإنجليزية مشتق من لفظ القمر نجـد لفـظ التقـويم Calendar فـي الإنجليزية مشتقا من اللفظ اليوناني Kalend الذي يعنـي: ينـادي أو يصيح، وهي العبارة التي كان يبدأ بها منادي المدينة في روما لـيعلن بداية الشهر، ومتى سيكون يوم السوق. انظر كيث إبروين ٣٦٥ يومـا قصة التقويم ص ٣-٤ ترجمة سعد الدين صـبور / ط دار النهضـة العربية ١٩٦٥. وجورج سارتون تاريخ العلم ٥ / ١٨٨ ، ٢٢٦ .

مواقِيتُ لِلناسِ والْحج﴾ ولو كانت على حالة واحدة ما حصل التوقيت بها، وهذه هي الحكمة في زيادة القمر ونقصـانه؛ إذ هي كونها مواقيت فـي الآجـال، والمعـاملات، والعـدد، والصوم، والفطر، ومدى الحمل والرضاع، والنذور المعلقـة بالأوقات، وفضائل الصوم في الأيـام التـي لا تعـرف إلا بالأهلة، وقد ذكر تعالى هذا المعنى في قوله: ﴿ هـو الـذِي جعلَ الشمس ضِياء والْقَمر نُورا وقَدره منَازِلَ لِتَعلَموا عـدد السنِين والْحِساب ﴾ يونس (٥)، والوقت الزمان المفـروض للعمل ومعنى مواقيت الناس أي: ما يتعلق بهم مـن أمـور ومعاملات"[1]، كما يذكر القرطبي في تفسير قوله تعـالى: ﴿ فَمن شَهد مِنْكُم الشهر فَلْيصـمه ﴾ البقـرة (١٨٥)، اعتبـر الإسلام رؤية الهلال شهادة على بداية الشهر الجديـد وبهـا يحكم بحلول الشهر، إلا أن بعض الفقهاء يرى أن هذه الرؤية أو الشهادة لا تقبل إلا من شاهدين، وقال الشافعي: فإن لم تر العامة هلال شهر رمضان ورآه رجل عدل، رأيتُ أن أقبلـه للأثر والاحتياط. قال بعض أصـحابنا: "لا أقبـل عليـه إلا

---

[1] البحر المحيط ١ / ٦٢.

شاهدين" ويرى بعض الفقهاء أنه يعول على الحساب عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها لقوله ﷺ: ((فإن أغم عليكم فاقدروا له)) أي: استدلوا عليه بمنازله وقدروا إتمام الشهر بحسابه"[1].

وقد كانت الجماعة العربية تقيس أوقات الزمان بالليالي الذاهبة في دورة القمر لليلة إلا هلال غرة كذا، ولم تقل لليلة خلت إلا من الغد.

٣ – ٢ عرفت الجماعة العربية مثل المجتمعات الإنسانية الأخرى التقسيم الاثنى عشري لشهور السنة. انظر على قوله تعالى: ﴿إن عِدةَ الشهور عِنْد ا ِ اثْنَا عشَر شَهرا فِي كِتَابِ ا ِ يوم خَلَقَ السماواتِ والأرض مِنْها أَربعةٌ حرمٌ ذَلِك الدين الْقَيم فَلاَ تَظْلِموا فِيهن أَنْفُسكُم﴾ التوبة (٣٦)، نلاحظ أن هذه الآية قد أشارت إلى أربعة أشهر مقدسة لا تنتهك فيها الحرمات، ويتوقفون خلالها عن البغي والاعتداء فيما بينهم، وهذه الأشهر منها ثلاثة متواليات هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وشهر منفرد وهو رجب، ويذكر بعض

---

[1] القرطبي ٢ / ٢٩٤

اللغويين أن المحرم لم يكن يعرف بهذا الاسم في الإسـلام، وقد كانت الجماعة العربية تسميه صفرا؛ ولذلك كـان فـي التقويم صفران، صفر الأول وصفر الآخر، وقد كان لـديهم شهران باسم جمادى، وشهران باسم ربيع[1]، وقد جاء ذلـك في شعر الهذلي[2]:

أقامـت بـه كمقـام الحنيـف ... شهري جمادى وشهري صفر

وأيضا:

بها أبلت شهري ربيـع كليهمـا ... فقد مار فيها نسؤها واقترارها

كما تذكر بعض المصادر أنه كان من عاداتهم تأخير المحرم إلى صفر في تحريمه ليكون شهرا حراما، ونلاحـظ أن لدخول "أل" أداة التعريف على المحرم أهمية في تثبيـت هذا الشهر، وكما نجد للفظ المحرم دلالة دينية وصفت بهـا الأشهر الحرم؛ لأن كل شهر منها قد حرم فيه الاعتداء، وقد جاء في الحديث أن اليهود وأهل خيبر كانوا يقدسون العاشر

---

(1) الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٠٦ .

(2) شرح ديوان الهذليين ١ / ١٢، ٧٢

منه ويتخذونه عيدا، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشاراتهم، كما كانوا يصومونه، وقد أقر التشريع الإسلامي صيام هذا اليوم، وقد صامه الرسول ﷺ مع المسلمين وجاء في الحديث: " لئن بقيت إلى قابل لأصومن تاسوعاء": أي اليوم التاسع مع محرم مع العاشر منه، ربما قال ذلك ﷺ لمخالفة اليهود الذين أفردوا العاشر فقط بالصوم[1].

تخبرنا المصادر أيضا أن شهر رجب كان من الشهور المقدسة لدى الجماعة العربية الأولى، وقد سموه بذلك لتعظيمهم إياه من قولهم: رجبت الشيء هِبتُه، ورجبته عظمته، وقد كانوا يؤخرونه من شهر إلى شهر، كما كانوا يفعلون في المحرم، وجاء في الحديث: "رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" تأكيدا على موضعه بين الشهور، كما كانت الجماعة العربية تذبح في هذا الشهر ذبيحة ينسبونها إليه [2] وقد استعملت لفظ الترجيب بمعنى ذبح النسائك في

---

[1] انظر صحيح مسلم للنووي ٣ / ١٨٨ ط الشعب والنهاية ١ / ٨٩

[2] انظر اللسان رجب، النهاية ٢ / ١٩٧

رجب، وقالت هذه أيام ترجيب وتعتار، مأخوذ من العتيـرة وهي ذبيحة كانت تذبح في رجب ويقدمونها لأصنامهم[1].

٣ – ٣ تشير مصادر الأدب واللغة والتاريخ إلى أن الجماعة العربية الأولى قد عرفت قسمين من الشهور: قسما نطقت به العرب المستعربة، وجرى عليه الاستعمال إلى الآن وهي[2]:

المحـــــرم: سمي بذلك لأنهم كانوا يحرمون فيه القتال.

صفـــــــر: سمي بذلك لأن ديارهم تصفر أي تخلو منهم لخروجهم للقتال.

ربيــع الأول: سمي بذلك لارتباع القوم فيه.

ربيع الثانــي: سمي بذلك أيضا لارتباع القوم فيه.

---

[1] انظر اللسان عتر، النهاية ٣ / ١٩٧٨

[2] كانت الجماعة العربية تفتتح السنة بـالمحرم، ولعـل هـذا جعـل المسلمين يعدونه أيضا أول السنة الهجرية، وتذكر بعض المصـادر أن أول من سمى الشهور بالمحرم وما بعده من الشهور هو كلاب بن مرة، ويذكر بعضها الآخر أن أول من فعل ذلك عمرو بن لحي الخزاعي.

جمادى الأولى: سمي بذلك لجمود الماء فيه لشدة البرد.

جمادى الثاني: سمي بذلك أيضا لجمود الماء فيه لشدة البرد.

رجـــــب: سمي بذلك من الترجيب بمعنى التعظيم.

شعبـــان: سمي بذلك لتشبعهم فيه لكثرة الغارات.

رمضـــان: سمي بذلك من الرمضاء أي: شدة الحر.

شـــوال: سمي بذلك من الشول أي رفع الإبل لأذنابها فيه.

ذو القعدة: سمي بذلك لأنهم يقعدون فيه عن القتال.

ذو الحجة: سمي بذلك لأنهم كانوا يحجون فيه[1].

ويبدو من تسمية هـذه الشـهور علاقتهـا الوثيقـة بالعوارض الطبيعية من الحر والبـرد والاعتـدال، ولكننـا نعرف أن هذه الشهور لم تكن ثابتة في فصول السـنة، بـل كانت كما نرى الآن تنتقل من فصل إلى آخر.

---

[1] انظر هذه الشهور وتعليل تسمياتها: قطرب الأزمنـة ٤٧، الفـراء الأيام والليالي ١٧، المخصص ٩ / ١٤٣ المرزوقي ١ / ١٦٧، نهايـة الأرب ١ / ١٥٧ القلقشندي صبح الأعشى ٢ / ٣٧٥

٣ – ٤ أما القسم الثاني من الشهور التي نطقت بهـا العرب العاربة، وكانت مستعملة ومعروفة بين بعض القبائل فهي[(١)]:

المؤتمر: سمي بذلك لأنه يؤتمر فيه بترك الحـرب ويقابـل المحرم.

ناجـر: سمي بذلك من النجر وهو السوق الشديد لخيلهم في الحرب.

خوان: سمي بذلك لأن الحرب تشتد فيه فتخـونهم، ويقابـل ربيع الأول.

بصان: سمي بذلك من الوبيص بمعنى بريق الحديد فيه.

حنين: سمي بذلك لأنهم يحنون إلى أوطانهم، ويقابل جمادى الأولى.

ربي: سمي بذلك لأنه يجتمع به جماعة من الشـهور ليسـت بحرم.

---

(١) انظر هذه الشهور وتسمياتها قطرب الأزمنة ٤٨ ، الفـراء الأيـام والليالي ١٨ ، المخصص ٩ / ٤٤، المرزوقي ١ / ١٦٨، نهاية الأرب ١ / ١٥٨، القلقشندي صبح الأعشى ٢ / ٣٧٩

الأصم: سمي بذلك لأنه لا يسمع فيه صوت السلاح، ويقابل رجب.

عادل: سمي بذلك لأنهم يعدلون فيه عن الإقامة لتشعبهم.

ناتق: سمي بذلك لكثرة المال الناتج من الإغارة في الشهر السابق.

وعل: سمي بذلك من قولهم: وعل إلى كذا أي لجأ إليه.

ورنة: سمي بذلك من قولهم: أرن أي: تحرك ويقابل ذا القعدة.

برك: سمي بذلك من قولهم: بركت الإبل أي: حطت لموسم الحج.

لقد سجلت لنا كتب اللغة والأدب أسماء هذه الشهور مع اختلاف بعضها في الأسماء ودلالاتها الاشتقاقية، فنجد بعض المصادر تسمي حنين بشيبان، وتسمي ربي بملحان، وتسمي عادل بعاذل، كما نجدها تشير إلى أن شهر ناجر مشتق من النجر بمعنى شدة الحرارة، وهو يقابل شهر صفر، وإلى أن شهر الوعل بمعنى الهرب؛ لأنهم كانوا يهربون من الغارات بعد الأشهر الحرم إلى أماكن يتحصنون بها وهو يقابل شوال، وإلى شهر ورنة المشتق من الأرون بمعنى

الدنو لقربه من الحج، وهو يقابل ذا القعدة، وإلى برك واللفظ معدول عن بارك مأخوذ من البركة؛ لأن الحج فيه ويقابل ذا الحجة.

تذكر لنا المصادر أيضا أن الجماعة العربية قد سمت شهري شيبان وملحان وهما تسميتان أخريان لشهري حنـين وربى، ويقابلان شهري جمادى الأولـى وجمـادى الثانيـة، بشهري: قماح ومن هذا قول الهذلي[(١)]:

فتى ما ابن الأغـر إذا شـتونا   وحب الزاد في شهري قمـاح

وقد سمت الجماعة العربية الشهرين بذلك؛ لأن الإبل ترفع رءوسها عن الماء لشدة البرد، والإبل القماح هي التـي ترفع رءوسها، وقد سمت الشهر الأول -كما أشرنا-: شيبان لابيضاض الأرض بالثلج، وسمت الثاني: "ملحان" من الملحة وهي البياض، كما سمت القيظ شهري ناجر بالتحريك بمعنى العطش الذي يأخذ الإبل فتشرب ولا تروى[(٢)].

[(١)] شرح أشعار الهذليين ١ / ٤٥١

[(٢)] ابن قتيبة الأنواء ١٠٣ – ١٠٧

٤ – ١ الأسبوع: عرفت المجتمعات البشرية ألفـاظ السنة والشهر واليوم وحدات فلكية لتحديد أوقـات الزمـان، ولكن هذه الوحدات لم تكن لترتيب أمور حياتها؛ فقـد كـان الشهر وحدة زمانية طويلة، واليوم وحدة زمانيـة قصـيرة، فدعت الحاجة إلى وحدة وسيطة بينهما، وكما أوحـت دورة الشمس السنوية للإنسان بالفصول الأربعـة، أوحـت دورة القمر الشهرية وتغير شكله في صورة الهلال والقمر والبـدر والمحاق[١]، بتقسيم الشهور إلى أربعـة أقسـام أو وحـدات زمانية هي الأسبوع[٢]. يرى بعض المشـتغلين بالدراسـات الأنثربولوجية سببين لوجود هذه الوحدة الزمنية:

---

[١] انظر ص (٦٨) من الدراسة.

[٢] تذكر بعض المصادر العلمية أن الشكل الأول للقمر يـدوم حـوالي ٧,٥ يوم والشكل الثاني يدوم ٦,٧٥ يوم والثالث ٧,٧٥ يـوم والرابـع ٧,٥ يوم، فيكون المجموع ٢٩,٥ يوم وهذا هو طول الشهر القمـري، وطوله على وجه الدقة يساوي ٢٩,٥ يوما.

انظر جورج سارتون، تاريخ العلـم ص ٢٢٨ ط ١٩٧٥ . انظـر ص (٦٨) من الدراسة.

أحدهما: ديني ويتمثل في الحاجة إلى تخصيص يوم منتظم من أجل العبادة الدينية.

ثانيهما: اقتصادي يتمثل في الحاجـة لتحديـد يـوم متكرر لإقامة سوق للبيع والشراء.

تذكر المصادر العلمية أن البابليين كـانوا أول مـن اصطلحوا على أيام الأسبوع السبعة وسموها بأسماء الكواكب السيارة الخمسة: المريخ mars عطارد mercury المشترى Jupiter، الزهرة Venus زحل Saturn بالإضـافة إلـى الشمس Sun والقمر moon [1]، كما تشير هذه المصادر إلى أن الرومان الذين اتبعوا التقويم القمري قد حددوا أيام السوق التي كانت تمثل الأسبوع على فترات ربع شهرية تختلف من

---

[1] نلاحظ أسماء هذه الكواكب في تسمية أيام الأسبوع في بعض اللغات الأوربية مثل الإسبانية كما يلي:

الثلاثاء marts ، الأربعاء miercoles والخميس Jueves والجمعـة Viernes والسبت Sabado والأحـد Domingo والاثنـين Lunes والفرنسية كما يلي:

mardi, mercredi m jeudi , venbdredi m samedim, dimanche

شهر إلى آخر، فإذا كان الشهر ثلاثين يوما كانـت الفتـرات ربع الشهرية كما يلي: ٨، ٧، ٨، ٧ أيام، أما إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوما، فإن الفترات ربع الشهرية تكون كمـا يلي: ٧، ٧، ٧، ٧ وقد استمر الرومان يسيرون علـى هـذه الطريقة في تقسيم أيام الشهر حتى عام ٣٢١ عنـدما أعلـن الإمبراطور قسطنطين اعتناقه المسيحية، وإلغاء فترة الأيـام الثمانية وإبقاء فترة الأيام السبعة فقط التي أصـبحت تمثـل الأسبوع الذي عرفه المسيحيون عن اليهود[١].

٤ – ٢ وإذا كان الأسبوع كوحدة زمانية ذات تقسيم سباعي يعود إلى أصل كوكبي يتمثل في دورة القمر الشهرية التي يظهر خلالها في أربع حالات أو أشكال، فإنـه يعـود أيضا إلى أصل ديني [٢]، ويتمثل ذلك في تحديـد بدايتـه أو

---

[١] كيث إيروين ٣٦٥ يوما قصة التقويم ص ١١٩ – ١٢١

[٢] نلاحظ الأصلين؛ الكوكبي والديني في أسماء أيام الأسبوع في بعض اللغات الأوربية مثل الإسبانية والفرنسية انظر الهامش السـابق، كمـا نلاحظ ذلك بصورة مختلفة في أسماء أيام الأسبوع في الإنجليزية؛ لأنها مشتقة من أسماء الآلهة الإنجلو سكسون والإسكندفاييين كما يلي: يـوم الإله تيو Tiw ويقابل الثلاثاء Tuesday ويـوم الإلـه ودن Woden

نهايته بأيام مقدسة ترتبط بشعائر دينية مثل السـبت والأحـد والجمعة في الأديان اليهوديـة والمسـيحية والإسـلام مـن ناحية[1]، وارتباط أيام الأسبوع بخلق العالم من ناحية أخرى، ويمكن أن نرى هذا التصور الديني لتقسيم أيام الأسبوع فـي القرآن الكريم [2] في قوله تعالى: ﴿ ولَقَد خَلَقْنَـا السـماواتِ والأَرض وما بينَهما فِي سِتةِ أَيامٍ وما مسنَا مِن لغُـوبٍ ﴾ ق (٣٨)، كما نجد هذا التقسيم مفصلا في قوله تعالى في سورة فصلت في هذه الآيات: ﴿ قُلْ أَإِنكُم لَتَكْفُـرون بِالـذِي خَلَـقَ

ويقابل الأربعاء Wednesday، ويوم الإله ثور Thor ويقابل الخميس Thursday، ويوم الإله فريج Frig ويقابـل الجمعـة Friday هـذا بالإضافة إلى يوم الشمس Sun ويقابل الأحد Sunday ويـوم القمـر moon ويقابل الاثنين Monday انظر كيث إيروين قصة التقويم ١٣٧ – ١٣٨ جورج سارتون تاريخ العلم ٥ / ١٩٩ انظـر هـامش ١ ص ١٤٦

(١) جاء لفظا السبت والجمعة في أكثر من موضع في القـرآن الكـريم يشيران إلى هذه الدلالة الدينية.

(٢) جاء ذكر الأيام في التوراة أيضا بالترتيب العـددي؛ فـاليوم الأول يقابل الأحد، واليوم السابع هو يوم السـبت. انظـر سـفر التكـوين، الإصحاح الأول، وسفر الخروج الإصحاح ٢٠ العدد ١١ .

الأرض فِي يومين وتَجعلُون له أَنْدادا ذَلِك رب الْعـالَمِين * وجعلَ فِيها رواسِي مِن فَوقِها وبارك فِيها وقَدر فِيها أَقْواتَهـا فِي أَربعةِ أَيامٍ سواء للسائِلين * ثُم استَوى إِلَى السماءِ وهِـي دخَانٌ فَقَالَ لَها ولِلأَرضِ ائْتِيا طَوعا أَو كَرهـا قَالَتَـا أَتَينَـا طَائِعِين * فَقَضاهن سبع سماواتٍ فِي يومينِ وأَوحى فِي كُـل سماءٍ أَمرها وزينا السماء الدنْيا بِمصابِيح وحِفْظًا ذَلِك تَقْـدِير الْعزِيزِ الْعلِيمِ ﴾ فصلت (٩، ١٢) يقول أبو حيان في تفسـير هذه الآيات: "إن ا سبحانه خلق الأرض في يومين، وقـدر أقواتها في يومين وخلق السـموات والأرض فـي يـومين، ليكون المجموع ستة أيام" [١] كما يذكر ذلك أيضـا تفصـيلا معتمدا على حديث أبي هريرة في تفسير قوله تعـالى: ﴿ إِن ربكُم ا ُ الَّذِي خَلَقَ السماواتِ والأَرض فِي سِـتةِ أَيـامٍ ثُـم استَوى علَى الْعرشِ ﴾ الأعراف (٥٤) [٢] قائلا " ... الظاهر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وعلى هذا الظاهر فسر معظم الناس، وبدأ الخلق يوم الأحد[٣]، وفـي صـحيح

---

[١] البحر المحيط ٧ ، ٤٨٥

[٢] البحر المحيط ٤ / ٣٠٧

[٣] انظر الحديث صحيح مسلم كتاب صفة القيام ٦ / ٦٥٨ ط الشعب

مسلم: قال أبو هريرة: "أخذ رسول ا ﷺ بيدي فقال: خلـق ا -عز وجل- التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يـوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنـين، وخلـق المكـروه يـوم الثلاثاء[1] وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها من الـدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر مـن يـوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ... قال عبد ا بن سلام وكعب الأحبار ومجاهد: بدأ الخلق يوم الأحد وبه يقول أهل التوراة، وقيل: يوم الاثنين، وبه يقـول أهل الإنجيل، ذهب بعض المفسرين إلى أن التقدير في قوله: ستة أيام في مقدار ستة أيام ليست ستة الأيام أنفسها التي وقع فيها الخلق، ويعلق أبو حيان على ذلك قائلا: " إنه متى أمكن حمل الشيء على ظاهره أو على قريب من ظاهره كان أولى من حمله على ما يشمله العقل وما لا يخالف الظاهر جملـة، ويكون قوله تعالى: خلق السموات والأرض في سـتة أيـام مطابقا للحديث الثابت الصحيح، وتبقى ستة أيام على ظاهرها من العددية من كونها أياما".

---

[1] قوله ﷺ خلق المكروه يوم الثلاثاء أي ما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض

٤ – ٣ يبدو أن التصور الديني كان يقف وراء تمييز الجماعة العربية لأيام الأسبوع عدديا[١]، يقول ابن سـيده: " الأسبوع جماع الأيام السبعة.

---

[١] يذكر جورج سارتون أن قاعدة تمييز أيام الأسبوع عددية قد أخذ بها اليهود والنصارى الأرثوذكس. انظر تاريخ العلم ٥ / ٢٠٠ كما نجـد بعض اللغات تميز أيام الأسبوع بالعدد مثل الفارسية: الأحـد يكشـنبه، الاثنين دوشنبه، الثلاثاء سه شنبه الأربعاء: جهـاز شـنبه، الخمـيس بنجشنبه الجمعة آدنيه، السبت شنبه. كما نجد الألمانية تسمي أيامها كما يلي: الأحد Sontag أي يوم الشمس الاثنين Montag أي: يوم القمـر الثلاثاء Dienstay أي يوم الخدمة. الأربعـاء Mittwoch أي يـوم منتصف الأسبوع؛ لأنه يقع بين ثلاثة سابقة وثلاثة لاحقة: هي الخميس Donnerstag أي يوم الرعد، والجمعة Freitag أي يوم الحريـة أو الراحة والسـبت Samstag المجمـوع مـن قـولهم فـي الألمانيـة Allesamt نجد اليابانية تسمي أيامها كما يلي: الأحد Nichi – yobi أي يوم الشمس، الاثنين Gestu – Yobi أي يوم القمر، الثلاثاء : Ka – Yobi أي يوم النار، الأربعاء Sui – yobi أي يـوم المـاء، يـوم الخميس moku – yobi أي يوم الخشب، ويوم الجمعـة Kin - yobi أي يوم الذهب ويوم السبت Do – yobi أي يوم التراب. ونلاحـظ أن هذه التسميات تعكس التصورات الدينية والثقافية لأصحاب كـل لغـة، انظر هامش ٣ ص (١٥٣).

الأحـــد: أولها بدليل التسمية وهمزته بدل من الواو والجمع آحاد.

الاثنين: ثانيها كأنه تثنية "اثن" وألفه وصل كابن والجمع أثناء كأبناء.

الثلاثاء: ثالثها كان حكمه الثالث ولكنهم صاغوه هكذا لمكان العلمية أو الجنسية المشاكلة للعلمية.

الأربعاء: رابعها بفتح الباء وكسرها، والقول فيه كالقول فـي الثلاثاء.

الخميس: خامسها خصوه بهذا البناء كالثلاثـاء والأربعـاء وكان حكمه الخامس.

الجمعة: سادسها ليس من لفظ العدد وإنما سمي به لاجتمـاع الناس فيه.

السبت: سابعها ليس من لفظ العدد أيضا وهو مـأخوذ مـن قولهم: سبت يسبت سبوتا أي سكن، وأصـله أن ا تعالى قد خلق السموات والأرض الأحد، وفرغ مـن

خلقهن الجمعة، ولم يخلق في السبت شـيئا، فكـأن الخلق قد سكنوا"[1].

يقول ابن القيم " ... لما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم من يوم بصفة نفسية ولا معنوية، لم يبـق تمييزهـا إلا بالأعداد؛ ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من العدد نحو الأحد والاثنين، أو بالأحداث الواقعة فيها كيـوم بـدر، ويوم الفتح، ويوم الجمعة لاجتماع الناس فيه، أو لأنه اليـوم الذي جمع الخلق فيه واكتمل، والسبت بمعنـى القطـع؛ لأن تخليق العالم كان في ستة أيام أولها الأحد وخاتمها الجمعـة ولم يخلق يوم السبت شيئا"[2].

لقد ذكرت كثير من مصادر اللغة والأدب والتـاريخ والتفسير أيام الأسبوع المعروفة والمتداولة بيننا الآن، ولكنها لم تذكر متى كان ظهورها، أكان ذلك في مكة قبل الهجرة أم بعد الهجرة إلى المدينة، وعلى ما يبدو أن هذه الأيـام التـي بنيت بأسمائها وترتيبها على قصة الخلق كانت معروفة لدى

---

[1] المخصص ٩ / ٤٢

[2] بدائع الفوائد ١ / ٨٤ .

الجماعة العربية كما رأينا في حديث أبي هريـرة ﵁ عـن الرسول ﷺ، فقد جاء لفظ السبت في آية مكية مـن سـورة النحل المكية في قوله تعالى: ﴿ إنما جعِلَ السبتُ على الـذِين اخْتَلَفُوا فِيهِ وإن ربك ليحكُم بينَهم يوم الْقِيامةِ فِيما كَانُوا فِيـهِ يخْتَلِفُون ﴾ النحل (١٢٤). وهذا يعني أن أهل مكـة كـانوا يعرفونه، كما لم يأت لفظ الجمعة إلا في سورة مدنيـة هـي سورة الجمعة وفي قوله تعالى: ﴿ يا أيها الـذِين آمنُـوا إِذَا نُودِي لِلصلاَةِ مِن يومِ الْجمعةِ فَاسعوا إِلَـى ذِكْـرِ ا ِ وذَروا الْبيع ﴾ الجمعة (٩)، وللفظ نطقان: الجمعة بضم الميم وهـو الأشهر، وعلى ذلك يكون اللفظ صفة لليوم الذي يجتمع فيـه الناس، ويجمع على جمع وجمعات، والنطـق الآخـر هـو بسكون الميم وهو الأصل[1] وكان هذا اليوم يسمى عروبـة، وتذكر بعض المصادر أن عروبة لم يسـم جمعـة إلا بعـد الإسلام؛ وذلك أن الأنصار قالوا: إن لليهود يوما يجتمعـون فيه بعد كل ستة أيام، وللنصارى كذلك، فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر ا تعالى ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود

---

[1] اللسان جمع .

ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوا يوم العروبة لنا، فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة الأنصاري، فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، فأنزل ا تعالى سورة الجمعة، إلا أن بعض المصادر الأخرى تذكر أن أول من سماه بهذا الاسم كعب بن لؤي جد الرسول ﷺ الذي كان أول من جمع يوم عروبة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم[١].

٤ – ٥ تشير كثير من مصادر اللغة والأدب إلى أن الجماعة العربية قد عرفت أسماء أخرى لأيام الأسبوع نطقت بها العرب العاربة [٢] وهي:

---

[١] البحر المحيط ٨ / ٢٦٧، صبح الأعشى ٢ / ٣٦٣

[٢] ينقل المرزوقي حكاية شعبية لتسمية هذه الأيام فيقول: " ذكر أصحاب السير أن أولاد نوح -عليه السلام- عزموا على السير في الأرض ليروها فبدءوا بمسيرهم يوم الأحد، فسمي الأول، ثم لما كان اليوم الثاني كان السير أخف وأهون من الأول، فسمي الاثنين أهون، وسمي الثلاثاء جبار؛ لأنهم جبروا ما خففوه من سيرهم أو لأنهم جبروا ما تشعب من أحوالهم، والأربعاء دبار لأنهم أدبروا أو غيروا طريقهم لجبال حجزتهم، وسمي الخميس: مؤنسا لما رأوا ما آنسهم، والجمعة

أول: يقابل الأحد سمي بذلك؛ لأنه أول أعداد الأيـ ـ ـام.

أهون: يقابل الاثنين، مأخوذ من الهون، وسمي أوهد أيضـا مأخوذ من الوهد أي المكان المنخفض؛ لانخفاضـه عن اليوم الأول.

جبار: بضم الجيم يقابل الثلاثاء، سمي بذلك لأنه جبـر بـه العدد.

دبار: بضم الدال يقابل الأربعاء، سمي بذلك لأنه دبر ما جبر به العدد.

مؤنس: يقابل الخميس، سمي بذلك لأنـه كـان يـؤنس بـه لبركته.

عروبة: يقابل الجمعة، سمي بذلك من قولهم: أعرب إذا أبان.

شَيار: بفتح الشين وكسرها أيضا، واللفظ مأخوذ من قـولهم: شرت الشيء إذا استخرجته وأظهرته بمعنـى أنـه

عروبة؛ لأن كلمتهم اجتمعت وبان لهم من الرأي ما كان خافيا، فتعربوا واتفقوا". الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٧١

استخرج من الأيام التي وقع فيها الخلق"[1] وقد جاءت هذه الأسماء في قول النابغة[2]:

أؤمل أن أعيش يومي ... لأولَ أو لأهون أو جبار

أو التالي دبار فإن أفته ... فمؤنس أو عروبة أو شيار

٤ – ٦ نلاحظ أن لفظ الأسبوع الذي يشير في دلالته إلى جماع أيام الأسبوع، مشتق من العدد سبعة، وعلى ما يبدو أن الجماعة العربية قد استعملت اللفظ أيضا بدلالة العدد، جاء في الحديث، أن رسول ا ﷺ: طاف بالبيت أسبوعا " أي: سبع مرات[3]، كما استعملت اللفظ بدون ألف

---

[1] انظر أسماء هذه الأيام، قطرب الأزمنة ٣٦ – ٣٧، الفراء الأيام والليالي ٦، المخصص ٩ ، ١٠١، الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٦٩ القلقشندي ٢ / ٣٦٤

[2] القلقشندي ٢ / ٣٦٥

[3] النهاية ٢ / ٣٣٦

بدلالة الأيام السبعة، جاء في حديث سلمة بن جنادة: إذا كان يوم سبوعه[١]" يريد يوم أسبوعه من العرس بعد ستة أيام.

كما نجد العدد سبعة تستعمله الجماعة العربية للإشارة إلى الأسبوع، جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال: " للبكر سبع وللثيب ثلاث" [٢] أي: إذا تزوج الرجل بكرا أقام عندها سبع ليال، وإذا تزوج ثيبا أقام عندها ثلاثا، ومن هذا القبيل قولهم سبع المولود أي: حلقوا رأسه وذبحوا عنه لسبعة أيام، وأسبعت المرأة وسبعت أي مر على ولادتها سبعة أيام أو وضعت حملها لسبعة أشهر[٣].

---

[١] النهاية ٢ / ٣٣٦

[٢] المصدر نفسه ٢ / ٣٣٥

[٣] استعملت الجماعة العربية لفظ السباعي للإشارة إلى ما بلغ طوله سبعة أذرع أو سبعة أشبار، كما سمت العظيم الطويل من الإبل السباعي أيضا، لاحظ استعمال هذا اللفظ في أسماء الأعلام. اللسان سبع.

ويذهب أحد الباحثين [1] اعتمادا على ما جاء في سفر التكوين الذي وصف السبت باليوم السابع [2] إلـى أن ثمـة علاقة بين لفظي السبت Sabt وسبعة في العربية ولفظ Sept ولفظ Seven في الفرنسية والإنجليزية [3] مع ملاحظة سقوط صوت العين الذي لا تعرفه اللغات الأوربية، وهذا يؤكد -من وجهة نظره- الدلالة العددية سبعة ليوم السبت، ولكن إذا كان هذا يتفق والترتيب العددي للسبت، فإنه لا يتفـق والأصـل

---

[1] د. سليمان أبو غويش عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربـي ص ٣٦٦

[2] انظر سفر التكوين الإصحاح الثاني الآيتين ٢ ، ٣

[3] اعتمد الباحث في هذا الفرض على ما عرف عن التقويم الرومـاني قبل التعديل الذي أدخله قيصر على هذا التقويم الذي كان يبـدأ السـنة الجديدة بشهر مارس، حيث كانت الشهور في هذا التقويم تحمل أرقاما بدلا من الأسماء، فكان الشهر الخامس Quintilis الذي سمي فيما بعد باسم يوليوس قيصر July وكان الشهر السادس sextilis الذي بقي كما هو، والشهر الثامن October والشهر التاسع November والشـهر العاشر December لاحظ الأرقام Sept, Neuf , Dix في الفرنسـية وعلاقتها بالأرقام وأسماء الأشهر الرومانية. انظر جورج سارتون العلم ٥ / ١٨٥

الاشتقاقي له في العربية [1] والعبرية [2] واللغـات الأوربيـة التي اشتقت أسماء الأيام من أسماء الكواكـب التـي حمـل بعضها اسم الآلهة القديمـة [3]، فالسـبت فـي الإنجليزيـة Saturday مشتق من اسم كوكب زحل Saturn المشتق من اسم الإله سيترن Seterne.

---

[1] يشير المعجم العربي إلى أن لفظ السبت مشتق من السبت بدلالة القطع ومن ذلك السبت بمعنى النعل؛ لأنه مقطـوع مـن الجلـد والسبت قطعة من الزمان، أو لأن الخلق بدأ يوم الأحد إلى يوم الأحـد إلى يوم الجمعة، وانقطع أو سكن يوم السبت؛ لهذا كان اليهود ينقطعون فيه عن العمل والتصرف، وقيل إن اللفظ مشتق مـن السـبت بمعنـى السكون والراحة ومن ذلك السبات انظر قوله تعالى : ﴿ وهـو الـذِي جعلَ لَكُم الليلَ لِباسا والنوم سباتًا ﴾ الفرقان (٤٧) أي سكونا وراحة، أو قطعا لأعمالكم.

[2] يشير المعجم العبري إلى أن لفظ السبت Sabbat يعني الكف عـن العمل أي الراحة.

انظر معجم قوجمان ط مكتبة المحتسب بيروت ١٩٨٢ انظر هامش ٣ ص ١٥٣

[3] هناك من يبدأ اليوم بطلوع الشمس ويختمه بطلوعها من اليوم القابل وهو مذهب الروم والفرس. انظر القلقشندي صبح الأعشى ٣ / ٣٤٠

٥ – ١ اليوم: يمثل القسـم الخـامس مـن التقسـيم الخماسي لأوقات الزمان بعـد السـنة والفصـل والشـهر والأسبوع، وهو في عرف الجماعة العربية يبدأ من غـروب الشمس وينقضي عند غروبها مرة أخرى، وبذلك يشمل الليل والنهار [(١)] اللذين يكونان متساويين في المقدار تارة ومختلفين تارة أخرى[(٢)]، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَـالَ آيتُك َألا تُكلم الناس ثَلاَثَةَ َأيامٍ ِإلا رمزا ﴾ آل عمران (٤١)، المراد ثلاثة أيام بلياليها [(٣)] ويدل على ذلك قوله تعـالى: ﴿ قَالَ آيتُك َألا تُكلم الناس ثَلاَثَ لَيالٍ سويا ﴾ مريم (١٠).

---

(١) يرى الفقهاء أن اليوم عبارة عن النهار دون الليل، فلو قال أحـدهم لزوجته: أنت طالق يوم يقدم فلان فقدم ليلا لـم يقـع الطـلاق علـى الصحيح .

(٢) يتساوى الليل والنهار إذا كان الشمس في أول برج الحمل أو بـرج الميزان، ويكون ذلك في الانقلاب الربيعي، ويكون النهار أطـول مـن الليل إذا كانت الشمس في نصف الفلك الشمالي وهو والحمل إلى آخـر السنبلة، ويكون الليل أطول من النهار إذا كانت الشمس في نصف الفلك الجنوبي وهو الميزان إلى آخر الحوت.

(٣) البحر المحيط ٢ / ٤٥٢

وكما اصطلحت الجماعة العربية على اليـوم بهـذه الدلالة، اصطلحت أيضا على تسمية اليوم الماضي بلفظ أمس ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَتَاها أَمرنَا لَيلًا أَو نَهـارا فَجعلْنَاهـا حصِيدا كَأَن لم تَغْن بِالأَمسِ ﴾ يونس [24]، وتسـمية اليـوم الآتي بلفظ غدا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَرسِلْه معنَـا غَـدا يرتَع ويلْعب وإِنا لَه لَحافِظُون ﴾ يوسف [12]، يقـول ابـن القيم: " ... عرف اليوم بأداة العهد؛ لأن لا شيء أعرف من يومك الحاضر، فانصرف إليه، ونظيره الآن من آن والساعة من ساعة، وأما أمس وغدا فلما كان كل واحد منهما متصلا بيومك، اشتق له اسم من أقرب ساعة إليـه فاشـتق لليـوم الماضي أمس الملاقي للمساء، وهو أقرب إلى يومـك مـن صاحبه، أعني صباح غد فقالوا: أمس، وكذلك اشتق الاسـم من الغدو، وهو أقرب إلى يومك من مسائه أعني مساء غد، وتأمل كيف بنوا أمس وأعربوا غدا؛ لأن أمس صيغ من فعل ماض وهو أمسى ولذلك بني، ووضعوا أمـس علـى وزن الأمر من أمسى يمسي، وأما الغد فإنه لم يؤخذ من مبنـى إلا يمكن أن يقال: هو مأخوذ من غدا، كما يمكن أن يقال: أمس

مأخوذ من أمسى، بل أقصى ما يمكن فيه أن يكون من الغدو والغدوة وليستا بمبنيتين[١].

يقول المرزوقي: اعلم أنهم يتوسعون في ذكر اليـوم والليلة، فيقولون: فلان اليوم يعد من الرؤساء وكان الأمـس كذا، يعنون بذلك مطلق الزمان"[٢]، كما يقول أبو حيان فـي تفسير قوله تعالى: ﴿ الْيوم يئِس الذِين كفَروا مِـن دِيـنِكُم ﴾ المائدة [٣]" قال الزجاج لم يرد يوما بعينه، وإنمـا المعنـى: يئسوا كما تقول: أنا اليوم قد كبـرت، واتبـع الزمخشـري الزجاج فقال: اليوم لم يرد به يوما بعينه، وإنما أراد الزمـان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت بالأمس شائبا، وأنت اليوم أشـيب، فـلا تريـد بالأمس الذي قبل يومك ولا باليوم يومك " [٣] ومن هذا القبيـل أيضا دلالة لفظ أمس على مطلق الزمان الماضي في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يا موسى أَتُريد أَن تَقْتُلَني كَمـا قَتَلْـتَ نَفْسـا

---

[١] ابن القيم بدائع الفوائد ١ / ٨٦

[٢] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٥٠

[٣] البحر المحيط ٣ / ٤٢٥

بِالأمسِ ﴾ القصص (١٩) ودلالة لفظ "غـد" علـى مطلـق الزمان المستقبل في مثل قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذِين آمنُـوا اتقُوا ا َ ولْتَنْظُر نَفْسٌ ما قَدمتْ لِغَدٍ ﴾ الحشر (١٨).

وقد عبرت الجماعة العربية بالليلة عن اليـوم، مـن ذلك قوله تعالى: ﴿ وإِذْ واعدنَا موسى أَربعِين لَيلَةً ﴾ البقـرة (٥١) يقول أبو حيان: "أربعين ليلة ذو الحجة وعشـر مـن المحرم، أو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة ... وكان تفسير الأربعين بليلة دون يوم؛ لأن أول الشهر ليلة الهلال؛ ولهـذا أرخ بالليالي واعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعا لليالي، أو دلالة على مواصلته الصوم ليلا ونهارا؛ لأنه لـو كان التفسير باليوم أمكن أن يعتقد أنه كان ينظر بالليل، فلمـا نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه واصل أربعين ليلـة بأيامها"[1]، كما يقول في تفسير قولـه تعـالى: ﴿ والْفَجـر* ولَيالٍ عشْرٍ ﴾ الفجر (١، ٢)" أراد بالليالي العشر الأيـام العشرة من ذي الحجة أو العشر الأواخر من رمضان"[2].

---

[1] البحر المحيط ١ / ١٩٩

[2] المصدر نفسه ٨ / ٤٦٨

٥ – ٢ النهار: عرفت الجماعة العربية اليوم وحـدة زمانية تبدأ من غروب الشمس إلى شروقها مرة أخرى، كما ميزت بين شطريه بلفظ النهار والليل، يبدأ أولهمـا بطلـوع نصف قرص الشمس من المشرق إلى غياب قرص الشـمس من المغرب، ويبدأ ثانيهما بغروب الشمس واسـتتارها إلـى طلوعها وظهورها في الأفق مرة أخرى.

يقول أبو هلال العسكري: "الفرق بين النهار واليـوم منحصر في كون النهار اسما للضـياء المنفسـح الظـاهر لحصول الشمس، بحيث ترى عينها أو معظـم ضـوئها" [١] ويقول المرزوقي: " قال النحاة: إذا قلت سرت يومـا فأنـت مؤقت تريد مبلغ ذلك ومقداره، وإذا قلت: سرت اليوم أو يوم الجمعة فأنت مؤرخ، فإذا قلت: سرت نهارا والنهار فلسـت بمؤرخ ولا بمؤقت، وإنما المعنى: سرت في الضياء المنفسح ولهذا يضاف النهار إلى اليوم فيقال سر نهار يوم الجمعـة؛ ولهذا لا يقال للغلس والسحر نهار حتى يستضاء الجو"[٢].

---

[١] الفروق في اللغة ٢٦٦

[٢] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٦٨

كما يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ إن فِـي خَلْقِ السماواتِ والأرضِ واخْـتِلاَفِ الليـل والنهـار ... ﴾ البقرة (١٦٤) ".. النهار في طلوع الفجر إلى غروب الشمس يدل على قوله ﷺ لعدي: " إنما هو بياض النهـار وسـواد الليل" يعني قوله تعالى: " إنما هو بياض النهار وسواد الليل" يعني قوله تعالى: ﴿ وكُلُوا واشْربوا حتى يتَبين لَكُـم الْخَـيطُ الأبيض مِن الْخَيطِ الأسودِ مِن الْفَجرِ ﴾ البقرة (١٨٧) وظاهر اللغة أنه من وقت الإسفار، قال النضر بن شميل: ويغلب أول النهار طلوع الشمس، زاد النضر: ولا يعد ما قبل ذلك مـن النهار، قال الزجاج في كتاب الأنواء: ذرور الشمس، قال ابن الأنباري: من طلوع الشمس إلى غروبها، ومن الفجـر إلـى طلوعها مشترك بين الليل النهار، والنهار جمعه نهر وأنهرة، وقيل: النهار مفرد لا يجمع؛ لأنه بمنزلة المصـدر كقولـك الضياء يقع على القليل والكثير، ويقال: رجل نهر إذا كـان يعمل في النهار وفيه معنى النسب"[(١)].

[(١)] نظر الفقهاء إلى النهار باعتبارين: طبيعي وشرعي؛ فالطبيعي مـن طلوع نصف قرص الشمس من المشرق إلى غيبوبة نصفها في الأفـق في المغرب، والشرعي من الفجر الثاني وهو المراد بالخيط الأبـيض

٥ – ٣ الليل: الظلام الذي يبدأ من غروب الشـمس واستتارها إلى طلوعها أو ظهورها مرة أخرى، والليل جنس للواحد، ومنه قالوا: الليلة تمييزا للعدد، والجمع الليالي وهـو يقابل النهار، كما أن الليلة تقابل اليوم ومن ذلك قوله تعـالى: ﴿ وَمِن آياتِهِ الليلُ والنهار والشمس والْقَمر ﴾ فصلت (٣٧).

يعتبر الليل الرمز الأول لتحديد الأوقات لـدى كـل الشعوب تقريبا؛ حيث يحسب الوقت بالليالي وليس بالأيـام، يقول المرزوقي: "اعلم أنهم كانوا يبدءون الأوقات بالليل كما كانوا يبدءون الأزمان بالشتاء؛ ولذلك صـار التـاريخ دون النهار، وإنما كان كذلك؛ لأن الظلام الأول ولا ضياء داخـل فيه"[1]، لقد اعتقدت الجماعة العربية بـأن الظـلام يقتـرن بالسكون والضوء يقترن بالحركة، وإذا كان السكون سـابقا للحركة فإن الليل سابق للنهار، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيلَها وَأَخْرج ضحاها ﴾ النازعات (٢٩) " أغطش أي أظلم، وأخرج أبرز ضوء شمسها، كقوله تعالى: "

إلى غروب الشمس، وبذلك تتعلق الأحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرهما.

[1] الأزمنة والأمكنة ٢ / ٢٧٤

والشمس وضحاها"، وقولهم: وقت الضحى: الوقـت الـذي تشرق فيه الشمس، وأضيف الليل والضحى إلى السماء؛ لأن الليل ظلامها والضحى هو نور سراجها" [1] ويقول المرزوقي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وآيةٌ لهم الليلُ نَسلَخُ مِنْه النهـار ﴾ يس (٣٧): "أي نخرجه إخراجا لا يبقى منه شيء من ضـوء النهار؛ لأن المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ، كما أن المغطى يكون قبل الغطاء، ومن ذلك قولهم: سلخت الشاة إذا أخرجتها من إهابها أي نزعت عنها جلدها، وفي هذا دلالة على مذهب العرب من أن الليل قبل النهار"[2] كما يقول في موضع آخر: "غلبت العرب الليالي على الأيام في التـاريخ، فقيـل كتـب لخمس خلون من شهر كذا وأنت في اليوم؛ لأن ليلة الشـهر سبقت يومه ولم يلدها وإنما ولدته؛ ولأن الأهلة لليـالي دون الأيام، وفيها دخول الشهر؛ ولذلك ما ذكرهما ا تعـالى إلا وقدم الليالي على الأيام، انظر قوله تعالى: ﴿ سخرها علَـيهم سبع لَيالٍ وثَمانِيةَ أَيامٍ حسوما ﴾ الحاقة (٧) وقولـه تعـالى: ﴿سِيروا فِيها لَيالِي وأَياما آمِنين ﴾ سبأ (١٨)، ويقـول فـي

---

[1] البحر المحيط ١ / ٤٢٣

[2] الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٤

موضع آخر: قدم ا سبحانه الليل في رتبة الـ ذكر ورتبـة الوصف فقال تعالى: ﴿ وجعلْنَا الليلَ لِباسا * وجعلْنَا النهـار معاشًا ﴾ النبأ (١٠)، فرتبة الذكر ظاهرة من الـتلاوة كمـا نرى، ورتبة الوصف من أن اللباس مقدم على المعاش فـي التصرف[1].

لقد اعتقدت الجماعة العربية أن الليل قبـل النهـار، والظلمة قبل النور [2] ولهذا كان النور هـو الـذي يغشـى الظلام، والنهار هو الذي يهجم على الليل، يقول الطبـري: " فإن في مشاهدتنا من أمر الليل والنهار، وما نشاهده دليلا بينا

---

[1] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٦٥

[2] يقول القلقشندي: "إن الناس يختلفون في ذلك؛ فهناك من يقدم الليـل ويفتتح اليوم بغروب الشمس، ومنهم من يقدم النهار على الليل فيفتـتح اليوم بطلوع الشمس، ويحكى أن الإسكندر سأل بعض الحكمـاء عـن الليل والنهار أيهما قبل صاحبه؟ فقال: هما في دائرة واحدة، والدائرة لا يعلم لها أول ولا آخر، ولا أعلى ولا أسفل. انظر صبح الأعشـى ٢ / ٣٤٠

على أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره" [1] ونرى هذا التصور في قول الفرزدق[2]:

والشيب ينهض في السواد ونوره　　ليل يصـيح بجانبيـه نهـار

استعار الصياح للنهار؛ لأن الليل أخذ فـي الإدبـار وصار النهار كأنه هازم والليل مهزوم، ومن عادة الهازم أن يصيح على المهزوم ومن ذلك قول الشماخ:

ولاقت بأرجاء البسيطة سـاطعا　　من الصبح لما صاح بالليل نفرا

ولعل هذا التصور جعلهم أيضا يؤنثـون الليـل ولا يؤنثون النهار، ونجد ابن العربي يفسر الأفعال التي ارتبطت بلفظي الليل والنهار تفسيرا جنسيا [3] في مثـل قوله تعـالى: ﴿ يغْشِي الليلَ النهار يطْلُبه حثِيثًا ﴾ الأعراف (٥٤)، وقولـه تعالى: ﴿ أَلَم تَر أَن ا َ يولِج الليلَ فِي النهارِ ﴾ لقمـان (٢٩) وقوله تعالى: ﴿ يكَور الليلَ علَى النهارِ ﴾ الزمر (٥).

---

[1] تاريخ الأمم والملوك ١ / ٣٢

[2] اللسان ليل.

[3] رسائل ابن العربي أيام الشأن ٧ – ١٦

لقد جمعت الجماعة العربية بين الليل والنهار كعادتها في كلامها من الجمع بين الاسمين أو تغليب أحـدهما علـى الآخر فقالت: الجديـدان والأجـدان والملـوان، والردفـان، والأبردان والفتيان[1].

٦ – ١ الساعة: استعملت الجماعة العربيـة اللفـظ بدلالة الجزء القليل من اليوم[2]، يقول المرزوقـي: إذا قـال قائل: ما رأيته مذ مدة من يومي، علـم أن ذلـك سـاعة أو ساعات، وإذا قال قائل: ما رأيته مذ مدة من عمري، علم أن ذلك سنة أو سنوات"[3]، ويقول أبو حيان في تفسـير قولـه تعالى: ﴿ فَإِذَا جاء أَجلُهم لاَ يستَأْخِرون ساعةً ولاَ يستَقْدِمون﴾ الأعراف (٣٤)، قال سبحانه ساعة؛ لأنها أقل الأوقـات فـي

---

(١) قطرب الأزمنة وتلبيـة الجاهليـة ٥٨، المخصـص ٩ / ٥٦ ص (٢٠١) من الدراسة.

(٢) يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن العرب في الجاهلية كغيرهم قد قسموا النهار إلى اثنتي عشرة ساعة، والليل اثنتي عشـرة سـاعة، أي أنهم اعتبروا اليوم أربعا وعشرين ساعة.

انظر جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ / ٣٩٨

(٣) الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٦٣

استعمال الناس، يقول المستعجل لصاحبه في ساعة، يريد في أقصر وقت قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: لفظ عني بـه الجزء القليل من الزمان[1]، ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿ ويوم تَقُوم الساعةُ يقْسِم الْمجرمون ما لَبِثُوا غَير سـاعةٍ ﴾ الروم (55) قال امرؤ القيس[2]:

ســاعة ثــم انتحاهــا وابــل ســاقط الأكنــاف واه منهمــر

وقال الهذلي[3]:

فلم يـك سـاعة حتـى تركنـا مبـــاعتهم كبلقعـــة العزيـــب

ونقرأ في لسان العرب أنه كان للعرب في الجاهليـة ساعة لها الفلتة يغيرون فيها، وهي آخر ساعة من آخر يـوم من جمادى الآخرة[4].

---

(1) البحر المحيط ٤ / ٢٩٣

(2) الديوان ١٤٩

(3) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٧٧١

(4) اللسان فلت

وكما رأينا استعمال ألفاظ اليوم، والأمـس، والغـد، بدلالة الزمان المطلق، نجد لفظ الساعة أيضا يستعمل بـنفس الدلالة في مثل قوله تعالى: ﴿ الذِين اتبعوه فِي ساعةِ الْعسرةِ﴾ التوبة (١١٧) يقول أبو حيان في تفسير الآية: "ساعة العسـرة أي في وقت العسرة، والساعة مستعارة للزمان المطلق كمـا استعاروا الغداة والعشية واليوم[1]، وعلى ما يبـدو أن لفـظ الساعة ارتبط بالجزء المضيء من اليوم، وهو النهـار فـي مقابل لفظ "الإني" الذي ارتبط بالجزء المظلم من اليوم وهـو الليل، انظر قوله تعالى: ﴿ ويوم يحشُرهم كأن لم يلْبثُـوا إِلا ساعةً من النهارِ ﴾ يونس (٤٥) وقوله تعالى: ﴿ يتْلُون آيـاتِ ا ِ آنَاء الليل وهم يسجدون ﴾ آل عمران (١١٣) نجـد لفـظ الآناء بدلالة أجزاء من الليل في مقابل الساعات بدلالة أجزاء من النهار والواحد منها "إني" كمعي وأني كضـيء، وأنـى كفتى، وأنو كجرو، وقد جاء في قول الهذلي[2]:

---

[1] البحر المحيط ٥ / ١٠٨

[2] شرح أشعار الهذليين ٣ / ١١٨٣

حلو ومر كعطف القـدح مرتـه بكل إني حـذاه الليـل ينتعـل

ومثل الإني الزلفة التي ينص المعجم على أنها جزء من الليل والجمع زلَف، وقيل إن الزلاف الساعات الأولـى أو الأخيرة من الليل[1]، وقد جاء اللفظ في قوله تعالى: ﴿ وأَقِـمِ الصلاةَ طَرفَي النهارِ وزلَفًا من الليل ﴾ هود (١١٤) يقول أبـو حيان في تفسيرهذه الآية: " قال ثعلب: الزلاف أول سـاعات الليل وآناؤه وكل ساعة زلفة، ومنها سميت المزدلفـة قـال الحجاج:

ناج طـواه الأيـن ممـا وجفـا طـي الليـالي زلفـا فزلفـا

والزلاف صلاتا المغرب والعشاء وطرفا النهـار[2]: صلاتا الصبح والعصر؛ لأنهما مرادفة مثل: الروبة بدلالـة الساعة من الليل، والتوة بمعنى الساعة من الليل أو النهـار، من ذلك قول الشاعر[3]:

---

(١) اللسان زلاف

(٢) البحر المحيط ٥ / ٢٦٥ ، ٢٧٠

(٣) اللسان : روب

ففاضت دموعي تـوة ثم لم تفض   علي وقد كادت لها العين تمرح

٦ – ٢ ساعات النهار: اصطلحت الجماعة العربيـة على ألفاظ سمت بها ساعات النهار، منها:

الفجر: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالـة أول أوقات النهار، واللفظ مشتق من الانفجار؛ تقول: فجرت الماء وأفجرته فجرا فانفجر، أي: خرج بعد انحباس وكأن النور قد خرج في هذا الوقت بعد انحباسه بالظلام.

وقد سمي أيضا الفلق بمعنى مفلـوق؛ لأن الظـلام ينفلق بالنور، والفلق الشق نصفين، وكأن الفلق بهذا المعنـى شق أو صدع بين الليل والنهار، يقول أبو حيان في تفسـير قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعوذُ بِرب الْفَلَـق ﴾ (الفلـق: ١)، الفلـق الصبح قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وفي المثل: " هو أبين من فلق الصبح"[١].

قال الشاعر[٢]:

---

[١] البحر المحيط ٨ / ٥٣٠

[٢] اللسان فجر فلق

يا ليلة لم أنمهـا بـت مرتقبـا   أرعى النجوم إلى أن قدر الفلق

وقد ميزت الجماعة العربية بين وقتين للفجر:

الفجر الكاذب أو المستطيل، وسموه بذنب السـرحان لاختلاط السواد بالبياض.

الفجر الصادق أو المستطير، سموه بـذلك لانتشـار ضوء النهار، قال الهذلي[1]:

شعف الكلاب الضاريات فـؤاده   فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

قال أبو سعيد في شرح البيت: " الصـبح المصـدق المضيء، يقال: فجر صادق وفجر كاذب..".

وقد سميا في القـرآن الكـريم بـالخيطين الأسـود والأبيض على التشبيه في قوله تعالى: ﴿ وكُلُوا واشْربوا حتى يتَبين لَكُم الْخَيطُ الأبيض مِن الْخَيطِ الأسودِ مِن الْفَجر ﴾ البقرة (١٨٧)، يقول ابن الأجدابي: " يسمى سواد الليـل الخـالص بالخيط الأسود، ويسمى البياض المستطير بالخيط الأبـيض،

---

[1] شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٦

ويسمى الممتزج بينهما بالبريم وهو خيط يفتل مـن خيطـين أحدهما أسود والآخر أبيض، شبه الفجر المختلط بالظلمة"[1].

الصبح: والصباح والإصباح وقت الدخول في ضوء النهار، يقول أبو حيان في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ فَـالِقُ الإِصباحِ وجعلَ الليلَ سكنًا ﴾ الأنعام (٩٦)، فالق الإصـباح مصدر سمي به الصبح، قال امرؤ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلـي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ومعناه فالقه عن بيـاض النهـار.. قـال مجاهـد: الإصباح إضاءة الفجر وقال ابن عباس: الإصـباح ضـوء الشمس بالنهار وضوء القمـر بالليـل"[2]، وقـد اسـتعملت الجماعة العربية لفظ الصباح في مقابل المساء، وجاء اللفظان بمعنى الدخول في الوقتين في قوله تعـالى: ﴿ فَسـبحان ا ـِ حِين تُمسون وحِين تُصبِحون ﴾ الروم (١٧)، وقالوا للصـبح أيضا السفَر بفتح السين والفاء، قال الأخطل[3]:

---

(1) الأزمنة والأنواء ١١٤

(2) البحر المحيط ٥ / ٥٣٠ واللسان صبح

(3) اللسان سفر

إني أبيت وهـم المـرء يبعثـه   من أول الليل حتى يفرج السـفر

جاء في الحديث: " أسفروا بـالفجر؛ فإنـه أعظـم للأجر"[1] أي أخروها إلى مطلع الفجر الثاني عندما ينكشـف الضوء، من ذلك قولهم: سفرت المرأة كشفت النقـاب عـن وجهها وقيل: السفر سفران: سفر الصبح وسفر المساء الذي يكون فيه بقية من بياض النهار بعد مغيب الشمس.

الغداة: أول الصباح أو النهـار والجمـع غـدوات: والغدوة وجمعها غدى، تقول: غدا غدوا، واغتـدى يغتـدي اغتداء: بكر في القيام أو العمل أو السير، جاء في الحديث: " لغدوة أو روحة في سبيل ا "[2]، ومن ذلـك قولـه تعـالى: ﴿ولِسلَيمان الريح غُدوها شَهرٌ ورواحها شَـهرٌ﴾ سـبأ (١٢) الغدو المرة من الغدو، والغدو: السير في أول النهار نقـيض الرواح.

والغدو الذهاب والسير في هـذا الوقـت، والـذهاب مطلقا أيضا، والغادية السحابة التي تنشأ في ذلـك الوقـت،

---

[1] النهاية ٢ / ٣٧٢

[2] النهاية ٣ / ٣٤٦ واللسان غدو.

والغداء الطعام الذي يؤكل في ذلك الوقت أيضا، ومنه قوله تعالى: ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ الكهف (٦٢) جاء اللفظ في القرآن في مقابل لفظ العشي فيقول تعالى: ﴿ يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ الأنعام (٥٢)، وفي مقابل لفظ الأصيل في قوله تعالى: ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ النور (٣٦)، وقد سمت الجماعة العربية الغداة الباردة سبرة بفتح السين وسكون الباء، والجمع سبرات، جاء في الحديث: " إسباغ الوضوء في السبرات"[1].

البكْرة: استعملت الجماعة العربية اللفظ لأول النهار والصباح، والعرب تقول لأول كل شيء: باكورة كالثمر، والبكر بفتح الباء الفتى من الإبل، أصله التقدم في الزمان، وكذا البكر من النساء الصغيرة عكس الثيب الكبيرة، وعلى ما يبدو أن العرب قد أحبت بكورة الأشياء وأجرت ذلك على الوقت الذي يأتي مع أول الضياء. والمبكر الذي جاء في أول الوقت[2]. جاء اللفظ في القرآن مقابل العشي والأصيل في

---

[1] النهاية ٢ / ٣٣٣ واللسان سبر .

[2] اللسان بكر .

قوله تعالى: ﴿ أن سبحوا بكْرةً وعشِيا ﴾ مريم (١١)، وقوله تعالى: ﴿ وسبحوه بكْرةً وأَصِيلًا ﴾ الأحزاب (٤٢).

الضحى: استعملت الجماعة اللفظ اسما للوقت الذي يرتفع فيه النهار أو يظهر فيه ضوء الشمس ساطعا، واللفظ يرتبط في أصله الاشتقاقي بالبروز والظهور، ومن ذلك قولهم: ضاحية البلد لناحيتها البارزة، وضحى الطريق ظهر، وضحى الرجل تعرض للشمس، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وأنك لاَ تَظْمَأُ فِيها ولاَ تَضحى ﴾ طه (١١٩) أي: لا يصيبك حر الشمس، ضحى غنمه أي رعاها في ذلك الوقت أي: من بين الصبح والظهر، وضحى بالشاة أي ذبحها في ذلك الوقت [١] وجاء اللفظ مقابل الليل في قوله تعالى: ﴿ والضحى * والليل إِذَا سجى ﴾ الضحى (١).

الظهيرة: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لنصف النهار، واللفظ مأخوذ من الظهور تبديه الشمس لنورها وحرها، ومن ذلك قول تعالى: ﴿ وحِين تَضعون

---

[١] اللسان ضحو.

ثِيابكُم من الظهيرةِ ومِن بعدِ صلاَةِ الْعِشَـاءِ ﴾ النـور (٥٨)

وقول زهير:

رد القيان جمال الحي فـاحتملوا   إلى الظهيرة أمـر بيـنهم لبـك

تقول: أظهر أي دخل وقت الظهر كأصبح وأمسـى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ولَه الْحمد فِي السـماواتِ والأَرضِ وعشِيا وحِين تُظْهِرون ﴾ الروم (١٨)، ومـن ذلـك قـولهم الظاهرة بمعنى ورد الإبل للماء كل يوم نصف النهار[1].

الهاجرة: استعملت الجماعة العربيـة اللفـظ اسـما لنصف النهار، وسمي الوقت بذلك؛ لأن السير يهجـر فيـه، والهاجرة وقت اشتداد الشمس يقول عمرو بن قميئة:

وهـاجرة كـأوار الجحـيم   قطعت إذا الجندب الجون قـالا

الهجير أيضا كالهاجرة، جاء في الحديث أنه ﷺ كان يصلي الهجير حين تدحض الشمس" [2] أراد بصلاة الهجيـرة

---

[1] اللسان ظهر .

[2] اللسان هجر والمرزوقي ١ / ٣٣٣

صلاة الظهر، وقيل: الظهيرة قبيل نصف النهار والهجيـرة بعد زوال الشمس.

القائلة: والقيلولة استعملت الجماعة العربية اللفظـين بدلالة وقت الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن فيـه نـوم، تقول: قال يقيل قيلا: استراح أو نام في نصف النهار، مـن ذلك قوله تعالى: ﴿ وكَم من قَريةٍ أَهلَكْنَاها فَجاءها بأْسنَا بياتًا أَو هم قَـائِلُون ﴾ الأعـراف (٤) أي: مسـتريحون وقـت الظهيرة، والمقيل: مكان القيل أي الذي يستريح فيه القائـل، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ أَصحاب الْجنةِ يومئِذٍ خَيـرٌ مسـتَقَرا وأَحسن مقِيلًا﴾ الفرقان (٢٤)، وقالت العرب أيضا اقتـال: أي شرب نصف النهار، والقيل: اللبن الذي يشرب وقت القائلة، وتقيل الناقة: حلبها وقت القائلة[1].

الغائرة: اللفظ مأخوذ من قولهم: غار النهار، اشـتد حره، والغائرة نصف النهار مثل القائلة، تقول: غور القـوم تغويرا، والتغوير النوم في ذلك الوقت، تقول: غـور القـوم

---

(1) اللسان قول

قالوا بمعنى الاستراحة أو النور في ذلك الوقـت، يقـول ذو الرمة[١]:

نزلنا وقد غار النهار وأوقـدت   علينا حصى المعزاء شمس تنالها

الزوال: استعملت الجماعة العربية اللفـظ اسـما لوقت الظهيرة، أي: انتصاف النهار بزوال الشمس عن كبـد السماء، ومن ذلك قولهم: زال زائل الظل بمعنى قـام قـائم الظهيرة، جاء في الحديث أنه ﷺ صلى الظهر حين زالـت الشمس وكان الفيء بقدر الشراك[٢]، أي عندما تزول ويصير للشخص قدر الشراك، وقدره ها هنا ليس على معنى التحديد، ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل ما يرى من الظل، وكان حينئذ بمكة هذا القدر، والظل يختلـف بـاختلاف الأزمنـة والأمكنة.

العصر: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للوقت الذي يصير فيه ظل كل شيء، قال تعالى: ﴿ حافِظُوا علَـى الصلَواتِ والصلاَةِ الْوسطَى ﴾ البقرة (٢٣٨) لأنها تقع بـين

[١] اللسان غور

[٢] اللسان زول والنهاية ٢ / ٤٦٨

صلاتي الفجر والظهر والمغرب والعشاء، وجاء في الحديث: ((حافظوا على العصرين)) [1] أي: صلاة الفجـر وصـلاة العصر، أي صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وغلـب أحد الاسمين على الآخر كقولهم: القمران للشمس والقمر[2].

الأصيل: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للوقت الذي يكون من بعد العصر إلى المغرب، والجمع: أُصل بضم الهمزة والآصال جمع الجمع من ذلك قول الهذلي[3]:

لعمري لأنت البيت أكرم أهلـه وأقعد فـي أفيائـه بالأصـائل

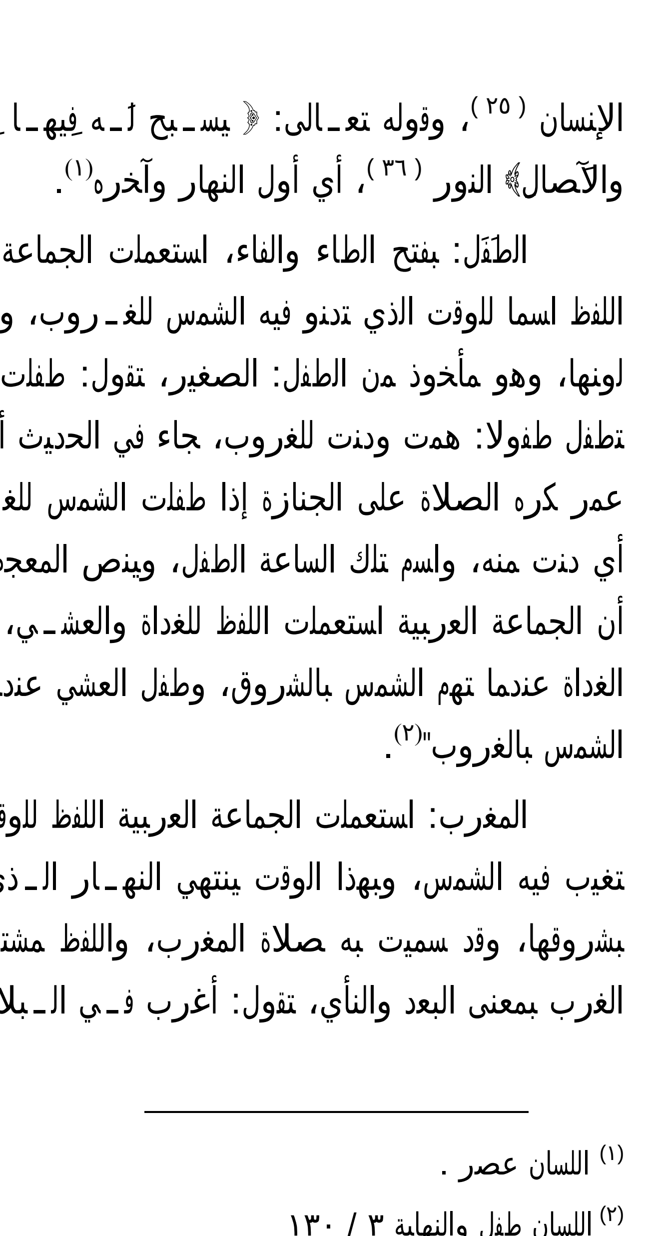
جاء اللفظ في القرآن الكريم في أكثر من موضع بهذه الدلالة منها قوله تعالى: ﴿ واذْكُرِ اسم ربك بكْرةً وأَصِيـلًا ﴾

---

[1] يعتمد البدو في الصحراء على ظل الشمس لمعرفة أوقات الصـلاة بغرس عصا في الرمال، ويعتمد الفلاحون في القـرى علـى حركـة الشمس أيضا لتحديد مكان القبلة وأوقات الصلاة.

[2] اللسان عصر النهاية ٣ / ٢٤٦

[3] شرح أشعار الهذليين ١ / ١٤٢



الإنسان (٢٥)، وقوله تعـالى: ﴿ يسـبح لَـه فِيهـا بِالْغُـدو والآصال﴾ النور (٣٦)، أي أول النهار وآخره[1].

الطَفَل: بفتح الطاء والفاء، استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للوقت الذي تدنو فيه الشمس للغـروب، ويصـفر لونها، وهو مأخوذ من الطفل: الصغير، تقول: طفلت الشمس تطفل طفولا: همت ودنت للغروب، جاء في الحديث أن ابـن عمر كره الصلاة على الجنازة إذا طفلت الشمس للغـروب، أي دنت منه، واسم تلك الساعة الطفل، وينص المعجم علـى أن الجماعة العربية استعملت اللفظ للغداة والعشـي، فطفـل الغداة عندما تهم الشمس بالشروق، وطفل العشي عندما تهـم الشمس بالغروب"[2].

المغرب: استعملت الجماعة العربية اللفظ للوقت الذي تغيب فيه الشمس، وبهذا الوقت ينتهي النهـار الـذي يبـدأ بشروقها، وقد سميت به صلاة المغرب، واللفظ مشتق مـن الغرب بمعنى البعد والنأي، تقول: أغرب فـي الـبلاد نـأى

---

(١) اللسان عصر .

(٢) اللسان طفل والنهاية ٣ / ١٣٠

وذهب، والغرب والغراب من كل شيء أيضا حـده وأعـلاه ومنتهاه، والمغرب كل ما واراك وسترك، وقد سموا كـنس الوحش مغاربها لاستتارها، والغرب في مقابل الشرق أقصى جهة تنتهي إليها الشمس لتستتر، والمغرب الوضع الذي تغيب فيه الشمس في مقابل المشرق الذي تشرق منه[1].

٦ – ٣ ساعات الليل: اصطلحت الجماعـة العربيـة على ألفاظ سمت بها ساعات الليل منها:

العشي: والعشية والعشاء وقت دخول ظلال الليل من غروب الشمس إلى العتمة، وقد جاء اللفظ في القرآن الكريم مقابل الغداة والبكرة والإشراق في قولـه تعـالى: ﴿ الـذِين يدعون ربهم بِالْغَدَاةِ والْعشِي ﴾ الكهف (٢٨)، وقوله تعـالى: ﴿ فَأوحى إِلَيهم أَن سبحوا بكْرةً وعشِيا ﴾ مريم (١١) وقولـه تعالى: ﴿ إِنا سخرنَا الْجِبالَ معه يسبحن بِالْعشِي والإِشْراق ﴾ ص (١٨) واللفظ مأخوذ من العشو بمعنى ضعف البصر، ثم نقل اسما لظلام الليل لآن الرؤية لا تكـون واضـحة فيـه، فالأعشى الذي لا يبصر ليلا، والعشواء الناقة التي لا تبصر

---

[1] اللسان غرب

أمامها فتخبط بيديها ولهذا قالوا لمن يركب رأسـه: " يخـبط خبط عشواء".

وقد سميت صلاة العشاء بهـذا الوقـت [١]، وقـالوا لصلاتي المغرب والعشاء: العشاءان باسم الوقت بينهما.

كما وجدنا الفجر فجرين لـدى الجماعـة العربيـة الأولي، نجد أيضا العشاء عشاءين، يكون وقت العشاء الأول مع الشفق الأحمر الذي تحل فيه صلاة العشاء بغيابه، ويكون وقت العشاء الثاني مع الشفق الأبـيض الـذي يغـرب فـي منتصف الليل وتكون صلاة العشاء جائزة إلى غروبه[٢].

ينص المعجم على أن الجماعة العربية قد سمت هذا الوقت الثاني من العشاء العتمة، وقيل: إن العتمة الثلث الأول من الليل بعد سقوط نور الشفق، واللفظ مأخوذ وينيخونها في مراحها ساعة، ثم يستفيقونها فإذا أفاقت ومرت سـاعة مـن الليل حلبوها، وسميت تلك الساعة العتمة، ويقول الأزهـري:

---

(١) اللسان عشو ابن قتيبة الأنواء ١٤٣ – ١٤٤

(٢) يغيب هذا البياض مع الفجر الثاني، وتعود الشمس إلى الحمرة مـع الفجر الثاني . انظر ص (٧٥) من الدراسة .

سمعتهم يقولون: استعتموا نعمكم حتى تفيـق ثـم احلبوهـا، والعواتم التي تحلب هذه الساعة، جاء في الحديث: ((يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإن اسمها في كتاب ا العشاء، وإنما يعتم بحلاب الإبل)) [1] وكان الإعراب يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة تسمية بالوقت، فنهاهم عن الاقتداء بهم، وقيل: أراد لا يغرنكم فعلهم هذا فتـؤخروا صـلاتكم، ولكن صلوها إذا حان وقتها، ويبدو أن اللفظ ظل مسـتعملا، ونجد التنوخي يحكي عن أحدهم قوله: " ولعبنا (الشطرنج) وطاب لي اللعب وواصلناه والليل يمضي ونحن لا نشعر به ووافق سماعنا الأذان فقلت له: قد أذنت العتمة ولا بـد مـن قيامي، فلما خرجنا نظرنـا فـإذا الأذان هـو أذان الغـداة (الفجر) وإذا الليلة كلها قد مضت ونحن لا نعقل"[2].

الغسق: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لسـواد الليل وظلمته، وقيل لأول وقت دخول الليل، واللفظ يـرتبط بأصله الاشتقاقي بالسيلان والانصباب، من ذلك قولهم غسقت

---

[1] النهاية ٣ / ١٨٠ اللسان عتم .

[2] التنوخي، نشوار المحاضرة ٢ / ٢٧١ – ٣ / ٦٥

العين دمعت، وغسق الجرح سال منه الصديد وكـأن الليـل بهذه الدلالة نشر وصب ظلمته على الكون، يقول أبو حيـان في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصلاَةَ لِدلُوكِ الشمسِ إِلَى غَسق الليل ﴾ الإسراء (٧٨) الغسق سواد الليل وظلمته، قال النضر غسق الليل دخل أوله، وأصله السيلان تقول غسـقت العـين تغسق همات بالماء.. ودلوك الشمس زوالها، والإشارة إلـى الظهر والعصر، وغسق الليل إشارة إلى المغرب والعشـاء ويكون دلوك الشمس وقتا مشتركا بـين الظهـر والعصـر، ويكون الغسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشـاء[1]، كمـا يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ ومِن شَر غَاسِقٍ إِذَا وقَـب ﴾ الفلق (٣) الغاسق الليل، ووقب أظلم ودخل على الناس، قال الزمخشري: الليل إذا اعتكر ظلامه ... ومنه غسقت العـين امتلأت دمعا، وغسقت الجراحة امتلأت دما، ووقوبه دخولـه ظلامه في كل شيء. قال الشاعر[2]:

---

[1] البحر المحيط ٦ / ٦٨ – ٧٠

[2] المصدر نفسه ٥ / ٥٣٠

يا طيف هند لقد أبقيت لي أرقـا   إذ جئتنا طارقا والليل قد غسـقا

ومن ذلك أيضا حديث عمر: " لا تفطروا حتى يغسق الليل على الظراب" أي حتى يغشى الليـل بظلمتـه الجبـال الصغار، وحديث الربيع بن خثيم: " كان يقول لمؤذنه في يوم غيم: أغسق أغسق" أي: أخّر المغرب حتى يظلم الليل[1]:

المساء: الإمساء نقيض الصباح والإصـباح، تقـول أمسى الرجل يمسي دخل وقت المساء وهو من وقت الظهـر إلى المغرب، وقيل هو من المغرب إلى منتصف الليل، جـاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَسبحان ا ـِ حِـين تُمسـون وحِين تُصبِحون ﴾ الروم (١٧)، ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت[2]:

---

[1] النهاية ٣ / ٣٦٧

[2] اللسان مسو.

الحمـد ا ممسـانا ومصـبحنا بالخير صـبحنا ربـي ومسـانا

الرواح: نقيض الصباح استعملت الجماعة العربيـة اللفظ للوقت الذي يكون من زوال الشمس إلى الليل وقالـت: راح يروح رواحا أي سار في ذلك الوقت ومن ذلـك قولـه تعالى: ﴿ وِلسلَيمان الريح غُدوها شَهرٌ ورواحها شَهرٌ ﴾ سبأ (١٢)، أي كانت تهب في هذين الوقتين جاء في الحـديث: " لغدوة أو روحة في سبيل ا " والغدوة السير في أول النهـار والرواح في آخره[1].

قال الأزهري: سمعت العرب تستعمل الـرواح فـي السير كل وقت، وأصله أن يكون بعد الزوال، ومـن ذلـك الإراحة: رد الإبل والغنم من العشي إلى مراحها حين تـأوي ليلا؛ ولهذا قالوا: سرحت الماشية بالغداة وراحـت بالعشـي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ولَكُم فِيها جمالٌ حِين تُرِيحون وحِين تَسرحون ﴾ النحل (٦) وفي الحديث: " روحتها بالعشـي" أي

---

[1] النهاية ٣ / ٣٤٦

رددتها إلى المراح[1]، والروائح أمطار العشـي، واحـدتها رائحة".

البيات: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لوقـت الليل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرأَيتُم إن أَتَاكُم عذَابه بياتًا أَو نَهارا ﴾ يونس (٥٠) أي: ليلا أو نهارا، وقولـه تعـالى: ﴿أفَأَمِن أَهلُ الْقُرى أَن يأْتِيهم بأْسنَا بياتًـا وهـم نَـائِمون ﴾ الأعراف (٩٧) أي وقت البيات وهو الليل.

تقول: بات يبيت بيتا وبياتا يفعل كذا أي: قضى الليل أو أغلبه يعمل كما تقول: ظل يفعل كذا أي يعمل نهارا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ والَذِين يبِيتُون لِـربهم سـجدا وقِيامـا ﴾ الفرقان (٦٤) أي: يحيون الليل بالعبـادة، قالـت الجماعـة العربية لمن يفكر أو يدبر أمرا ليلا: بيت الأمر تبيتا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا برزوا مِن عِنْدِك بيتَ طَائِفَةٌ منْهم غَيـر الَذِي تَقُولُ وا ُ يكْتُب مـا يبيتُـون ﴾ النسـاء (٨١)، وفـي

---

[1] النهاية ٢ / ٢٧٤ اللسان روح .

الحديث: " لا صيام لمن لم يبيت الصيام" أي لم ينوه في الليل[1].

السحر: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما من آخر الليل إلى الإسفار أي وقت ما قبيل الصبح، والجمع أسحار، ونجد اللفظ يرتبط في أصله الاشتقاقي بالسحر بمعنى الخفاء، أو الطرف من قولهم: سحر الشيء طرفه، وأسحار الفلاة أطرافها، وكأن وقت السحر بهذه الدلالة طرف الليل أو الوقت الخفي بظلامه وقد جاء اللفظ بصيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿ إِلا آلَ لُوطٍ نجينَاهم بِسحرٍ ﴾ القمر (٣٤)، وبصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ والْمستَغْفِرين بِالأسحارِ ﴾ آل عمران (١٧) يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية: " السْحر بفتح الحاء وسكونها، قال قوم منهم الزجاج: الوقت قبل طلوع الفجر، ومنه تسحر: أكل في ذلك الوقت، وأسحر واستحر أدخل في السحر، وقال بعض اللغويين: السحر من ثلث الليل الآخر إلى الفجر، وقيل: السحر عند العرب يكون من آخر الليل ثم يستمر إلى الإسفار، وأصل السحر الخفاء

---

[1] النهاية ١ / ١٧٠ اللسان بيت .

للطفه، ومنه السحر.. وكان الصحابة يتحرون الأسحار ليستغفروا فيها وكان السحر مستحبا فيه الاستغفار؛ لأن العبادة فيه أشق، ألا تراهم يقولون: إغفاءة الفجر من ألذ النوم[1].

الغلس: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لآخر ظلمة الليل التي اختلطت بضوء الصباح أو بياض الفجر، جاء في الحديث أن الرسول ﷺ كان يصلي الصبح بغلس: أي ظلمة آخر الليل إذا خالطها بياض الفجر، ومن ذلك أيضا حديث الإفاضة: " كنا نغلس من جمع إلى منى" أي نسير إليها ذلك الوقت[2].

الغبش: استعملت الجماعة العربية اللفظ بالشين والسين المهملة بدلالة ظلمة الليل التي يخالطها بياض الفجر جاء في الحديث في رواية أخرى أن الرسول ﷺ: "صلى الصبح بغبش"[3].

---

[1] البحر المحيط ٣ / ٣٩٨ اللسان سحر.

[2] النهاية ٣ / ٣٧٧ اللسان غلس .

[3] النهاية ٣ / ٣٣٩ اللسان غبش

السدفة: بضم السين وسكون الدال والجمع سدف واللفظ من الأضداد؛ استعملته الجماعة العربية بدلالتي الظلمة والضوء اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين طلوع الفجر والإسفار وقد جاء في الحديث " فصل الفجر إلى السدف " أي إلى بياض النهار، وفي حديث علقمة الثقفي: " كان بلال يأتينا بالسحور ونحن مسدفون فيكشف لنا القبة فيسدف لنا طعاما" المراد بالحديث الإضاءة والمبالغة في تأخير السحور[1].

الصريم: اللفظ من الأضداد أيضا استعملته الجماعة العربية بدلالتي الصباح والليل، ويرتبط اللفظ في أصله الاشتقاقي بالقطع، والصريم على ذلك الليل المنقطع عن الصباح، أو الصباح المنقطع عن الليل، وقد قالت الجماعة العربية لهما الأصرمان؛ لأن كل منهما ينصرم من الآخر. يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَصبحتْ كَالصريمِ﴾ القلم (٢٠) قال الأخفش كالصبح المنصرم من الليل، وقال

---

[1] النهاية ٢ / ٣٥٤ اللسان سدف .

المبرد كالنهار فلا شيء فيها. قال شـمر: الصـريم الليـل والصريم النهار أي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا[1].

القطع: بكسر القاف استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لطائفة من الليل، وقيل: من أوله إلى ثلثه جاء اللفظ في قوله: ﴿ فَأسرِ بِأَهلِك بِقِطْعٍ من الليل ولاَ يلْتَفِتْ مِنْكُم أَحـدٌ إِلا امرأَتَك إِنه مصِيبها ما أَصابهم إِن موعِدهم الصـبح أَلَـيس الصبح بِقَرِيبٍ ﴾ هود (٨١)، يقول أبو حيان في تفسير الآيـة قال بن عباس: بطائفة من الليل، وقال الضحاك ببقيـة مـن آخره، قال قتادة بعد مضي صدر منه، قال ابن الأعرابي أي ساعة من الليل، وقيل بظلمة وقيل: إنه نصف الليل مـأخوذ من قطعة نصفين قال الشاعر:

ونائمـة تنـوح بقطـع ليـل على رجل بقارعة الصعيد

قال ابن الإنباري القطع بمعنى القطعة مختص بالليل، ولا يقال عندي قطع من الثوب[1]. جاء اللفظ في الحـديث: "

[1] البحر المحيط ٨ / ٣١٢ اللسان صرم .

عن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم" قطع الليل طائفة منه[2]، يقول المرزوقي " تقول العرب آتيتك بقطع من الليـل إذا دخلت في استحكامه"[3].

الناشئة: والجمع نواشئ ساعات الليـل مثـل آنـاء الليل[4]، وقيل أول ساعات الليل[5]، ومنه قوله تعـالى: ﴿ إِن نَاشِئَةَ الليل هِي أَشَد وطئًا وَأَقْوم قِيلًا ﴾ المزمل [6].

الهزيع: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لطائفة من الليل نحو ثلثه أو ربعة الجمع هزع بضم الهاء والـزاي جاء في الحديث: " حتى مضي هزيع مـن الليـل" [6] وقـد

---

[1] البحر المحيط ٥ / ٢٤٨ واللسان قطع .

[2] النهاية ٤ / ٨٣

[3] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٥٨

[4] انظر ص (١٦٥)

[5] اللسان نشأ

[6] النهاية ٥ / ٢٦٢ اللسان هزع .

استعملت الجماعة العربية ألفاظا أخرى عبرت بها عن أجزاء من الليل وساعات منه مثل الوهن والجرس[1].

---

(1) اللسان وهن، جرس .

الفصل الثالث
وعائية الزمان: ألفاظ وتعبيرات

سبق أن أشرنا في حديثنا عن ثنائية الزمان والمكان على أن الأشياء تستمد مفاهيمها وهويتها من الكينونة والصيرورة معا، الكينونة في المكان والصيرورة في الزمان[1]، ولقد فطن القدماء من اللغويين والنحاة إلى ذلك، فدرسوا ظرفي الزمان والمكان في قسم المفعولات؛ لأن كلا منهما يشارك الآخر في الوظيفة التي يؤديها، وهي وعائية الحدث، ولعل هذا التصور كان يقف وراء اختيار مصطلح الظرف تشبيها بالظرف الحسي، يقول ابن يعيش: " اعلم أن الظرف ما كان وعاء لشيء، وتسمى الأواني ظروفا؛ لأنها أوعية لما يجعل فيها، وقيل: للأزمنة والأمكنة ظروف؛ لأن الأفعال توجد فيها، فصارت كالأوعية لها، والظرف على ضربين ظرف زمان ومكان"[2]، ويكمل لنا المرزوقي هذا

---

[1] انظر ص (٣٧) من الدراسة.

[2] شرح المفصل ٢ / ٤١

التصور قائلا: " اعلم أن الحادث متى حصل، فقد حصل في وقت، والمراد أنه يصح أن يقال فيه: إنه سابق لمـا تـأخر، وأن وقته قبل وقته، أو متأخر عما تقدمه، وأن وقته بعد وقته أو مصاحبا لما حدث معه"[1].

لقد نجحت هذه التسمية المجازية في تصوير مفهـوم الجماعة العربية عن وعائية الزمان للحـدث، وكمـا نجـد الأوعية والأواني تختلف لاختلاف المادة التي توضع فيهـا، نجد أيضا أن ألفاظ الزمان، تختلف لاختلاف وقـت الحـدث ونوعه، فطعام الإنسان الذي في الغداء غداء، والـذي فـي العشاء عشاء، والذي في السحور سـحور، وشـرابه الـذي يشربه في الصباح صبوح، والذي في المساء غبوق، والـذي في نصف النهار قيل، والذي في منتصف الليل فحمة، والذي في السحر جاشرية، وسيره في الغداة غدو والذي في النهـار تأويب وفي المساء رواح، وفي الليل إسراء، والإدلاج السير في أول الليل، والطروق المجيء لـيلا والتعـريس نـزول الساري ليلا والسمر: الحديث ليلا.

---

[1] الأزمنة الأمكنة ١ / ١٤٢

١ – ١ لقد أحست الجماعة العربية الأولى بوقع الزمان على الأشياء، وفطنت إلى أن كل ما يقوم به الإنسان من أفعال وما يمر به من الأحداث يتميز ويتحدد بالزمان، وأن كل ما في هذا الوجود يتحرك داخل إطاره، بل إن وجود الإنسان نفسه في هذا الوجود يخضع لوعائية الزمان، فحياته تتزمن في أزمنة أو أطوار تصف مراحل نموه الجسمي والنفسي، وكما وضع ألفاظا مختلفة لتميز أوقات الزمان كالساعة، واليوم، والأسبوع، والشهر، والفصل والسنة وضع ألفاظا أخرى تصف مراحل عمره أو مدة بقائه في الزمان، فهو وليد ورضيع في حضن أمه، وطفل أو صبي إذا درج على قدميه، ومراهق وغلام إذا راهق أو اغتلم، وفتى وشاب إذا اشتد عوده. ورجل وكهل إذا اكتمل وقوي، وشيخ وهرم إذا كبر وضعف[1]، وكما احتفل الإنسان بمجيء العام أو الفصل الجديد، أو بأيام مرتبطة بأحداث معينة، نجده يحتفي

---

[1] راجع هذه الألفاظ في مواضعها في لسان العرب.

أيضا بيوم مولده كل عام، ويوم بلوغه ويوم زواجـه ويـوم موته[1].

يمثل عمر الإنسان أهمية كبيـرة فـي كثيـر مـن المجتمعات الإنسانية لارتباطه بالتكاليف والواجبات الدينيـة والقانونية والاجتماعية، ولأنـه يحـدد دوره المـؤثر فـي المجتمع، ويظهر ذلك في مجالات مثل ممارسـة العمـل أو النشاط المهني، وبلوغه سن الزواج والإنجاب، وقدرته على الانخراط في سلك الجندية والدفاع عـن مجتمعـه، وتشـير بعض الدراسات الأنثربولوجية إلى أن الأعمار ٧، ١٤، ٢١ كانت تمثل أهمية في القانون الروماني في العصور الوسطى، وهي الأعمار التـي تحـدد مشـروعية العمـل والـزواج

---

[1] لاحظ حرص بعض الأفراد على حفلات عيد الميلاد، وحرص كثير من المجتمعات على إقامة احتفال بمجيء المولود الجديـد فـي اليـوم السابع لمولده، كما نجد مجتمعات أخرى تحتفل ببلوغ الفتى والفتاة، هذا إلى جانب ما نعرفه من الاحتفال بيوم زواجه ويوم رحيله عن الحيـاة، ونلاحظ أن بعض الجماعات لا تنطق باسم المتزوج أو الميت في هاتين المناسبتين، فهو عريس أو مرحوم، فالاسم يتجنب في الحالـة الأولـى صونا من الحسد، ويتجنب في الحالة الثانية هروبا من الأسى.

والاشتراك في القتال[1]، ومن هذا القبيل ما تخبرنا به بعض المصادر العربية، فنقرأ في الحديث الشريف: " علموا الصبي الصلاة ابن سبع، واضربوا عليها ابن عشر"[2]، كمـا نقـرأ حديثا آخر رواه ابن عمر قائلا: " عرضني رسول ا يـوم أحد في القتال وأنا ابن أربـع عشـرة سـنة فلـم يجزنـي وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجـازني، قال نافع: " فقدمت على عمر بن عبد العزيز، وهـو يومئـذ خليفة، فحدثته هذا الحديث فقال: إن هذا الحد بين الصـغير والكبير، فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابـن خمـس عشرة سنة ومن كان دون ذلك، فاجعلوه من العيال[3]. وبناء على هذا الحديث كان المجتمع الإسلامي يرى ابن الخامسـة عشرة مكلفا بالعمل والجهاد، وله حق في الفيء والغنائم.

---

(1) International Encyclopedia , p. ٤٦, Vol. ١٦.

(2) الترمذي المواقيت ١٨٢

(3) صحيح مسلم شرح النووي ٤ / ٥٣٢ ط الشعب .

تعرف المجتمعات الإنسانية عرفا اجتماعيـا يتصـل بعمر الإنسان وهو التأكيد على مكانة كبار السن الذين يعهـد إليهم المجتمع بتدبير شئونه؛ لأنه كما يقول الشاعر[1]:

إن المشيب رداء الحلم و الأدب   كما الشباب رداء الجهل واللعب

وقد نجد نوعا من النقد والتهكم إذا أهمل المجتمع هذا العرف الاجتماعي وقد صور الشاعر الهذلي ذاك قائلا[2]:

يسودون مردا قبل وصل لحاهم   وشيخهم طاحي القباب ثخين

إن كبير السن يصبح في كثير من المجتمعات رمـزا للحكمة؛ لأنه الحكيم الذي يملك خبرة الماضي وتجاربه ليدبر بها شئون الحاضر[3]؛ ولهذا كثيرا ما تلجأ إليه الجماعة فيما

---

(1) البيهقي المحاسن والمساوئ ٣٥٢ .

(2) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٩٧٥ .

(3) ترى بعض المجتمعات الصناعية الحديثة أن كبار السن أفواه عديمة الفائدة وغير قابلة للتكيف مع المجتمع الحديث؛ ولهذا فكبيـر السـن لا يلقى ما يجب من الاحترام، وهو في نظر المجتمع الممل أو الثرثار .

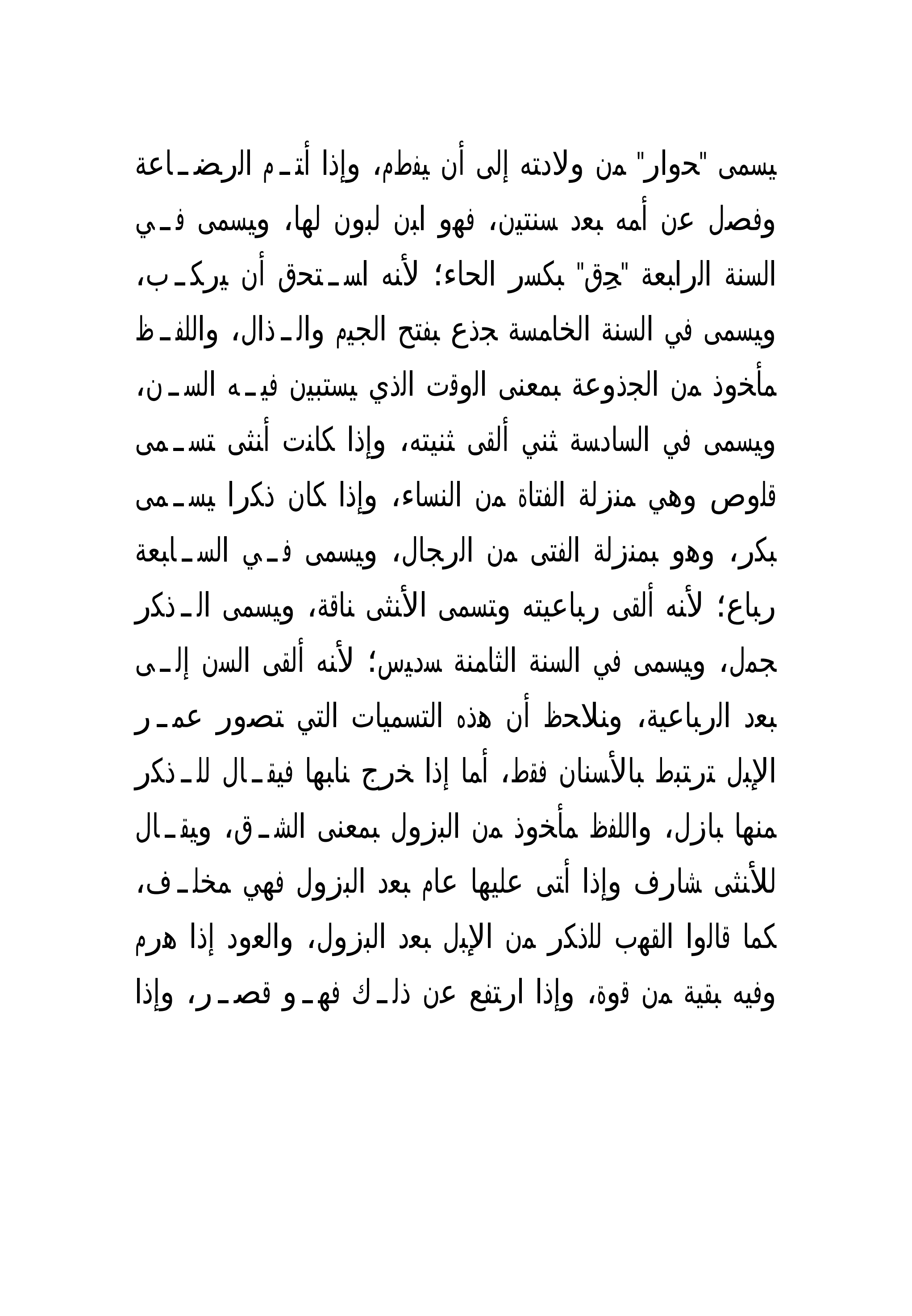
تحتاجه وتعامله باحترام وتبجيل[1]، ونقرأ في حديث عبد ا
بن عمر: " لا زال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكـابرهم
فإذا أتاهم من أصاغرهم فقد هلكوا، والأكابر أوفر الأسـنان
والأصاغر الأحداث"، وفي حديث قيس بن عاصم: اتقـوا ا
وسودوا أكبركم، وفي حديث القسامة: " الكِبر الكِبر أي ليبدأ
الأكبر بالكلام، أو قدموا الأكبر إرشادا إلى الأدب في تقـديم
الأسن[2].

١ – ٢ وكما وضعت الجماعة العربية ألفاظا تصف
بها زمان الإنسان أو مراحل عمره، وضعت أيضـا ألفاظـا
تصف بها مراحل عمر الحيوان، ويمكن أن نعطي مثالا لذلك
بالإبل التي كانت تمثل أهمية كبيرة في حياتها، فقد سمت ولد
الناقة ساعة مولده: سليلا، وإذا كان ذكرا فهـو سـقْب، وإذا
كان أنثى فهو حائل، وإذا قوي على المشي فهو راشح، وقيل

---

[1] انظر جوزيف أوما: أسطورة السن في المجتمع والأدب الأفـريقيين
مجلة ديوجين ص ١٢ - ١٨
العدد ٢١ – ١٩٧٣ مطبوعات اليونسكو.

[2] اللسان سود والنهاية ٤ / ١٤١ راجع أيضا البخاري بـاب إكـرام
الكبير ٨ / ٤١ ط الشعب .



يسمى "حوار" من ولادته إلى أن يفطم، وإذا أتم الرضاعة وفصل عن أمه بعد سنتين، فهو ابن لبون لها، ويسمى في السنة الرابعة "حِق" بكسر الحاء؛ لأنه استحق أن يركب، ويسمى في السنة الخامسة جذع بفتح الجيم والذال، واللفظ مأخوذ من الجذوعة بمعنى الوقت الذي يستبين فيه السن، ويسمى في السادسة ثني ألقى ثنيته، وإذا كانت أنثى تسمى قلوص وهي منزلة الفتاة من النساء، وإذا كان ذكرا يسمى بكر، وهو بمنزلة الفتى من الرجال، ويسمى في السابعة رباع؛ لأنه ألقى رباعيته وتسمى الأنثى ناقة، ويسمى الذكر جمل، ويسمى في السنة الثامنة سديس؛ لأنه ألقى السن إلى بعد الرباعية، ونلاحظ أن هذه التسميات التي تصور عمر الإبل ترتبط بالأسنان فقط، أما إذا خرج نابها فيقال للذكر منها بازل، واللفظ مأخوذ من البزول بمعنى الشق، ويقال للأنثى شارف وإذا أتى عليها عام بعد البزول فهي مخلف، كما قالوا القهب للذكر من الإبل بعد البزول، والعود إذا هرم وفيه بقية من قوة، وإذا ارتفع عن ذلك فهو قصر، وإذا

تكسرت أنيابه فهو ثاب، وإذا لم يستطع أن يحبس ريقه فهو ماج، وإذا استحكم هرمه فهو كحكح[1].

لقد جعلت الجماعة العربية أسنان الإبل دليلا على تحديد عمرها، وكأنها قد رأت في السن رمزا للقوة في الحيوان، وقد استعارت ذلك للإنسان أيضا، ومن أمثالهم في السؤال عن الإنسان وخبره "إن الجواد عينه فراره" والمثل مأخوذ من قولهم: "فررت الفرس أفره فرارا" إذا نظرت على أسنانه لتعرف عمره[2]، ومن ذلك أيضا قول الحجاج في خطبته المشهورة حين ولي العراق: ولقد فررت عن ذكاء

---

[1] انظر ابن سيده المخصص المجلد ٢ / سفر ٧ / ١٩ – ٢٢ الثعالب فقه اللغة ١١٤

انظر كريم حسام، التحليل الدلالي المجالات الخاصة بأعمار وأوصاف تلك الحيوانات .

الجزء الثاني ط ١ دار غريب .

انظر أيضا أسنان الخيل ٧ / ٣٧، وأسنان الغنم ٧ / ١٨٤ – ١٨٦ . أسنان البقر ٨ / ٣٣ ، أسنان الظباء ٨ / ٢١

[2] اللسان فرر .

وتجربة"[١]، ومن هذا قولهم للإنسان: افتر فلان: أي ضحك فأبدى أسنانه، كما قالت الجماعة العربية للصادق في حديثه " صدقني سن بكره"، وأصل المثل أن رجلا ساوم آخر في بكر (أي في فتى من الإبل) ليشتريه فسأل صاحبه عن سنه فأخبره بالحق، فقال المشتري ذلك[٢].

لقد استعملت الجماعة العربية السن للدلالة على عمر الإنسان، ومن ذلك قولهم: "فلان سن فلان" إذا كان مثله في العمر، جاء في حديث عثمان ﵁ جاوزت أسنان أهل بيتي أي أعمارهم، وجاء في حديث على ﵁: "بازل عامين حديث سني" أي أنا شاب حدث في العمر[٣]، ومن هذا القبيل أيضا قولهم: متى عهدك بأسفل فيك؟ أي: بعهد عهدك بالأمر، كبعد عهدك بالإثغار، وقيل: هذا المثل للسؤال عن أمر قديم لا عهد للرجل به[٤].

---

(١) النهاية ٣ / ٤٢٧

(٢) النهاية ٢ / ٤١٣ الميداني ٢ / ٢١٣

(٣) النهاية ٢ / ٤١٢

(٤) الميداني ٣ / ٣٠٩

كما نجد الجماعة العربية تضع ألفاظا تصور عمـر النبات فسمت أول النبت البارض، وإذا تحرك قليلا فهـو الجميم، وإذا عم الأرض فهو العميم، وإذا أصفر ويبس فهـو الهائج، كما سمت الزرع ما دام في البذر الحب، فإذا انشـق عن الورقة فهو الفرخ، وإذا طلع رأسه فهو الحقل، وإذا ظهر السنبلة فهو سنبل[١]، وإذا أخذنا النخلة التي تمثل أهم أنـواع الزروع التي عرفتها الجماعة العربيـة، فسـتجدها تسـمى الصغيرة فسيلة، وإذا صار لها جذع جبارة، وإذا ارتفعت عن ذلك عيدانه، وإذا زادت باسـقة، وإذا تناهـت فـي الطـول سحوق، كما رتبت حملها فقالت: أطلعت ثـم أبلحـت، ثـم أبسرت ثم أزهت ثم أمعت ثم أرطبت ثم أثمرت[٢].

لقد رأت الجماعة العربية أن كل ما حولهـا يتـزمن بالزمان، كما سبق أن أشرنا فقطرات الماء الساقطة بالنهـار هي الندى، وإذا سقطت في الليل فهي السدى، وأمطار السنة

---

[١] الثعالبي فقه اللغة ٣٠٠ - ٣٠٣

[٢] الثعالبي فقه اللغة ١١٣

أول ما يسقط منها الوسمى، ثم يليه الربيع ثم الصـيف ثـم الحميم ثم الرمض ثم الخريف[1].

١ – ٣ وكما أحست الجماعة العربية بوقع الزمـان على الموجودات والكائنات، وأن الإنسان والحيوان والنبـات وغير ذلك يعيش حياته من خلال أطوار زمانية، فقد أحست أيضا أن كل ما يقوم به الإنسان من أنشطة وأفعـال يحـدث داخل إطارا الزمان، فالاستيقاظ القيـام مـن الفـراش فـي الصباح، والتهجد القيام من الفراش في الليل، والقيلولة الخلود إلى الفراش في منتصف النهار، والهجود الخلود إلى الفراش في الليل[2] [3].

وقد سمت الجماعة العربية ما يأكله الإنسان في اليوم والليل وجبة، وميزت هذا بالزمان أيضا، فالإفطـار وجبـة الصباح أو أول ما يأكله الإنسان كما نجد في الصيام، والغداء

---

[1] فقه اللغة ٢٧٧ المخصص ٩ / ٧٩

[2] انظر الألفاظ في مواضعها، اللسان.

[3] لاحظ أيضا تعبير الجماعة العربية عن دلالة الانتقال والصـيرورة للكائنات والجماعات في الزمان، فأفعال الصيرورة مثل أصبح وأضحى وأمسى وبات وظل .

وجبة الغدو، والعشاء وجبة العشي، الكرزمة وجبـة نصـف النهار، والسحور وجبة السحور، أما الشرب في الصباح فهو الصبوح، والشرب في العشي الغبوق [1] ومن أمثالهم: أعـن صبوح ترقق؟ وقولهم: أحـال صـبوحه علـى غبوقـه[2]، والشرب في نصف النهار القيل أو القيلة، جاء فـي حـديث خزيمة: وأكتفي من حمله بالقيلة، أي أكتفي بتلك الشـربة[3]، والشرب في السحر الجاشرية.

كما ميزت الجماعة العربية سـير الإنسـان علـى الأرض في إطار الزمان، فالتأويب سير النهار إلـى الليـل، والغد السير في الغداة، والتهجر السير في الهاجرة، والإسراء السير في الليل، والإدلاج السير من أول الليل إلى آخره، كما سمت النزول بالمكان بالليل المبيت، والنـزول آخـر الليـل

---

[1] انظر الألفاظ في مواضعها باللسان.

[2] الميداني ١ / ٣٦٧

[3] النهاية ٤ / ١٣٤

التعريس، والنزول في الفجر التهويم، والنزول آخر النهار أو وقت القائلة التغويم[1].

ومن هذا القبيل أيضا تسمية الحديث الذي يدور بـين الجماعة في الليل للتسلية واللهو السمر، والسـامر جماعـة الحي الذين يسيرون ليلا، وتسمية الضيف الذي يأتيك لـيلا: الطارق، والضيف الذي يأتيك الجانح؛ سمي بذلك لأنه يكون في جناحك أي ناحيتك، وسمت زيارة البيت الحرام فـي أي وقت: الاعتمار، وزيارته في موعد محدد كل عام: الحج[2].

وكما سبق أن أشرنا إلى أهميـة الإبـل فـي حيـاة الجماعة العربية التي تمثلت في الألفاظ التي وضعتها لتصف بها مراحل حياتها الزمنية، نجد مجموعة أخرى من الألفـاظ التي تصور عمل الإنسان ونشاطه مع الإبل التي كانت ترتبط بحياته ارتباطا كبيرا، وهذه الألفاظ ترتبط بالرعي في الغداة للرعي.

---

[1] انظر الألفاظ في مواضعها في اللسان.

[2] انظر الألفاظ في مواضعها في اللسان

الإراحة: رد الإنسان للإبل في العشي إلى سـراحها حيث تأوي ليلا، وقد جاء اللفظان في قوله تعـالى: ﴿ ولَكُـم فِيها جمالٌ حِين تُرِيحون وحِين تَسرحون ﴾ المحل (٦) يقـول أبو حيان في تفسير هذه الآية " يقال: أراح الماشـية ردهـا بالعشي من المرعى، وسرحها يسرحها سراحا أخرجها غدوة إلى المرعى.. وقدم الإراحة على السرح؛ لأن الجمال فيهـا أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلـى الحظائر، بخلاف وقت سرحها وإن كانت في الوقتين تـزين الأفنية.."[1].

النفش: إرسال الإنسان للإبل فترعى بلا راع فهـي إبل نفاش، ولا يكون النفاش إلا ليلا، تقول: أنفشها إذا أرسلها ليلا ترعى، ومن ذلك قولـه تعـالى: ﴿ وداود وسـلَيمان إِذْ يحكُمان فِي الْحرثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَم الْقَومِ ﴾ الأنبيـاء (٧٨) يقول أبو حيان في تفسير الآية " النفش رعي الماشية بالليـل بلا راعٍ، والهمل بالنهار بلا راعٍ"[2].

---

[1] البحر المحيط ٥ / ٤٧٥ اللسان سرح .

[2] البحر المحيط ٦ / ٣١٧ اللسان نفش .

الهمل: استعملت الجماعة اللفظ بدلالة الماشـية بـلا راع نهارا، وقيل: رعي الإبل بلا راع ليلا ونهارا، كما قالت الجماعة العربية أيضا: استرعى ماله القمر، أي تـرك إبلـه ليلا بلا راع، واسترعى ماله الشمس إذا ترك إبله نهارا بـلا راع[1].

التحيين: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة حلب الإبل مرة واحدة في اليوم والليلة، والاسم الحينة، ومن ذلـك قولهم: حين الناقة؛ جعل لها في كل يوم وليلة وقتـا يحلبهـا فيه. جاء في الحديث: " تحينوا نوقكم"، أي احلبوها مرة فـي اليوم وفي وقت معلوم [2].

العتمة: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الثلث الأول من الليل، واللفظ يرتبط بأصـله الاشـتقاقي: الحـبس والمكث أو الإبطاء والتأخير؛ لأنهم كانوا يريحون إبلهم بعيد المغرب وينيخونها في مراحها ساعة، ثم يسـتفيقونها فـإذا أفاقت ومرت ساعة من الليل حلبوها، وتسمى هـذا السـاعة

---

[1] اللسان، همل وقمر .

[2] النهاية ١ / ٤٧٠ اللسان، حين .

العتمة، والعواتم الإبل التي تحلب في هذه الساعة، جاء في حديث أبي ذر ﵁: " واللقاح قد روحت وحلبت عتمتها" أي حلبت ما كانت تحلب وقت العتمة، وهم يسمون الحلاب عتمة باسم الوقت[1].

الطلق: أخذ الإبل ليلا للشرب، ويكون بينها وبين الماء ليلتان سيرا، فتسمى الليلة الأولى الطلق حيث يخلي الراعي إبله إلى الماء ويتركها على ذلك للرعي.

القرب: أخذ الإبل في الليلة الثانية للشرب.

الغب: أخذ الإبل للشرب يوما بعد يوم، أو يوما كل ثلاثة أيام.

الظاهرة: أخذ الإبل أو الخيل للشرب كل يوم في منتصف النهار، واللفظ مأخوذ من الظهر[2].

١ – ٤ سبق أن أشرنا في بداية هذا الفصل إلى تصور الجماعة العربية لوعائية الزمان بمعنى كل ما يحدث للإنسان، ويلاحظ تكراره ويتزمن في وقت قد ضبطته

---

(١) النهاية ٣ / ١٨١ اللسان عتم .

(٢) اللسان طلق قرب غبب ظهر .

واصطلحت عليه بألفاظ تسمي هذا الحدث وتحدده، من هـذه الألفاظ: العبد، الموسم، القرء، الطهر، الموعد.

العيد: اليوم الذي يرتبط بمناسبة معينة ويجتمع فيـه القوم للهو والطعام سمي بذلك؛ لأنه يعود كل عـام، والـواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها، وقيل: سـمي بـذلك لأن النـاس اعتادوا عليه، يقول الأزهري: العيد عندي الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن، سمي العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد[1]، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِيسى ابن مريم اللهم ربنَا أَنْزِلْ علَينَا مائِدةً من السماءِ تَكُـون لَنَـا عِيدا لأولنَا وَآخِرِنَا ﴾ المائدة (١١٤) قال لهم عيسـى عليـه السلام: هل لكم في صيام ثلاثين يومـا تعـالى، ثـم إن سألتموه حاجة قضاها؟ فلما صاموها قالوا: يا معلم الخير إن من حق من عمل عملا أن يطعم، أرادوا أن تكون المائدة عيد ذلك الصوم[2]" يذكر القلقشندي تحـت بـاب أعيـاد الأمـم

---

(١) La fete , feast

Web ester's New world Dictionary

La Rouse Dictionnaire Francais

(٢) البحر المحيط ٤/ ٥٤

ومواسمها عيدي الفطر والأضحى قائلا: " اعلـم أن الـذي وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى، والسبب في اتخاذهما ما روي من أن الرسول ﷺ: قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقـال: مـا هـذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول ا ﷺ: إن ا -عز وجل- قد أبدلكم خيرا منهما؛ يوم الأضحى ويوم الفطر" فأول ما بدئ به من العيدين عيد الفطر؛ وذلـك في سنة اثنتين من الهجرة.. كما يذكر أن الشـيعة ابتـدعت عيدا ثالثا سموه عيد الغدير، وسبب اتخاذهم له مؤاخاة النبي ﷺ لعلي يوم غدير خم بعد رجوعه من حجة الوداع وكـان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سـنة عشـر مـن الهجرة والشيعة يحيون ليلة العيد بالصلاة، ويصـلون فـي صبيحتها ركعتين قبل الزوال وشعارهم فيـه لـبس الجديـد وعتق العبيد وذبح الأغنام"[1].

الموسم: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذي يجتمع فيه الناس كل عام، سمي بذلك كأنه معلم يجتمع

---

[1] صبح الأعشى ٢ / ٤١٦ .

إليه، واللفظ مأخوذ من قولهم: وسم الشيء يسمه وسما؛ أثـر فيه بالكي، ويقولون: وسم الناس توسيما: شهدوا الموسم كما يقولون في العيد عيدوا".

والمواسم جمع موسم وهي أسواق العـرب؛ سـميت بذلك لأنها تقوم في كل سنة مرة، من ذلك قول الهذلي:

بأبيك صاحبك الذي لـم تلقـه بعد المواسم واللقاء بعيـد

ينص المعجم على أن كل مجمع من النـاس موسـم ومن ذلك موسم منى، جاء في الحديث: " أنه لبث عشر سنين يتبع الحاج المواسم" أي الأوقات التي يجتمـع فيهـا النـاس للحج[1].

القرء: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذي تحيض فيه المرأة، أو الوقت الذي يكون بين الحيضتين، واللفظ من الأضداد[2]، وينص المعجم على أن أبـا حنيفـة وأهل العراق يقولون: القرء الحيض، وحجتهم في ذلك قولـه

---

[1] اللسان وسم، شرح أشعار الهذليين ٢ / ٥٩٧ ، النهاية ٥ / ١٨٦

[2] انظر ابن الأنباري الأضداد ص ٨٧

ﷺ: " دعي الصلاة أيام إقرائك" والإقراء هنا الحيض للأمـر بترك الصلاة، وإن الشافعي وأهل الحجاز يقولـون: القـرء الطهر؛ لأن القرء هو اجتماع الدم في الرحم، وإنمـا يكـون ذلك في الطهر، ومن ذلك قولهم: قرأت الماء فـي الحـوض جمعته، وقرأت الشيء لفظت به مجموعا، فالقرء على ذلـك الطهر؛ لأن النساء يؤتين في أطهارهن لا في حيضهن، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعـالى: ﴿ والْمطَلَقَـاتُ يتَربصـن بِأَنْفُسِهن ثَلاَثَةَ قُروءٍ ﴾ البقرة (٢٢٨)، " القرء أصله في اللغة الوقت المعتاد تردده، ومن ذلك قرء النجم: وقـت طلوعـه ووقت غروبه، يقولون: أقرأ النجم أي طلع أو غرب، وقـرء المرأة حيضها وطهرها من الأضداد" وقيل: إن القرء يعنـي الانتقال، من قولهم: قرأ النجم أي انتقل، قرأ الكلام: انتقل من حرف إلى حرف في الكلمة" وقـرأت المـرأة انتقلـت مـن الحيض إلى الطهر[1] وعلى ذلك يكون معنى ثلاثـة قـروء ثلاثة انتقالات من الحيض إلى الطهر.

---

[1] اللسان قرأ، البحر المحيط ٢ / ١٧٥ ، النهاية ٤ / ٣٢

الطهر: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذي تعتاد المرأة الطهر فيه، ويكون ما بين الحيضتين، جاء في الأثر عن زيد بن أسلم قال: بلغني أن عمر بن الخطـاب جاءته امرأة فقالت: إن زوجها لا يصيبها، فأرسل إلى زوجها فسأله فقال: كبرت وذهبت قوتي. فقال عمر: أتصيبها في كل شهر مرة [1] والطهر نقيض الحيض، وهي طاهر أي انقطع عنها الدم، تقول: طهرت المـرأة رأت الطهـر، وتطهـرت واطهرت أي اغتسلت جاء في قوله تعالى: ﴿ ولاَ تَقْربـوهن حتى يطْهرن فَإِذَا تَطَهرن فَأْتُوهن مِن حيـثُ أَمـركُم ا ُ ﴾ البقرة (٢٢٢).

الموعد: استعملت الجماعة العربيـة اللفـظ بدلالـة الاتفاق على تحقيق الموعود به في زمان ومكان محـددين، والجمع مواعيد، يقول أبو حيان في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وتِلْك الْقُرى أَهلَكْنَاهم لَما ظَلَموا وجعلْنَا لِمهلِكِهم موعِـدا ﴾ الكهف (٥٩) ضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما، والموعد زمـان الهلاك[2]. كما استعملت الجماعة العربية لفظ الميعاد أيضـا

---

[1] اللسان طهر، كنز العمال ١٦ / ٥٧٥ الحديث ٤٥٩٢٢

[2] اللسان وعد، البحر المحيط ٦ / ١٤٠

بهذه الدلالة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْـتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ الأنفال (٤٢).

٢ – ١ أشرنا إلى زمانية الحدث، بمعنى أن كل مـا يقوم به الإنسان من فعل أو نشاط يتزمن، أي: يتم في إطـار زمن يحدده ويميزه، كما أن عمره نفسه عمـر غيـره مـن الكائنات الموجودات يتميز بأطوار من خلال الزمان[1]، وإذا كنا قد تناولنا بهذا المفهوم ارتباط الحدث بالزمان الذي يكون وعاء له، فإننا يمكن أن نتناول حدثية الزمـان، بمعنـى أن الزمان الذي يتميز بحوادث وأفعال معينة، اعتمادا على مـا يقرره بعض المتكلمين في تعـريفهم للزمـان بأنـه تقـدير الحوادث بعضها ببعض؛ كقولك صاح الديك وقـت طلـوع الفجر، وطلع الفجر وقت صياح الديك فكل واحد منهما صار وقتا للآخر"[2]، وبناء على هذا القول يمكن أن نقدر الزمـان بالحدث أو الأحداث التي يمر بها الإنسان، ولعل في مادة لفظ الحدث – كما يقول أبو حيان التوحيدي– ما يعين ذلك، عندما

---

[1] انظر ص (٨٣) وما بعدها من الدراسة .

[2] الأزمنة والأمكنة ١ / ١٣٩

يقال لأحدهم حدث يا هذا؟ فكأنه قد قيل له: حصل شيئا بالزمان يكون به الحال" [1] يشير ابن القيم إلى إضافة الزمان إلى الأحداث الواقعة فيها قائلا: " لما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم من يوم بصفة نفسية ولا معنوية، لم يبق تمييزها إلا بالأعداد؛ ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من العدد نحو الاثنين والثلاثاء، أو بأحداث الواقعة فيها كيوم بعاث ويوم بدر ويوم الفتح.. "[2].

إننا يمكن أن نرى في ضوء هذا التصور لحدثية الزمان ارتباط الزمان لدى الجماعة العربية بحدث أو أحداث هامة تعين الزمان وتحدده[3]، جاء في حديث الدعاء على

---

[1] الإمتاع والمؤانسة ١ / ٢٥

[2] ابن القيم بدائع الفوائد ١ / ٨٤

[3] لعل هذا التصور لحديثة الزمان جعلهم يستعملون المصادر للتعبير عن الزمان يقول ابن مالك:

قد ينوب من مكان مصدر　　　وذاك في ظرف الزمان يكثر

يقول المرزوقي: إنهم أقاموا المصادر مقام الأزمة نحو: أتيته طلوع الشمس، وخفوق النجم وقدوم الحاج، وخلافة فلان، الأزمنة والأمكنة ١ / ١٣٨

قريش: " أعنّي عليهم بسنين كسني يوسف" [1] وهي السـنين السبع الشداد التي أصابت الناس بـالقحط والجـدب، وجـاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿ ثُم يأْتِي مِن بعدِ ذَلِك سـبعٌ شِـدادٌ يأْكُلْن ما قَدمتُم لَهن ﴾ يوسف (٤٨)، ومثال ذلك أيضا قولهم: سنيات خالد التي ضربوا بها المثل في توالي القحط والجدب وهي سبع سنوات أيضا توالد على المدينة في عهـد واليهـا خالد بن عبد الملك من قبل هشام بن عبـد الملـك، وعـام الرمادة الذي كان سنة ثماني عشرة من الهجرة فـي خلافـة عمر بن الخطاب، أصاب الناس فيه القحط حتـى صـارت وجوهم في لون الرماد من الجوع، عام الحزن كـان سـنة عشر من الهجرة، وقد مات فيها عم الرسـول ﷺ وزوجتـه خديجة بعده بثلاثة أيام[2]. وعام الجراد الذي كان في السـنة

ونقرأ في المعجم أنهم جاءوا بالمصادر على فُعال حين أرادوا انتهـاء الزمان في مثل الحصاد، أي وقت انتهاء الحصاد، الصـرام القطـاف كذلك .

[1] النهاية ٢ / ٤١٤

[2] نهاية الأرب ١ / ١٦٧ .

الثامنة من الهجرة، وعام الخنان [1] الذي كان علـى زمـن المنذر بن ماء السماء، وعام الفيل الذي هاجم فيه أبرهة ملك الحبشة الكعبة بالأفيال، كما كانت تؤرخ أيضا بموت هشـام بن المغيرة حتى ظهور الإسلام، فجعلت هجرة الرسـول ﷺ تاريخا للمسلمين[2].

ومن هذا القبيل أيضا ما يذكره البيروني أن النـاس في عهد الرسول ﷺ قد سموا كل سنة فيمـا بـين الهجـرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها لـه عليـه السلام، فالأولى بعد الهجرة سنة الأذن، والثانية سنة الأمـر بالقتال، والثالثة سنة التمحيص، والرابعـة سـنة الترفئـة، والخامسة سنة الزلزال، والسادسة سنة الاستئناس، والسـابعة سنة الاستغلاب، والثامنة سنة الاستواء، والتاسعة سنة البراءة والعاشرة سنة الوداع، فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة.."[3].

---

[1] الخنان: داء يأخذ الطير والحيوان في حلوقها، وقد انتشر في ذلـك الوقت .

[2] ابن سيده المخصص ٩ / ٦٤

[3] البيروني، الآثار الباقية ٣٠، ٣١

٢- ٢ إننا إذا تصفحنا كتب التـاريخ والأدب، نجـد كثيرا من التعبيرات الزمانية التي تحدد الزمان بحدث هام أو شخصية هامة، ومثال ذلك ما نقرؤه في الأغاني أن عمر بن ربيعة قد ولد ليلة مقتل عمر بن الخطاب[١]، وأن أبا جعفـر محمد بن علي المعروف بابن عائشة المغني قد توفي في أيام هشام بن عبد الملك، وقيل أيام الوليد[٢]، ومن ذلـك أيضـا حديث الحجاج حين سأل الحسن البصري: ما أمـدك؟ قـال: سنتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسنتين بقيتا من خلافـة عمر" [٣]، ويبدو أن هذا العرف في التوقيت لا يزال مستمرا لدى الجماعة العربية حتى الآن، ويشـير بعـض البـاحثين المعاصرين إلى ذلك في معرض دراسـته الأنثروبولوجيـة لقبيلة بني كبير في شبه الجزيرة العربيـة فيقـول: " ... إن تاريخ ولادة أحدهم يرتبط بإحدى المناسبات الهامة كأن يولد فرد أو مجموعة من الأفراد أثناء وقوع حـرب بـين قبيلـة وأخرى، أو في حالة هطول أمطار غزيرة تحـدث أضـرار

---

[١] الأغاني ١ / ٧١ ط الشعب .

[٢] الأغاني ٢ / ٦٥٣

[٣] النهاية ١ / ٦٥

بالغة بالدور والأرض، ومثال ذلك قولهم: ولد فـلان أثنـاء حرب الغوقة وهي حرب مشهورة وقعت بين قبيلة بني كبير وقبيلة مجاورة، أو يقال: ولد فلان زمن سيل الأربعاء؛ لأنـه هطلت فيه أمطار غزيرة وبشكل غيـر مـألوف، فأحـدثت أضرارا كبيرة يوم الأربعاء في إحدى السنوات، أو يقال ولد زمن الحميرية وهي صنف رديء من الحبوب أكله النـاس بعد أن أصاب الأرض قحط شديد قضى على المحصـولات الزراعية"[1].

ومن هذا القبيل أيضا ما نقرؤه في القرآن الكريم من تعبيرات زمانية في مثل قوله تعالى على لسان موسى لسحرة فرعون: ﴿ قَالَ موعِدكُم يوم الزينَةِ وَأَن يحشَرَ الناس ضحى﴾ طه (٥٩) " يقول أبو حيان: " أي أن يجتمعوا ضحى ذلـك اليوم بعينه من مكان مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم [2]

---

[1] سعيد الغامدي البناء القبلي فـي المملكـة العربيـة ص ٩٩ ط دار الشروق جدة.

[2] هو يوم وفاء النيل الذي كان يحتفل فيه المصريون القدماء ويعتبـر من أشهر أعيادهم.

فيذكر الزمان علم المكان" [1] وقوله تعالى: ﴿ ومِن الناسِ من يقُولُ آمنا بِا ـ وبِالْيومِ الآخِرِ وما هم بِمؤْمِنِين ﴾ البقرة (٨)، يقول أبو حيان: " اليوم الآخر يحتمل أن يـراد بـه الوقـت المحدود من البعث إلى استقرار كل من المؤمنين والكـافرين فيما أعد لهم، ويحتمل أن يراد به الأبد الدائم الذي لا ينقطع، وسمي آخر لتأخره أما عـن الأوقـات المحـدودة باعتبـار الاحتمال الأول أو عن الأوقات المحدودة باعتبار الاحتمـال الثاني" [2] وقوله تعالى: ﴿ لِيشْهدوا منَافِع لَهم ويذْكُروا اسـم ا ـ فِي أَيامٍ معلُوماتٍ ﴾ الحج (٢٨) يقول أبو حيان: " الأيام المعلومات أيام العشر، والمعدودات أيام التشـريق الثلاثـة، وقال البعض: المعلومـات يـوم النحـر ويومـان بعـده، والمعدودات أيام التشريق" [3]، وقوله تعالى: ﴿ واذْكُـروا ا َ فِي أَيامٍ معدوداتٍ فَمن تَعجلَ فِي يومين فَلاَ إِثْم علَيـهِ ومـن تَأَخر فَلاَ إِثْم علَيهِ لِمنِ اتقَى واتقُوا ا َ واعلَمـوا أَنكُـم إِلَيـهِ تُحشَرون ﴾ البقرة (٢٠٣) يقول أبو حيان: " الأيام الثلاثة أيام

---

[1] البحر المحيط ٦ / ٢٥٢

[2] المصدر نفسه ١ / ٥٥

[3] المصدر نفسه ٦ / ٣٦٥

بعد يوم النحر وقيل: يوم النحر ويومان بعده، وقد أجمع المفسرون على أن الأيام المعدودات أيام التشريق"[١].

٢ – ٣ عرفت اللغة العربية تعابير اصطلاحية[٢] تعتمد في تراكيبها على ألفاظ الزمان، وسنلاحظ أن هذه التعابير التي اتفقت عليها الجماعة العربية كانت نتاج ثقافة الجماعة والتجارب والأحداث التي مرت بها، ونجد أن هذه التعابير قد استعملت كوحدات دلالية مستقلة Semantic unit تؤدي مثل الألفاظ دلالات مختلفة؛ مثل قصر الزمان وطوله، والتفاؤل والتشاؤم، والرخاء والشدة، والوضوح والغموض، والجدة والقدم، وغير ذلك من الدلالات، وفيما يلي بعض هذه التعابير.

---

[١] المصدر نفسه ٣ / ١١٠

[٢] نقصد بالتعبير الاصطلاحي هنا: النمط التعبيري الخاص بلغة معينة يتميز بالثبات، ويتكون من كلمة أو أكثر تحولت عن معناه الحرفي إلى معنى مغاير اصطلحت عليه الجماعة اللغوية. انظر مفهوم التعبير الاصطلاحي وأنماطه التركيبية، كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحي ٣٤ – ٩٣ ، ٢٦٣ ط الأنجلو المصرية ١٩٨٤

أكل الدهر عليه وشرب: استعملت الجماعة العربيـة هذا التعبير للإشارة إلى القديم من الأشياء، كمـا اسـتعملته أيضا للإشارة إلى من يطول عمره من الناس، ومـن هـذا القبيل أيضا قولهم: فلان شمس العصر، أو فلان تنقـل مـع الفجر، أي: كبر سنه[١].

دعوة السنة: استعملت الجماعـة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى الشيء النادر الذي لا يتكرر مثل دعوة البخيل، ومن ذلك قول الشاعر[٢]:

إنهــا دعــوة الســنة فخـــذوها مبطنـــة
لــن تعــودوا لمثلهــا وإنهــا فــتح خرشــنة[٣]

ومن هذا أيضا تعبير زبدة الحقب الذي يـدل علـى الشيء النادر الذي لا يحدث مثله إلا في الأحقـاب أي فـي الزمان الطويل، ومن ذلك قول أبي تمام في فتح عمورية[١]:

---

[١] اللسان دهر، الثعالبي ثمار القلوب ٦٥١

[٢] ثمار القلوب ٦١٦

[٣] بلدة من بلاد الروم غزاها سيف الدولة.

حتى إذا مخض ا السنين لها مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

ابن الأيام: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الرجل المجرب.

بنات الدهر: استعملت الجماعـة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى المصائب والشدائد.

حاطب ليل: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة من يكثر أو يخلط في حديثه فيجني على نفسه، أو بدلالة من لا يميز بين الجيد والرديء؛ لأنه يكون كحاطب ليـل ربمـا حمل معه ما لا ينفع أو ما يضر أو يقتل[٢].

سنلاحظ هنا أن الجماعة العربية قد استعملت الليـل كثيرا في تعبيراتها، ربما يعود ذلك إلى تصورهم له، فاليوم الجديد يولد من رحم الليل؛ ولهذا كان تأريخهم بالليالي، كمـا

---

[١] ثمار القلوب ٦٤٠

[٢] اللسان حطب، الميداني مجمع الأمثال ٣ / ٣١٧

ارتبط الليل في أذهانهم بتصورات مختلفة سبق أن أشرنا إليها[1]، ومن هذه التعبيرات التي اتخذت الليل أساساً لها قولهم:

ليلة القدر: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة الشيء الخفي أو المبهم لاختلاف الفقهاء في تحديدها، ومن ذلك قول أبي الفتح البستي[2]:

قيل لي: قد خفيت قلت كبدر صار يخفى من بعد أن كان بدرا

أنا خاف كليلة القدر في الناس وعال كليلة القدر قدرا

ليلة الميلاد: وهي الليلة التي ولد فيها عيسى ﷺ، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى طول الوقت أو قصره، ومن الأول قول الشاعر[3]:

---

(1) انظر ص (١١٠) من الدراسة .

(2) ثمار القلوب ٦٣٤

(3) ثمار القلوب ٦٤٣

يا مقيتا يصور اليـوم حـولا   ساعة منـه ليلـة المـيلاد

ومن الثاني قول أبي نواس[1]:

ليلــة كــاد يلتقــي طرفاهــا   قصرا وهي ليلـة المـيلاد

ليلة التمام: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى طول الوقت[2]، ويقال: إنها أطول ليلة في الشهر، ومـن ذلك قول امرئ القيس:

فبـــت أكابـــد ليـــل التمـــا   م والقلب من خشية مقشعر

كما نجد تعبيرات أخرى تشير إلى طول الزمـان أو الليل مثل ليلة العقرب، قالوا ذلك لأن صـاحبها الملـدوغ لا ينامها فهي تطول عليه، وليل السليم بمعنـى اللـديغ، وليـل الضرير لأنه لا يرى، وليل المحب لأنه لا ينام، وليلة أنقـد

---

[1] التشبيهات لأبي عون ٣٩٦

[2] ثمار القلوب ٦٣٥

بالدال المهملة، وهو القنفد؛ قالوا ذلك لأنه يبيت الليل كله لا ينام[1].

ليلة صيف: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى قصر الوقت، قال الشاعر:

فلو كنت ليلا كنت ليلة الصيف　　من المشرفات البيض وسط الشهر

ومن هذا القبيل قولهم أيضا، سحابة صيف لما يقل لبثه ويخف مكثه؛ لأنها تنقشع بعد قليل[2].

ليلة الصدر: يقولون تركناهم على ليلة الصدر، أي لا يملكون شيئا أو ليس عندهم شيء، والتعبير يعود إلى البيئة البدوية التي ترعى الإبل وتسوقها للشرب الذي يسمى الورد،

---

(1) اللسان ليل، والميداني ١ / ١٦٣

(2) الأزمنة والأمكنة ٢ / ٢٧٧ والميداني ٢ / ١٢٦

وتسمى عودتها من الماء الصدر؛ حيث لا يبقى على الماء أحد[1].

ليلة السر: وهي الليلة التي يغيب فيها القمر، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الغامض أو القبيح من الناس أو الأشياء. قال أوس[2]:

فلو كنتم مر الليالي لكنتم كليلة سر لا هلال ولا بدر

ليلة البدر: وهي الليلة التي يكتمل فيها القمر، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الحسن أو الواضح من الناس أو الأشياء، قال زهير[3]:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت النور ليلة البدر

---

[1] اللسان صدر انظر ص (٨٠) من الدراسة .

[2] التشبيهات لأبي عون ٣٣٨

[3] المصدر نفسه انظر ص (٦٨) من الدراسة .

ليلة العروس: استعملت الجماعة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى الحسن من الناس والأشياء، ومـن ذلـك قـول الشاعر[1]:

وشادن في الحسن كالطـاووس أخلاقـه كليلـة العـروس

ليلة حرة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى صعوبة الشيء أو العجز عن تحقيقه، والتعبير مأخوذ من الليلة التي تزف فيها الفتاة إلى زوجها، فتمتنع عليه ولا يقدر على افتضاضها ومن ذلك قول النابغة[2]:

شمس موانع كـل ليلـة حـرة يخلفن ظن الفاحش المغيار

ليلة شيباء: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى سهولة الشيء والقدرة على تحقيقه، والتعبير مأخوذ مـن

---

[1] الثعالبي ثمار القلوب ٣٢٠

[2] الميداني ١ / ١٧٧ اللسان عرس وحر .

الليلة التي تزف فيها الفتاة إلى زوجها وتمكنه مـن نفسـها فيقدر على افتراعها، وقالوا أيضا: ليلة حرة هي الليلة الأولى من الشهر، وليلة شيباء هي آخر ليلة في الشهر[١].

هلال شوال: استعملت الجماعـة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى ما يسر به الناس أو يحتفلـون فيـه، والمعنـى مأخوذ من مجيء شهر الفطر بعد صيام رمضان، قال ابـن المعتز[٢]:

فخلتــه والعيــون تأخــذه   من كل فج هـلال شـوال

كما يقول ابن الرومي[٣]:

سلب الزمان جماله عن نفسـه   فغدا وراح وما عليه جمال

---

(١) اللسان شيب، زهر الأكم ١ / ٢٠٨

(٢) ثمار القلوب ٦٤٨

(٣) ديوان ابن الرومي ٥ / ١٩٦٢

فكأنه رمضـان فـي إخبـاره   وكأنه فـي جـوده شـوال

قمر الشتاء: استعملت الجماعـة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى الوقت القصير أو الشيء الضائع، فقالوا: أضيع من قمر الشتاء؛ لأنه لا يجلس في قمر الصيف[١].

٢ – ٤ نجد إلى جانب هذه التعـابير الاصـطلاحية المركبة من لفظ زماني مضاف للفظ آخر، وتولـدت منهمـا دلالة معينة اتفقت عليها الجماعة العربية صورة أخرى مـن هذه التعابير التي تتركب من لفظ زماني مضاف لاسم علـم مشهور، وتتولد منهما دلالة معينة، اتفقت عليهـا الجماعـة العربية[٢]، ونلاحظ أن هذه التعابير أيضا ترتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث والخبرات التي مرت بالجماعة، وفيما يلي بعـض هذه التعابير.

---

[١] ثمار القلوب ٦٤٨

[٢] انظر كريم حسام الدين، التعبير الاصطلاحي المضاف من التعابير ص ٢٦٣

زمن البرامكة: استعملت الجماعة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى الشيء الحسن ورغد العيش، يقول أبـو حيـان التوحيدي: " إنه قد قيل لرجل صف لنا وليمة فـلان. فقـال لهم: كأنها زمن البرامكة" أي لحسنها[1].

عام ابن عمار: استعملت الجماعة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى رغد العيش والعطاء، يرتبط هذا التعبير بأحمـد بن عمار وزير المعتصم الـذي أراد أن يحـج ذات يـوم، ويجاور بيت ا الحرام بعد ما عزله الخليفـة، فـدفع إليـه عشرين ألف دينار ليفرقها على أهل الحـرمين فـي مكـة والمدينة، ولما حج ابن عمار فرق هذا المال كله مع عشـرة آلاف كانت له، وجاور عاما ثم انصرف فكان الناس يقولون: ما رأينا مثل عام ابن عمار[2].

عام جميلة: استعملت الجماعة العربية التعبير بـنفس الدلالة السابقة، يرتبط هذا التعبير بجميلة بنت ناصر الدولـة محمد بن مروان التي حجت عام ٣٦٦ هـ وفرقت الأمـوال

---

(١) البصائر والذخائر ٢ / ٢٩ ، ثمار القلوب ص ٢٠٢

(٢) ثمار القلوب ٢٠٤

وأظهرت من المحاسن ما لا يوصف، وروي أنها نثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار، وأعتقت ثلاثمائـة عبـد ومـائتي جارية، ووصلت الفقراء المجـاورين بالصـلات الجزيلـة، فصار حجها تاريخا مذكورا وصار مثلا مشهورا[1].

سنيات خالد: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة شظف العيش، ويرتبط التعبير بخالد بن عبـد الملـك بـن الحارث بن الحكم الذي ولي المدينة سبع سنين من قبل هشام بن عبد الملك، فأقحط الناس حتى أجلى أهل البـوادي إلـى الشام وكان يقال: سنيات خالد لا أعاد ا مثلها[2].

سنو يوسف: استعملت الجماعة العربية هذا التعبيـر للإشارة أيضا إلى شظف العيش والتعبير مأخوذ مـن قولـه تعالى: ﴿ ثُم يأْتِي مِن بعدِ ذَلِك سبعٌ شِدادٌ يأْكُلْن ما قَدمتُم لَهن ﴾ يوسف (٤٨)، وجاء في حديث الدعاء على قريش: " أعني

---

[1] المصدر نفسه ٢٠٤

[2] المصدر نفسه ١٥١

عليهم بسنين كسني يوسف" وهي التي ذكرها ا تعالى فـي الآية[1].

يوم عبيد: استعملت الجماعة العربية هـذا التعبيـر للإشارة إلى سوء الطالع والزمان المشئوم، ويرتبط التعبيـر بقصة عبيد بن الأبرص الشاعر الذي توجـه للنعمـان بـن المنذر في يوم بؤسه الذي كان لا ينجو من لقيه فيه، كما كان لا يخيب من لقيه في يوم نعيمه، وتروي لنـا المصـادر أن النعمان قال: إنك مقبول فأنشدني من قولك:

أقفر من أهله ملحوب.. فأنشده قائلا:

أقفــر مــن أهلــه عبيــد فاليوم لا يبـدي ولا يعيـد

ثم أمر بقتله فسار يوم عبيد مثلا: ومن هذا قول أبي تمام[2]:

---

[1] النهاية ٢ / ٤١٤

[2] انظر الخبر بالأغاني ١١ / ١٩٧٠ ط الشعب ثمار القلوب ٢١٥

لما أظلتنـي سـماؤك أقبلـت   تلك الشهود علي وهي شهودي

من بعد ما ظن الأعـادي أنـه   سيكون لي يـوم كيـوم عبيـد

يوم حليمة: اسـتعملت الجماعـة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى الأمر الذي يذاع وينتشر، والتعبير مرتبط بقصة حليمة بنت الحارث التي جهز أبوها ذات يوم جيشـا لقتـال المنذر بن ماء السماء، وأمرها أن تخرج معهم حاملة مركنـا تطيب به الجنود في هذا اليوم الذي يعد مـن أشـهر أيـام العرب، وفي ذلك يقول النابغة[1]:

تخيرن من أزمان عهد حليمـة   إلى اليوم قد جربن كل التجارب

ليلة النابغة: استعملت الجماعـة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى المعاناة والأرق أو طول الوقت، ويرتبط التعبير بقول النابغة الذبياني في قصيدته البائية التي يخاطـب فيهـا ابنته:

---

[1] الميداني ٣ / ٢٥٩

كليني لهم يـا أميمـة ناصـب   وليل أقاسيه بطيء الكواكب

أو بقوله في قصيدته العينية معتذرا[1]:

فبت كأني سـاورتني ضـئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع

ينقل لنا الثعالبي عن أبي العيناء عن الأصمعي قوله: " انصرفت ليلة من دار الرشيد وأنا أشكو علة، ثم غدوت إليه فقال لي: يا أصمعي كيف بت؟ فقلت: بليلة النابغة يـا أميـر المؤمنين، فقال: إنا ا ، هو قوله: فبت كـأني سـاورني ... فقلت: وا يا أمير المؤمنين ما أخبرت خبره، وإنمـا أرادت قوله: كليني لهم يا أميمة ...[2].

ليلة المتوكل: استعملت الجماعـة العربيـة التعبيـر للإشارة إلى الأمر الخطير والحدث الجلـل، ويـرتبط هـذا التعبير بالليلة التي قتل فيها الخليفة العباسي المتوكـل، وقـد كانت كما يقول الثعالبي: ثلمة الإسلام، وعنوان سقوط الهيبة

---

[1] الأغاني ١١ / ٣٨٠٢ ، ٣٨٢٦ ط الشعب .

[2] ثمار القلوب ٦٣٤

وكانت ليلة الأربعاء خلت من شوال ٢٤٣ هـ ومن ذلك قول الشاعر:

كم آمن متحصن فـي جوسـق قد بات منه بليلة المتوكـل

ونجد من هذا القبيل تعبيـرات أخـرى مثـل ليلـة الخلافة[1] ويدل التعبير على توالي الأحداث وتتابعها فـي آن واحد، وكما يقول الثعالبي: هي ليلة لم يتفق مثلها قط، وكانت ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول عام ١٧٠ هـ فقد مات في هذه الليلة الخليفة المهدي، وولد فيهـا الخليفة المأمون، واستخلف فيها الخليفة الرشيد، وخلافة ابـن المعتز[2] يشير التعبير إلى ما لا يطول أجلـه مـن النـاس والأشياء ويرتبط التعبير بابن المعتز؛ لأنه ولي الخلافة يوما أو بعض يوم، ثم أدخل الحبس ثم مات، وقيل إنه قتـل ولـم يقدر أحد على رثائه[3].

---

[1] ثمار القلوب ١٩٠

[2] ثمار القلوب ٦٣٦

[3] ثمار القلوب ١٩١

٢ – ٥ رأينا التعابير الاصطلاحية التـي اعتمـدت على الإضافة بين الألفاظ الزمانية وألفـاظ مختلفـة تـارة، وأسماء الأعلام تارة أخرى. وقد تنوعت دلالات هذه التعابير وسنرى فيما يلي أن العربية قد عرفت أيضا صورة ثالثة هي المبني من التعابير الاصطلاحية، أي التي تبدأ بلفظ ابـن أو بنت مضافا إلى اللفظ الزماني، ومن هذه التعـابير[1]: ابـن الأيام: الرجل المجرب، ابن الليـالي: القمـر، ابـن الليلـة: الهلال، ابن ذكاء: الصبح: ابن الدهر: النهار ابنا سمير: الليل والنهار؛ سميا بذلك لأنه يسمر فيهما. وقد قالت العـرب: لا أفعل ذلك ما سمر ابنا سمير أي لا أفعل ذلك أبدا.

وقالت أيضا ابنا جمير: الليل والنهار سـميا بـذلك للاجتماع فيهما من مقولهم.

---

[1] رثاه أبو بكر العلاف بقصيدة رمزية ورى فيها بهـر خوفـا مـن الخليفة المقتدر قائلا:

يـا هـر فارقتنـا ولـم تعـد	وكنت منا بمنزلـة الولـد
وكيف ننفك عـن هـواك وقـد	كنت لنا عدة مـن العـدد

انظر القصيدة، نهاية الأرب ٩ / ٢٩٣

أجمر القوم على الشيء إذا اجتمعوا عليـه وجميـر القوم مجمعهم، وقيل: إن ابن جمير الليل المظلم وابن سـمير الليل المقمر ومن ذلك قولهم: لا أفعله ما جمر ابـن جميـر، ومن هذه التعبيرات أيضا: بنو الأيام: أهـل العصـر بنـات الدهر: المصائب والشدائد، بنات الليل الأحلام، وقيل النسـاء أيضا[1] [2]. ونجد صورة رابعة عرفتها العربيـة للتعـابير الاصطلاحية، وهي المثنى[3]، ونلاحـظ أن هـذه الصـورة تظهر في شكل لفظين يغلب أحدهما علـى الآخـر لاتفـاق السمين في صفة معينة كما نرى في تعبير: " الأبوان" بمعنى الأب والأم بتغليب لفظ القمر ومن هذه التعبيرات: اللـيلان: الليل والنهار، والصباحان: الصباح والمسـاء، والفجـران: المستطيل والمسـتطير، والعشـاءان: العشـاء والمغـرب: والعصران: العصر والظهر، والرجبـان: رجـب وشـعبان والصفران: صفر والمحرم.

---

[1] انظر كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحي ص ٢٧٥

[2] انظر ثمار القلوب ٢٦٤ – ٢٧٠ – ٢٧٥ ، الأزمنة والأمكنـة ١ / ٢٥٥

[3] انظر كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحي ص ٢٨١

ونجد صورة أخرى للمثنى مـن التعبيـرات مثـل: الردفان: الليل والنهار؛ سميا بذلك لأن كلا منهمـا يـردف صاحبه، الأصرمان: الليل والنهار؛ لأن كل منهما ينصرم من الآخر، الجديدان: الليل والنهار؛ سميا بذلك لأن كلا منهما لا يبلى أبدا، والحدثان: الليل والنهار، الملوان أيضا، ومن ذلـك قول الشاعر[1]:

ألا ديــار الحــي بالســبعان   مر عليها البلـى الملـوان

والأبردان: الغداة والعشي، والعصران [2] وقد يـراد بهما الليل والنهار، جاء في الحديث: "من صلى البردين دخل الجنة" أي الفجر والعشاء، وفي الحديث: " أيضـا: " حـافظ على العصرين" وهما صلاة الفجر وصلاة العصـر لأنهمـا يقعان في طرفي النهار[3].

---

[1] اللسان سبع

[2] انظر هذه التعبيرات في مواضعها بلسان العرب، وقطرب: الأزمنة الأزمنة وتلبية الجاهلية ٥٨، المخصص ٩ / ٥٦

[3] النهاية ١ /١١٤ ، ٣ / ٢٤٦

الفصل الرابع
دلالة الزمان والسياقات اللغوية

سبق أن أشرنا إلى أن بعض اللغويين المحدثين يرى التفرقة بين مصطلحي الزمان والزمن؛ فالأول يقابل ما نعرفه في الإنجليزية باسم Time الذي يقاس بالثواني والساعات والأيام والشهور، ويعبر عنها بالأسماء الدالة على أوقات الزمان، والثاني يقابل ما نعرفه في الإنجليزية باسم Tense أي الزمن اللغوي الذي يعبر عنه بالصيغ الصرفية والسياقات اللغوية[1].

وبناء على هذه التفرقة بين مفهوم الزمان والزمن نجد في اللغة ثلاثة أقسام للزمن:

زمن الأوقات: الذي نعبر عنه بالأسماء والتعابير التي تحدد أوقات الزمان وتحمل معنى الظرف، والمعنى هنا معجمي.

---

[1] د. تمام حسان مناهج البحث في اللغة ص ٢١١ انظر ص (١١٧) من الدراسة وما بعدها .

الزمن النحوي: الذي يشمل الزمن الصرفي الذي يتمثل في التراكيب المختلفة والمعنى هنا وظيفي.

الزمن الاقتراني: وهو الزمان الذي يكون بين حدثين، وهذا الزمان يفهم من الظروف الزمانية المبهمة التي لا تدل على الزمان الماضي أو المستقبل إلا إذا أضيفت أو اقترنت بالتركيب مثل: أبد، قط، عوض، قبل، بعد، إذ، إذا، متى، إيان، منذ مذ، الآن، لدن، عند، ريث[1].

أبدا: ظرف زمان يستعمل لاستغراق النفي أو الإثبات في المستقبل واستمراره، تقول: لا أكلمه أبدا، أي من لدن تكلمت إلى آخر عمرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا موسى إِنا لَن ندخُلَها أَبدا ما داموا فِيها ﴾ المائدة (٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ما أَظُن أَن تَبِيد هذِهِ أَبدا ﴾ الكهف (٣٥).

استعملت العربية لفظ الأبد بدلالة الزمان غير المحدد في المستقبل والجمع آباد، فقالوا: أبد بالمكان يأبد أبودا، أقام به لم يبرحه، وقالوا: وقف الرجل أرضه وقفا مؤبدا، إذا

---

[1] انظر هذه الظروف في مواضعها من لسان العرب.

جعلها جسما لا يباع ولا يورث، والتأبيد التخليـد فتقـول لا أفعل ذلك أبد، الأبيد أو أبد الآباد[1].

قط: ظرف زمان غير منصرف يستعمل لاسـتغراق النفي في الماضي، تقول: ما فعلت ذلك قط، يقول المرزوقي: "قط" اسم ينتظم أول الوقت إلى آخر مبلغه منه، وهو عبـارة عن أمده ومدته، فوجب لذلك أن يكـون مضـافا إلـى ذي الوقت، كما أضيف إليه قبل وبعد، فلما انقطع عن الإضـافة بني على الضم.

عوض: ظرف زمان لدلالة الـزمن فـي المسـتقبل بمعنى أبدا فتقول: لا أفارقك عوض أي أبدا، كمـا يسـتعمل لاستغراق الزمن الماضي المنفي بمعنى قـط، فتقـول: مـا رأيت مثله عوض أي قط، ويبنـى اللفـظ: إذا قطـع عـن الإضافة، ويعرب إذا أضيف كما نرى في هذا التعبيـر: " لا أفعله عوض العائضين" أي: أبد الآبدين.

قبل: ظرف زمان معرب يلزم الإضافة، فإن قطـع عنها بني على الضم أو نصب منونا، في مثل قولك: سـافر

---

[1] انظر ص ٤٣ ، ٩٣ ، ١٢١ من الدراسة.

علي وسافر أخوه قبله أو من قبله، وقد يحذف المضاف فيبنى على الضم فتقول: سافر علي وسافر أخوه قبل ومـن قبـل ويجوز الإعراب على التنوين فتقول: قبلا ومن قبل، ويجوز تصغير قبل فتقول: قبيل، تقول: جاء علي قبيـل الظهـر أي قبله بزمن يسير.

قد جاء الظرف في القرآن الكريم مبنيـا فـي قولـه تعالى: ﴿ قَالُوا هذَا الذِي رزقْنَا مِن قَبلُ ﴾ البقرة (٢٥).

كما جاء معربا في قوله تعالى: ﴿ وإِن كُنْتُم من قَبلِهِ لَمِن الضالين ﴾ البقرة (١٩٨).

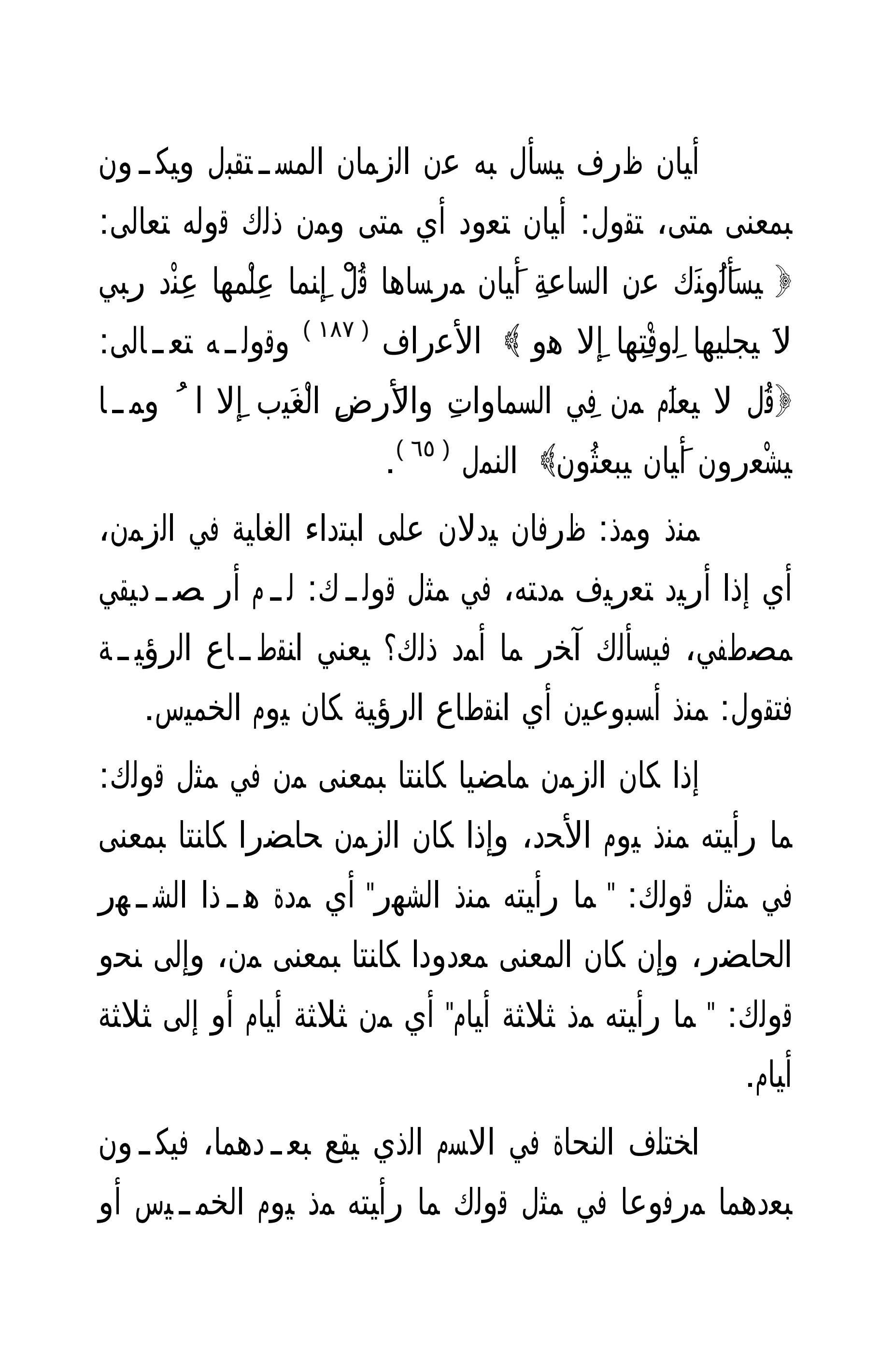
بعد: ظرف زمان ضد قبل، يلزم الإضافة فإن قطـع عنها بني على الضم أو نصب منونا، تقول: جاء محمد وجاء أخوه بعد وبعدا ومن بعد، قد جاء معربا ومبنيا فـي القـرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الذِين ينقُضون عهد ا ِ مِـن بعدِ مِيثَاقِهِ ﴾ البقرة (٢٢٧) وقوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَقَها فَلاَ تَحِل لَه مِن بعد حتى تَنْكِح زوجا غَيره ﴾ البقـرة (٢٣٠)، وقولـه تعالى: ﴿ ِ الأمر مِن قَبلُ ومِن بعد ﴾ الروم (٥)، وقولـه تعالى: ﴿ إِن يشَأْ يذْهِبكُم ويستَخْلِفْ مِن بعـدِكُم مـا يشَـاء﴾

الأنعام (١٣٣) ويجوز تصغير بعد مثل قبل، فتقـول: بعيـد لتقريب الزمن الواقع بعد الحدث المقصود التعبير عنه.

إذا: ظرف زمان مبهم يستعمل للمسـتقبل يتضـمن معنى الشرط في مثل قولك: إذا اجتهدت نجحت، كما يتضمن معنى المفاجأة في مثل قولك: خرجت فإذا لصٌ بالباب، وقـد جاء الظرف في مثل قولـه تعـالى: ﴿ إِذَا زلْزِلَـتِ الأَرض زِلْزالَها ﴾ الزلزلة (١).

إذ: ظرف زمان مهم يستعمل للماضـي، لا يقـع إلا بعد جملة وقد تحذف ويعوض عنها بالتنوين في مثـل قولـه تعالى: ﴿ فَلَولاَ إِذَا بلَغَتِ الْحلْقُوم * وأَنْتُم حِينَئِذٍ تَنْظُـرون ﴾ الواقعة (٨٣، ٨٤) أي حين إذٍ بلغت الـروح الحلقـوم، كمـا يتضمن الظرف معنى المفاجأة في مثل قولك: بينما أنا جالس إذ جاء صديقي.

متى: ظرف يسأل به عن الزمان المستقبل في مثـل قوله تعالى: ﴿ حتى يقُولَ الرسولُ والذِين آمنُوا معـه متَـى نَصر ا ِ أَلاَ إِن نَصر ا ِ قَرِيـبٌ ﴾ البقـرة (١٦٤)، وقولـه تعالى: ﴿ ويقُولُون متَى هذَا الْوعد إِن كُنْتُم صادِقِين ﴾ النمـل (٧١).



أيان ظرف يسأل به عن الزمان المستقبل ويكون بمعنى متى، تقول: أيان تعود أي متى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ الأعراف (١٨٧) وقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾ النمل (٦٥).

منذ ومذ: ظرفان يدلان على ابتداء الغاية في الزمن، أي إذا أريد تعريف مدته، في مثل قولك: لم أر صديقي مصطفي، فيسألك آخر ما أمد ذلك؟ يعني انقطاع الرؤية فتقول: منذ أسبوعين أي انقطاع الرؤية كان يوم الخميس.

إذا كان الزمن ماضيا كانتا بمعنى من في مثل قولك: ما رأيته منذ يوم الأحد، وإذا كان الزمن حاضرا كانتا بمعنى في مثل قولك: " ما رأيته منذ الشهر" أي مدة هذا الشهر الحاضر، وإن كان المعنى معدودا كانتا بمعنى من، وإلى نحو قولك: " ما رأيته مذ ثلاثة أيام" أي من ثلاثة أيام أو إلى ثلاثة أيام.

اختلاف النحاة في الاسم الذي يقع بعدهما، فيكون بعدهما مرفوعا في مثل قولك ما رأيته مذ يوم الخميس أو

منذ يومان وهما على هذا مبتدآن وما بعدهما خبر، أو يكون ما بعدهما مجرورا فتقول: منذ يوم الخميس ومنذ يومين وقد اعتبرهما ابن هشام حرفين جارين وليسا اسمين، والمشـهور أنهما ظرفان مضافان للجملة، ومذ مخففة من منذ، والـدليل على ذلك أنهم يضمون ذال "مذ" عند التقاء السـاكنين نحـو قولك مذُ اليوم، ولو لم يكن الأصل الضم لكسرت الذال.

الآن: ظرف زمان يشير إلى الوقت الذي أنت فيـه، واللفظ مشتق من قولهم: آن الشيء يئين أينا، إذا أتى وقتـه تقول: أآن لك أن تفعل كذا؟ أي حان واقترب وقت ذلك، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا الآن جِئْتَ بِالْحق فَذَبحوها وما كادوا يفْعلُون ﴾ البقرة (٧١)، وقولـه تعـالى: ﴿ إِذَا حضـر أَحدهم الْموتُ قَالَ إِني تُبتُ الآن ﴾ النساء (١٨).

لدن: ظرف زمان تفيد أول غاية الزمان، كما يـدل اللفظ على المكان بمعنى عند، وهو مبنـي علـى السـكون ويجوز جره بمن وقد تحذف النون فتقول: مـن لـد صـلاة العصر إلى صلاة المغرب، جاء اللفظ في القرآن الكريم فـي أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحكِمتْ آياتُه ثُم فُصلَتْ مِن لدن حكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود (١).

منصوبا أو مجرورا بمن فقط فتقول أتيت من عنده، ويدل اللفظ على هذه الفترة ولم يأت في القـرآن إلا بدلالـة ظرف المكان في مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لا أَقُولُ لَكُم عِنْـدِي خَزائِن ا ـِ ﴾ الأنعام (٥٠) وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هلْ عِنْدكُم من عِلْمٍ فَتُخْرِجوه لَنَا ﴾ الأنعام (١٤٨).

ريث: مصدر من قولـك راث يريـث أي: أبطـأ، يستعمل اللفظ ظرفا بمعنى مقدار المهلة من الزمان مضـافا للفعل، كقولك: ريث جاء زيد أي حين جاء زيد، وقف القطار ريثما صعد المسافرون، أي: مقدار صعودهم، وما جلسـت عنده إلا ريث أشرب القهوة أي مقدار شربي القهوة. جاء في الحديث: " فلم يلبث إلا ريثما قلت..." أي قدر ذلك.

سبق أن ذكرنا أن النحاة المسلمين درسـوا ظرفـي الزمان والمكان تحت عنوان واحد فـي قسـم المفعـولات لاشتراكهما في وظيفة نحوية واحدة، هي وعائيـة الحـدث، فهذا حدث في زمان، وذاك حدث في مكان[1]، ولمـا كانـت الأحداث التي تقع في حياة الإنسان بعضها جرى في الماضي

---

[1] انظر ص (٣٨ ، ١٧٩) من الدراسة.

وأخرى ستجري في المستقبل، وثالثة تجـري فـي الـزمن الحاضر، فقد قسم النحاة منذ سيبويه الحدث في الزمان إلـى ثلاثة أقسام، قسم لما كان وهو الماضي، وقسم لما هو كـائن لم ينقطع وهو الحاضر، وثالث لما يكون ولـم يقـع وهـو المستقبل[1]، وهي قسمة تقابل الحدث فـي المكـان قريـب، ومتوسط، وبعيد وتعبر عنه أسماء الإشارة: ذا، ذاك، ذلك.

وإذا كان النحاة منذ سيبويه قد قسموا الأفعـال هـذه القسمة الثلاثية التي تصنف الأحداث إلى أحداث جرت فـي الماضي، وأخرى ستجري في المستقبل، وثالثة تجري فـي الزمن الحاضر، إلاّ أننا نرى التناقض الذي وقعوا فيه عندما اصطلحوا على تسمية الفعل الذي يشـير للـزمن الحاضـر بالمضارع، فجردوه بهذه التسمية من مفهومه الزمني، ويعود ذلك إلى أنهم لم يدرسوا الفعل إلا من جهة كونه عاملا، بـل اعتبروه أقوى العوامل؛ لأنه الأصل في العمل، وكـان هـذا على حساب دور الفعل في التعبير الزمني، كمـا أنهـم لـم يجمعوا بين الزمن والإعراب؛ لأن الزمن ظـاهرة تـرتبط

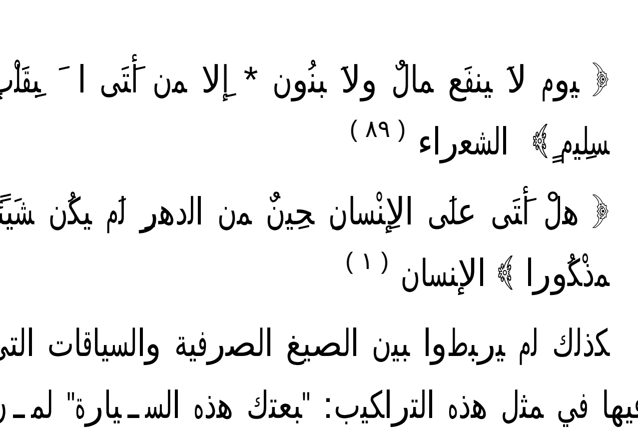
---

[1] انظر سيبويه الكتاب ١ / ٢٣ .

بالفعل، والإعراب يـرتبط بالاسـم لمقـولتهم المشـهورة " الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال"، هذا بالإضـافة إلى أن الزمن سمة فارقة بين الفعل والاسم، فإلى جانب مـا يتضمنه الفعل من حدث من جهة مادة الاشتقاق، فإنه يتضمن زمنا من جهة شكل الصيغة.

لقد ركز النحاة اهتمامهم على الزمن الصرفي مـن خلال الفعلية المعزولة عـن سـياقاتها، واعتبـروا الـزمن الصرفي زمنا نحويا، كما أنهم لم يدرسوا الصـيغ الأخـرى التي يمكن أن تدل على الزمن مثل المشتقات في اسم الفاعل في مثل قوله تعالى: ﴿ ولاَ تَقُولَن لِشَيءٍ إني فَاعِلٌ ذَلِك غَـدا * إلا أن يشَاء ا ُ ﴾ الكهف (٢٣) والمصادر في مثل قولنـا: التهجد ليلا، ولم يهتموا بدراسة الدلالات الزمنية الدقيقة التي يمكن أن تظهر من خلال السياقات اللغوية المختلفـة، كمـا نرى في الفعل الماضي: أتى ودلالته الزمنية المختلفة في مثل هذه السياقات القرآنية التي تشـير إلـى الـزمن الحاضـر والمستقبل والماضي على التوالي:

﴿ إنما صنَعوا كَيد ساحِرٍ ولاَ يفْلِح الساحِر حيثُ أَتَى ﴾ طه (٦٩)



﴿ يوم لاَ ينفَع مالٌ ولاَ بنُون * إِلا من أَتَى ا َ بِقَلْبٍ سلِيمٍ﴾ الشعراء (٨٩)

﴿ هلْ أَتَى علَى الإِنْسانِ حِينٌ من الدهرِ لَم يكُن شَيئًا مذْكُورا ﴾ الإنسان (١)

كذلك لم يربطوا بين الصيغ الصرفية والسياقات التي تأتي فيها في مثل هذه التراكيب: "بعتك هذه السـيارة" لمـن تحدثه الآن، ودعاؤك لمن مات قائلا: "يرحمـه ا " ونتيجـة لهذا الاهتمام بالزمن الصرفي وفصله عن الزمن النحوي أو السياقي، نجدهم يدرسون ما يمكن أن يكون قرائن زمنية في السياق على أنه أدوات تؤدي وظائف إعرابية، ولم يـذكروا وظيفتها الزمنية إلا عرضا، فلن تعمل في الأفعال المضارعة النصب في هذا التركيب: لن يكتب، ولم تعمل الجزم في هذا التركيب: لم يكتب.

لقد ذهب كثير من المستشرقين نتيجة لذلك إلـى أن العربية لم تعرف إلا زمنين صرفيين فـي صـيغتي: فعـل ويفعل، وكما يقول بعض الدارسين: إن عدم اهتمـام النحـاة بالكشف عن الدلالات الزمنية المختلفة من خلال السـياق لا يدل على افتقار العربية إلى مفهوم الزمان المتكامل كما نراه

في اللغات الأخرى، فاللغة العربية مثـل اللغـات الأخـرى تعرف إلى جانب التقسيم الثلاثي للزمن التقسيم السباعي كما يلي[1]:

١- الماضي	فعل
٢- قبل الماضي	كان + فعل
٣- بعد الماضي	كان + قد + فعل
٤- الحاضر	يفعل
٥- المستقبل	يفعل
٦- قبل المستقبل	سيفعل
٧- بعد المستقبل	سوف يفعل

بل إننا نجد دلالات متعددة في الزمن الماضي تعرفها العربية كما يلي:

الماضي البسيط	في صيغة فعل
الماضي البعيد المنقطع	في التركيب كان فعل
الماضي القريب المنقطع	في التركيب كان + قد + فعل

---

[1] انظر د. تمام حسان العربية معناها ومبناها ٢٤٢ - ٢٤٥ .

الماضي المنتهي بالحاضر	قد فعل
الماضي المتصل بالحاضر	مازال يفعل
الماضي المتجدد	كان يفعل
الماضي المستمر	ظل يفعل
الماضي المتقارب	كاد يفعل [1]

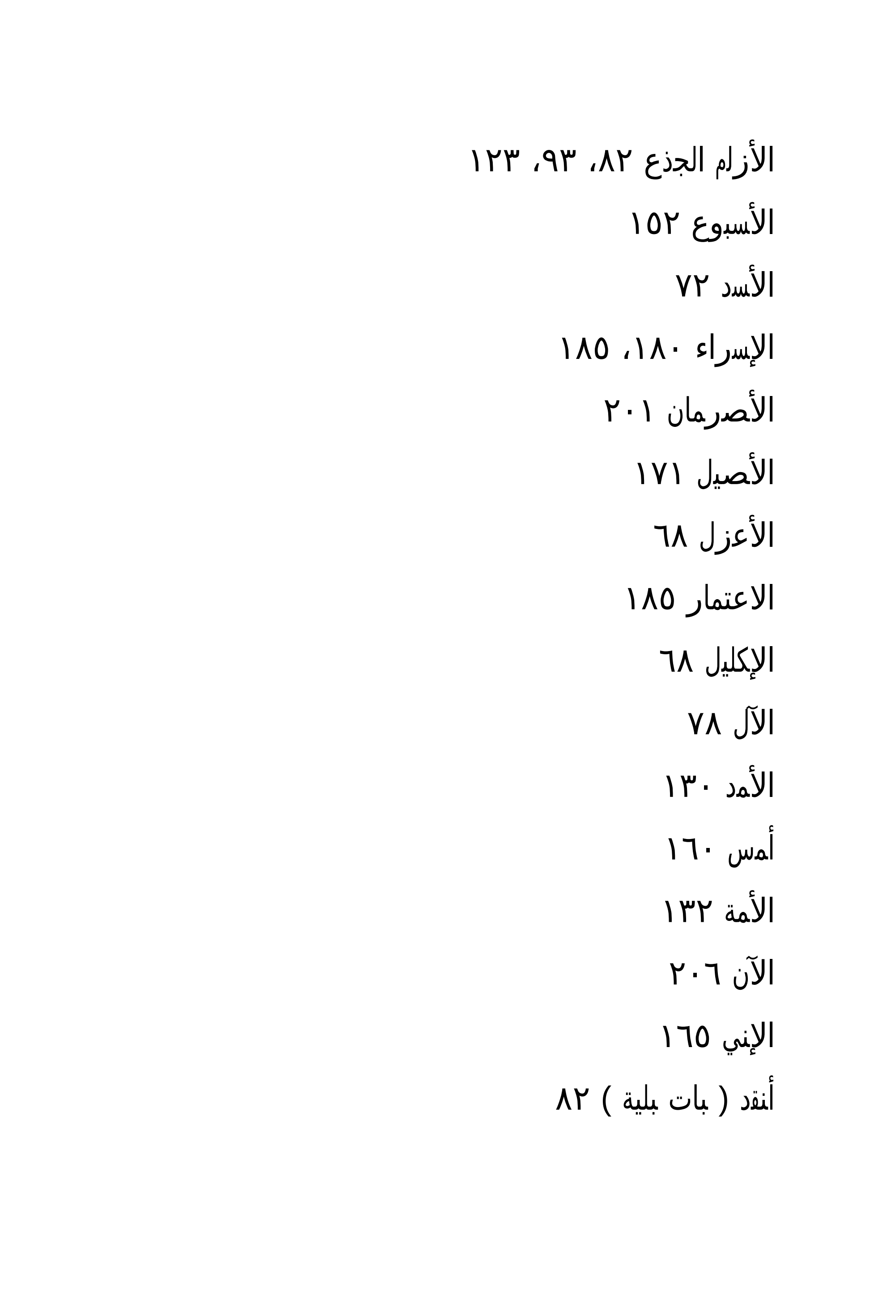
---

[1] المصدر نفسه ٢٤٨ وانظر الدلالات المختلفـة للـزمن الحاضـر والمستقبل .

فهرس الألفاظ والتعابير الدالة على الزمان في الدراسة(*)

(أ)

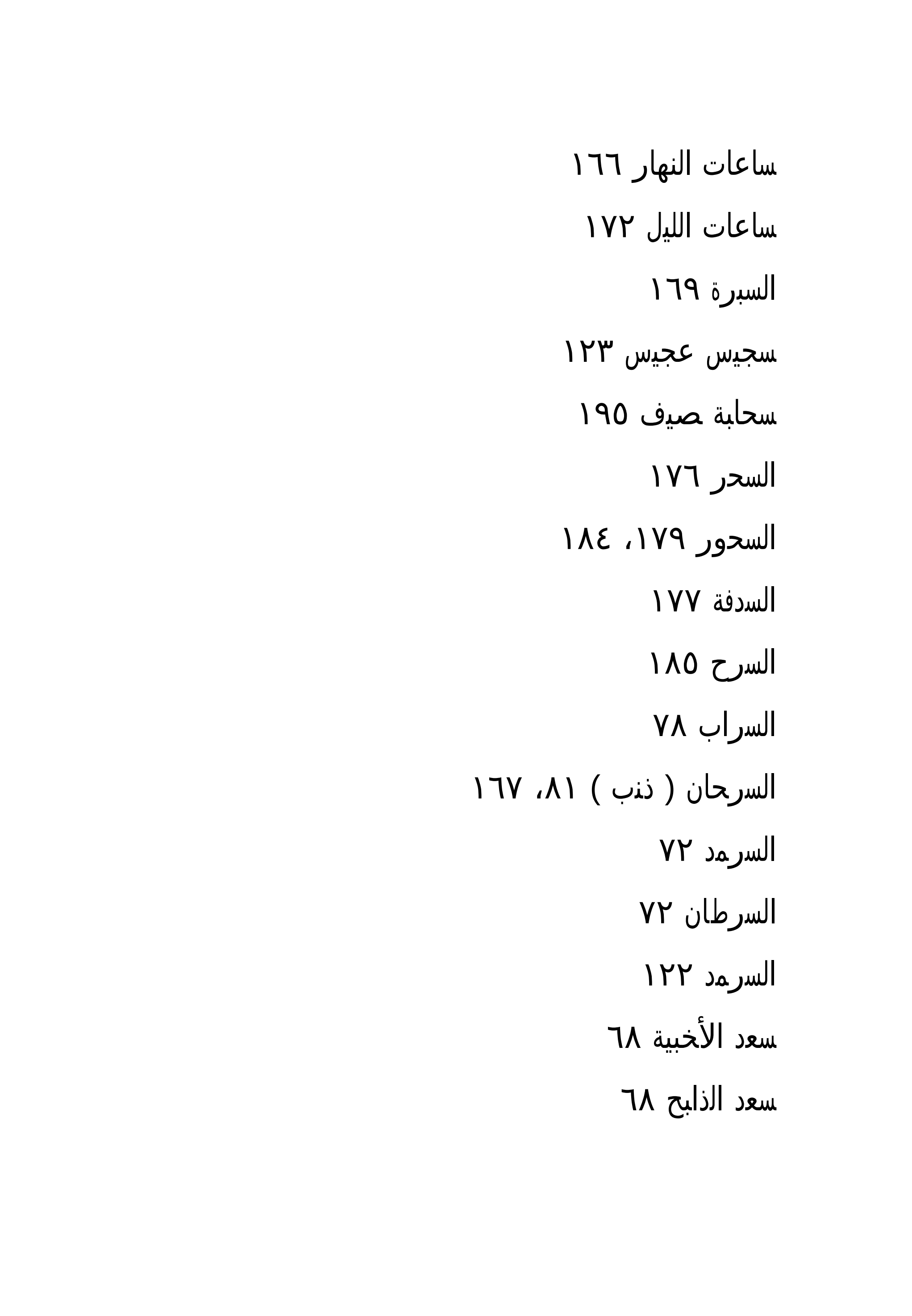
(*) رتبت الألفاظ والتعابير ألفبائيا دون تجريد الكلمة لأصلها الثلاثي مع حذف الألـف واللام.



(ث)

(ج)

(ح)

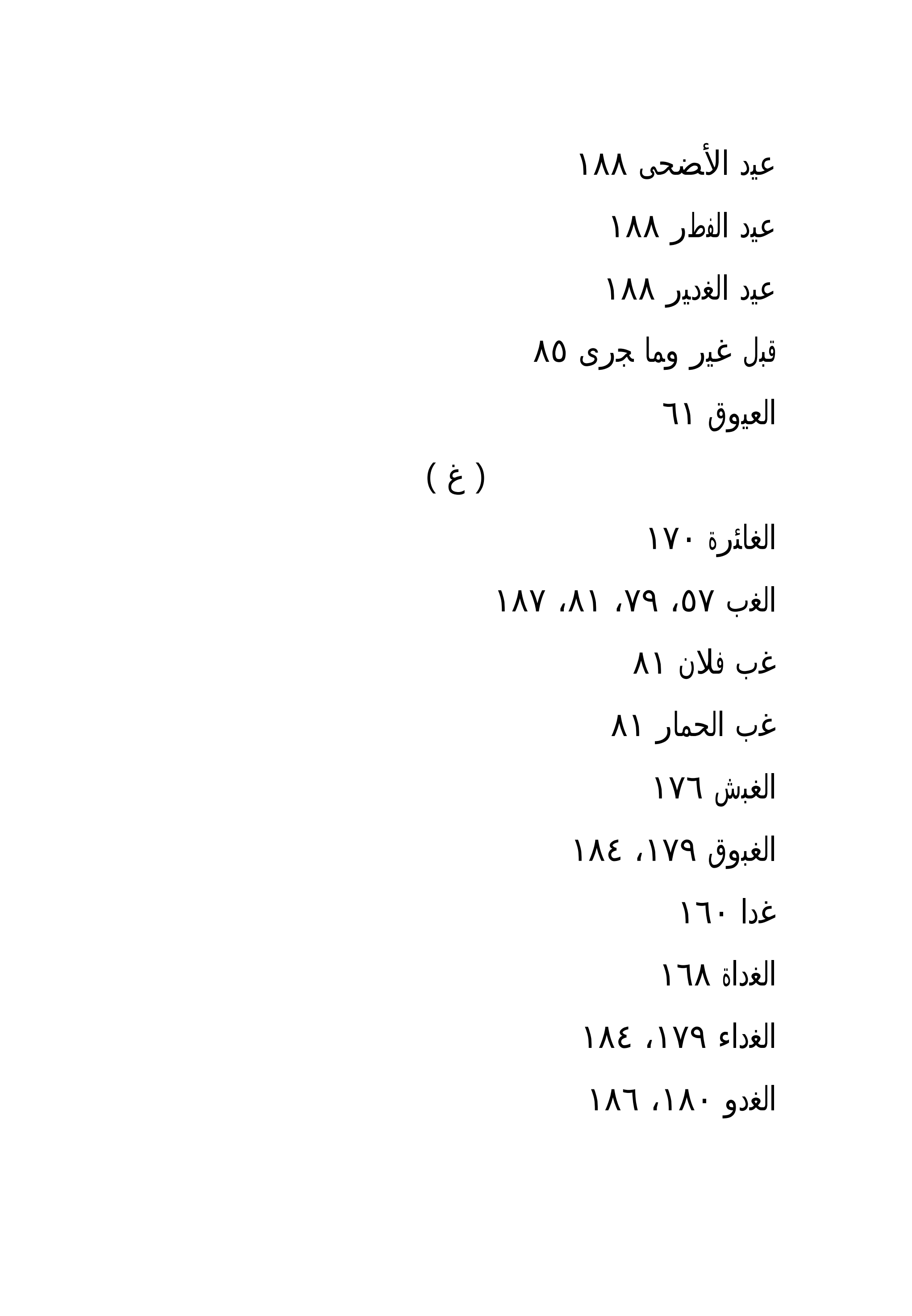


(ش)

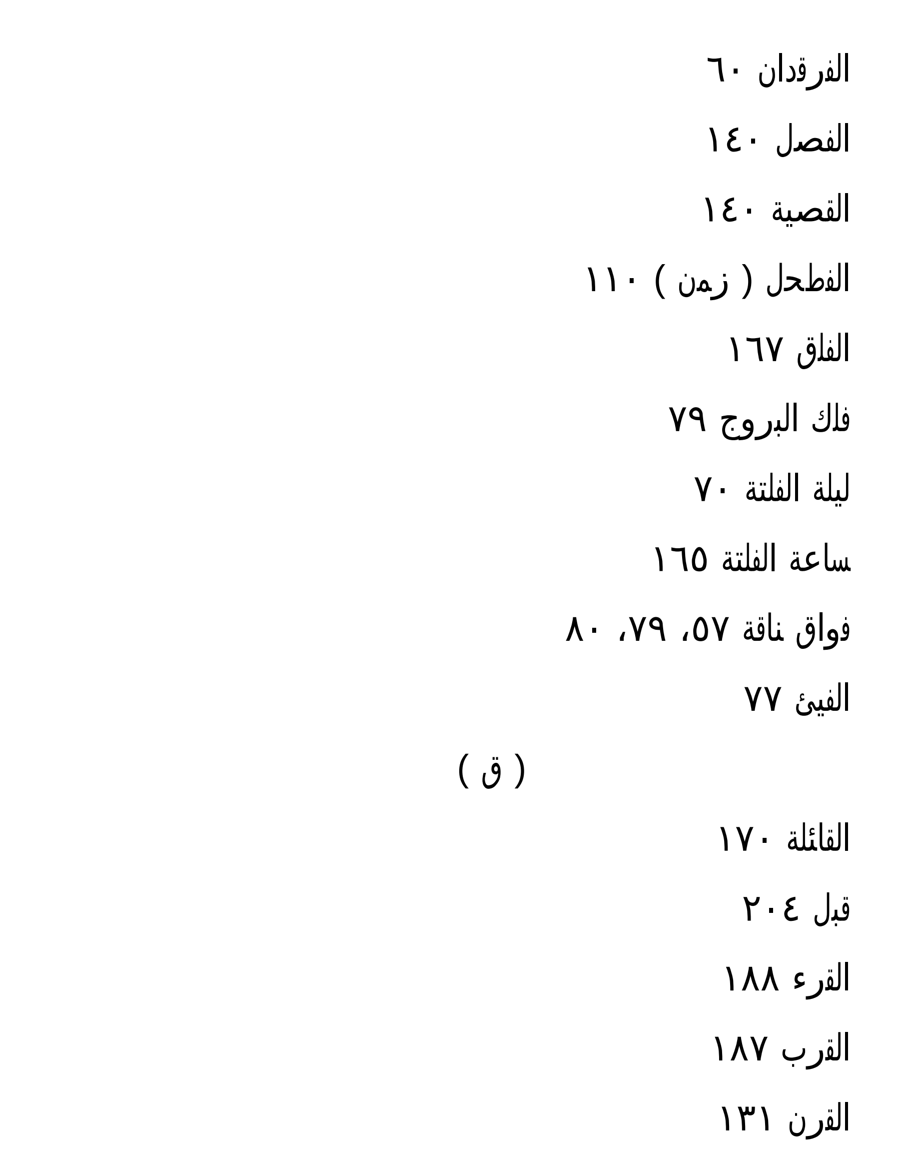


(ص)

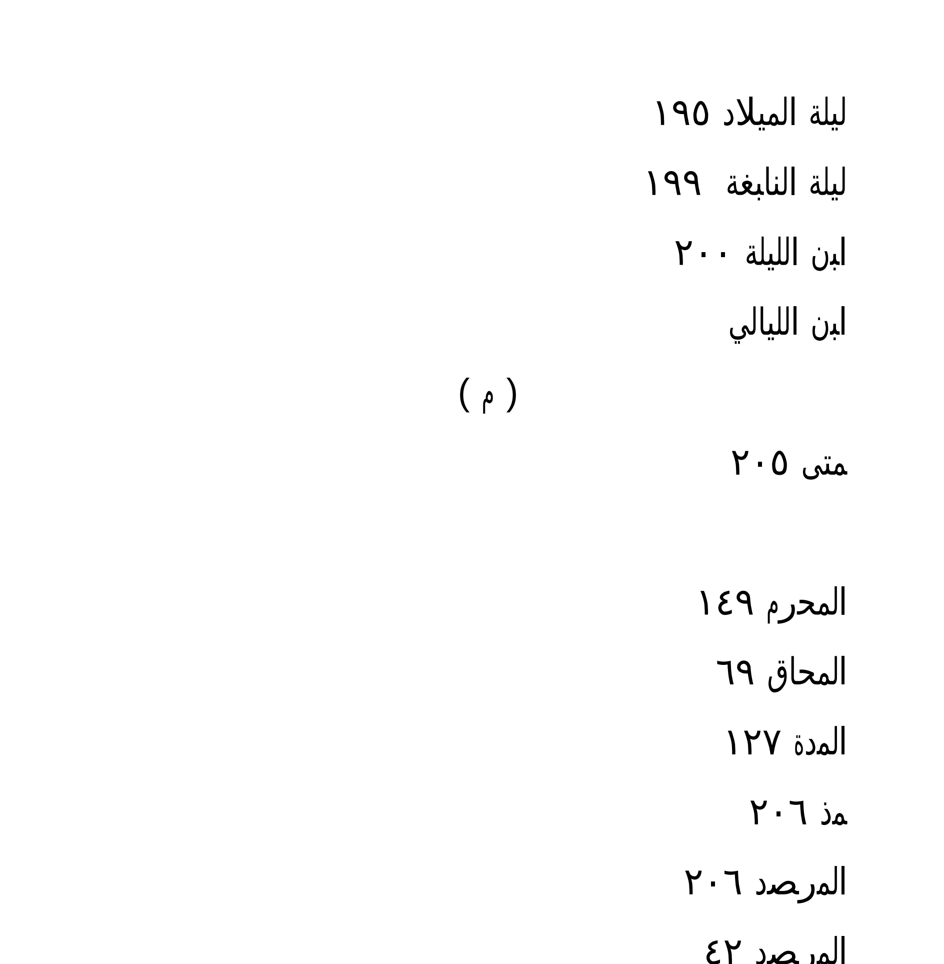


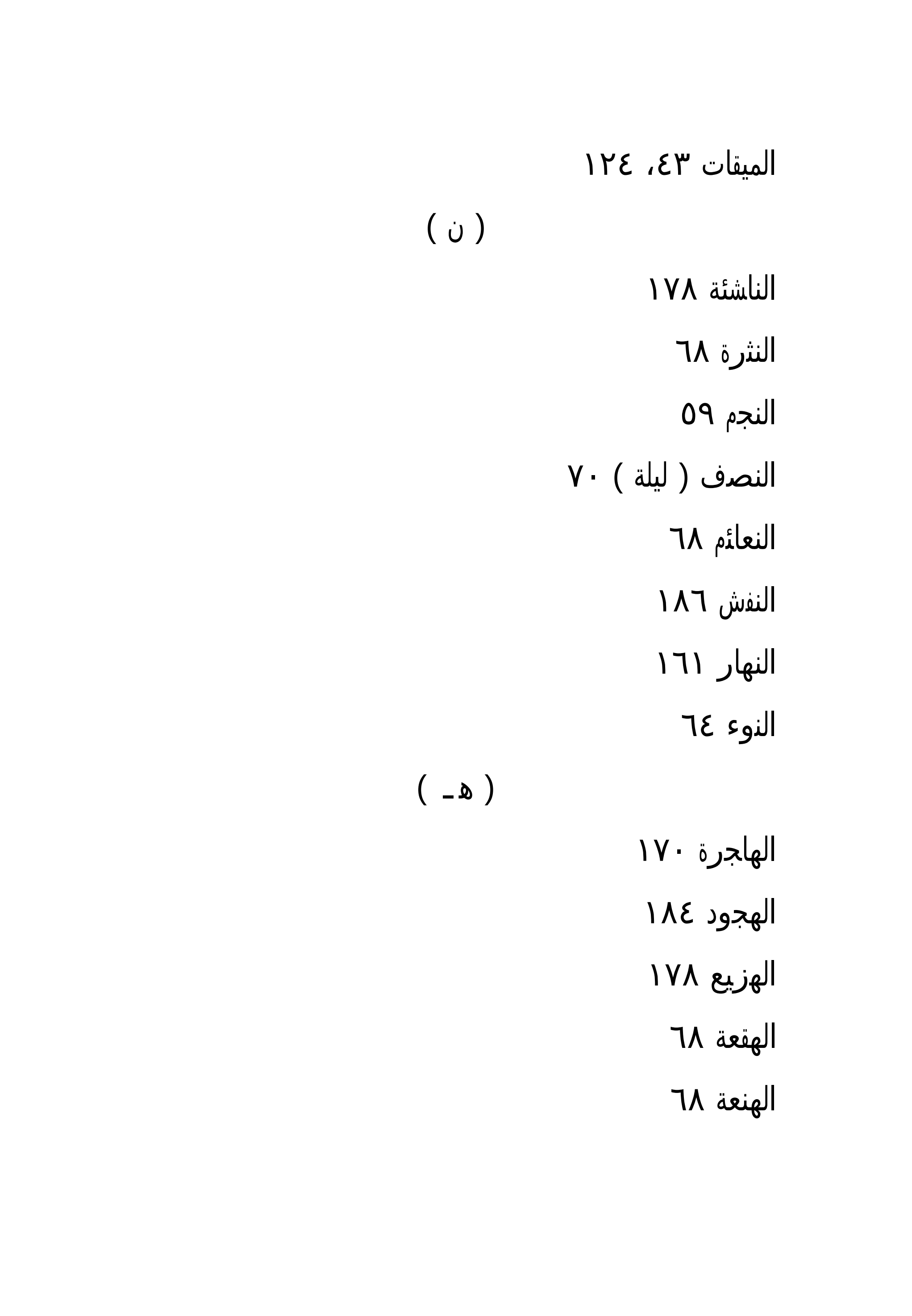


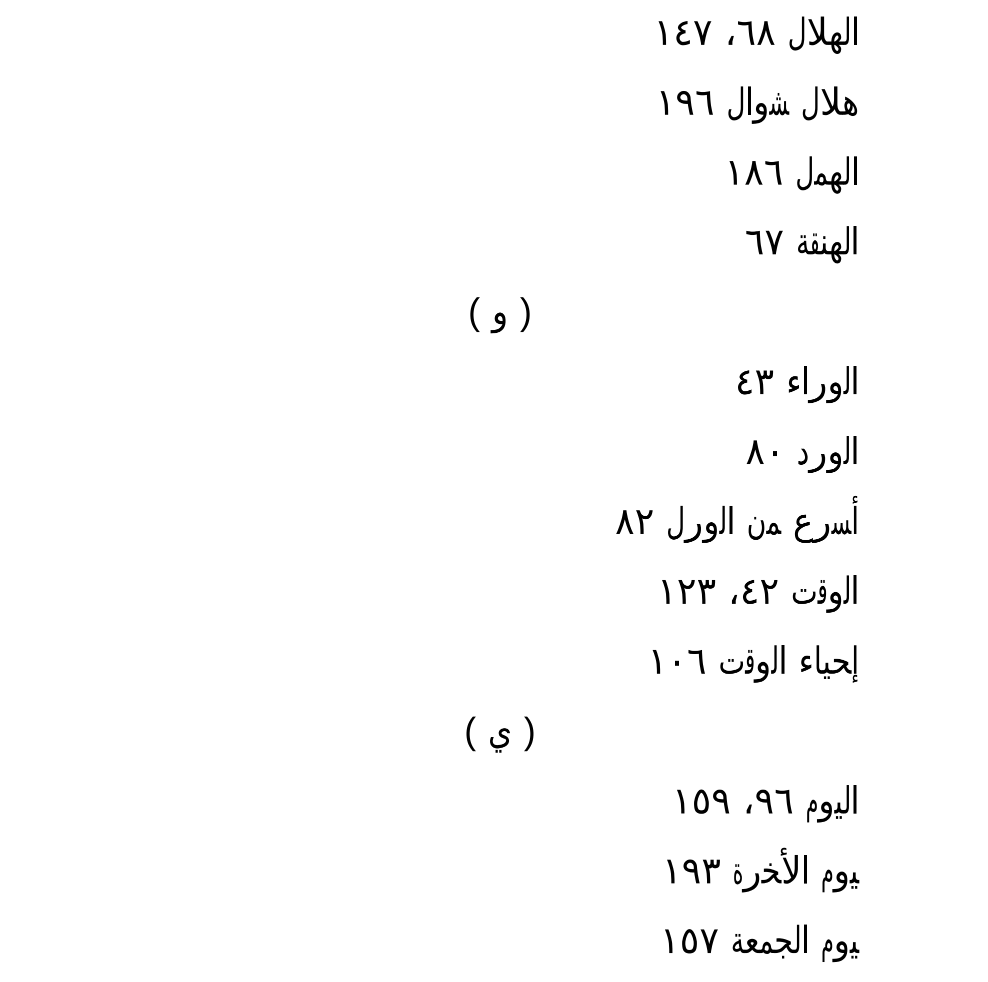
(غ)



(ل)







(و)

(ي)

أولا: المصادر العربية

ابن الأثير: أبو السعادات، مجد الدين بن المبـــــارك.

النهاية في غريب الحديث، تحقيق د. محمود الطناحي وطاهر الزاوي ط بيروت ١٩٦٥.

ابن الأجدابي: أبو إسحاق، إبراهيم بن إسماعيل:

الأزمنة والأنواء. تحقيق د. عزة حسن ط دمشق ١٩٤٦

الأصفهاني: أبو عبد ا ، حمزة بن الحسن:

الدرة الفاخرة في الأمثال. تحقيق عبد المجيد قطامش. ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.

الأصفهاني: أبو الفرج، علي بن الحسين:

الأغاني تحقيق إبراهيم الإبياري. ط دار الشعب ١٩٧٣

البخاري: أبو عبد ا محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري. ط الشعب ١٩٦٨

البكري: أبو عبيد، عبد ا بن عبد العزيز:

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. تحقيـق عبـد المجيـد عابدين. ط دار المأمون دمشق ١٩٨٠

البيروني: أبو الريحان، محمد بن أحمد:

الآثار الباقية عن القرون الخالية. تحقيق سـاخو. ط ليبـزخ ١٩٢٣

الثعالبي: أبو منصور، عبد الملك محمد بن إسماعيل:

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار نهضة مصر ١٩٨٤

الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر:

البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. ط الخانجي ١٩٦٩

أبو حيان: أبو عبد ا ، محمد بن يوسف:

التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط. ط الرياض ١٩٧٠

أبو حيان: أبو محمد، علي بن محمد بن العباس:

الهوامل والشوامل تحقيق أحمد أمين. ط القاهرة ١٩٥١

الرازي: فخر الدين، محمد بن عمر:

المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيـات. ط طهـران ١٩٦٦

الزبيدي: أبو الفيض، محيي الدين السيد بن محمد:

تاج العروس من جواهر القاموس. ط دار صـادر بيـروت ١٩٨٢

السكري: أبو سعيد، الحسن بن الحسين:

شرح أشعار الهذليين. تحقيق عبد الستار فراج. ط مكتبة دار العروبة ١٩٦٩

ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق:

الألفاظ نشر لويس شيخو. ط المطبعة الكاثوليكيـة بيـروت ١٨٩٥

ابن سيده: أبو الحسن، علي بن إسماعيل:

المخصص. ط بولاق ١٣٣٢

الطبري: أبو جعفر. محمد بن جرير:

جامع البيان عن تأويل أي القرآن. ط بولاق ١٣٢٣ هـ

تاريخ الأمم والملوك. ط دار القلم بيروت ١٩٦٨

ابن عبد ربه: أبو عمر، أحمد بن محمد:

العقد الفريد تحقيق أحمد أمين. ط لجنة التـأليف والترجمـة ١٩٥٢

العسكري: أبو هلال، الحسن بن عبد ا بن سهيل:

جمهرة الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٦٤

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس:

الصاحبي في فقه اللغة. تحقيق السيد أحمد. ط الحلبي ١٩٧٧

الفراء: أبو زكريا، يحيى بن زياد:

الأيام والليالي والشهور. تحقيق إبراهيم الإبياري. ط دار الكتاب المصري القاهرة ١٩٨٥

الفيروزبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط. ط مكتبة التربية بيروت ١٩٥٦

ابن قتيبة: أبو محمد، عبد ا بن مسلم:

كتاب الأنواء في مواسم العرب. حيدر آباد ١٩٥٦

أدب الكاتب تحقيق محيي الدين عبد الحميد. ط التجارية ١٩٥٨

قطرب: أبو علي، محمد بن المستنير:

كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية. تحقيق د. حاتم الضامن. ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥

القلقشندي: أبو العباس، أحمد بن علي:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا. نشر وطبع المؤسسة المصرية العامة عن المطبعة الأميرية.

المبرد: أبو العباس، محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب. ط المطبعة الأزهرية ١٣٣٩

المرزوقي: أبو علي، أحمد بن محمد:

الأزمنة والأمكنة. ط حيدر آباد ١٣٣٢.

مسلم: أبو الحسن، حافظ بن الحجاج بن مسلم:

صحيح مسلم بشرح النووي تحقيق عبد ا أبو زيـد. ط دار الشعب.

ابن منظور: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب. ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٠

نثار الأزهار في الليل والنهار. ط بيروت ١٩٨٣

الميداني: أبو الفضل، أحمد محمد بن إبراهيم:

مجمع الأمثال. تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم. ط عيسـى الحلبي ١٩٧٧.

النويري: شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب المصرية ١٩٧٦

ثانيا: المصادر العربية

الألوسي، حسام الدين	:	الزمان في الدين والفلسفة بيروت ١٩٨٢
د. أنيس، إبراهيم	:	دلالة الألفاظ. ط الأنجلو القاهرة ١٩٦٣
د. أيوب عبد الرحمن	:	اللغة بين الفرد والمجتمع ترجمة ط الأنجلو ١٩٥٤
د. بدوي، عبد الرحمن	:	الزمان الوجودي. ط النهضة المصرية ١٩٠٥
د. بشر، كمال	:	دور الكلمة في اللغة أولمان ترجمة مكتبة الشباب ١٩٦٤
بوخلخال، عبد ا	:	التعبير الزمني عند نحاة العرب. الجزائر ١٩٨٧
توفيق، إميل	:	الزمن في الفلسفة والعلم. ط دار الشروق ١٩٨٢
الجبوري منذر:	:	أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي بغداد ١٩٨٦
جلال، شرقي	:	الأصوات والإشارات، كندراتوف ترجمة ط الهيئة المصرية
د. حسام الدين، كريم	:	التعبير الاصطلاحي. ط الأنجلو المصرية ١٩٨٥ المحظورات اللغوية. ط الأنجلو المصرية ١٩٨٥ التحليل الدلالي؛ إجراءاته ومناهجه، ط دار غريب القاهرة ٢٠٠١
د. حسان، تمام	:	العربية مبناها ومعناها. ط الهيئة المصرية ١٩٧٣

الدواخلي، عبد الحميد	:	اللغة فندريس، ترجمة ط الأنجلو ١٩٥٠
د. الراجحي، عبده	:	اللغة وعلوم المجتمع ط دار الثقافة الأسكندرية ١٩٧٧
د. رزوق، أسعد	:	الزمن في الأدب ميرهوف ترجمة سجل العرب القاهرة
د. زيدان، محمود فهمي	:	من نظريات العلم المعاصر ط دار النهضة ١٩٨٢
د. السعران، محمود	:	اللغة والمجتمع رأى ومنهج ط طرابلس ١٩٥٨
الصائغ، عبد ا	:	الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام بغداد ١٩٨٢
لواء صبور، سعد الدين	:	٣٦٥ يوما قصة التقويم ترجمة أيروين. النهضة .
د. عبد الحافظ، صلاح	:	الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجـاهلي ط دار المعارف ١٩٨٦
د. عبد الحميد، محيـي الدين	:	الوقت عند صوفية المسلمين رسالة ماجستير
عبد العزيز، سعد	:	الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ط الأنجلو ١٩٧٠
فضال، عبد الحق	:	تأريخهم من لغتهم. ط بغداد ١٩٧٧
كامل، فؤاد	:	ألف باء نسبية برتراند راسل ترجمة الألف كتاب القـاهرة ١٩٦٥
د. لطفي، محمد قدري	:	اعرف الوقت رايس ترجمة النهضة المصرية ١٩٦٦
المطلبي، مالك يوسف	:	الزمن واللغة (الدراسة في الزمانين الصرفي النحوي) ط

		الهيئة المصرية ١٩٨٦
نالنلينو، كارلو	:	علم الفلك تاريخه عن العرب. ط روما ١٩١١

ثالثا: الدوريات العربية

مجلة ديوجين عدد ١٥ مطبوعات اليونسكو القاهرة ١٩٧١

مجلة ديوجين عدد ٢١ مطبوعات اليونسكو القاهرة ١٩٧٣

مجلة عالم الفكر المجلد ١٢ العدد الرابع الكويت ١٩٨٢

مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ١٤ القاهرة ١٩٦٢

رابعا – المراجع الأجنبية

Bauman, Richard: Exploration in the Ethnography of speaking ١٩٧٤

Dixon, R. B.: The Building of Culture, New York , ١٩٢٨

Greenberg, Joseph. Language, Culture, Culture and Communication , California, ١٩٧١.

Hall, Edward: Silent Language, New York , ١٩٥٥

Hymens, Dell: Language in Culture and Society , New York, ١٩٦٤

Pride, J.B.: Sociolinguistics, penguin Book , ١٩٦٢

Pulmanm S. G.: Word meaning and Belief, London, ١٩٨٣

Roth well, Dan: Interpersonal Communication , Ohio, ١٩٧٥

Saville, Muriel: The Ethnography of Communication , Oxford , ١٩٨٢

المكتبة اللغوية

صدر منها للمؤلف:

١- **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة** ط الثالثة مكتبة النهضة المصرية .

٢- **الإشارات الجسمية** ط الثانية دار غريب .

دراسة لغوية لاستعمال أعضاء الجسم في التواصل.

٣- **التحليل الدلالي جزءان** ط الأولي دار غريب .

إجراءاته ومناهجه

٤- **التعبير الاصطلاحي** ط الأولى مكتبة الأنجلو المصرية

دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته وأنماطه التركيبية

٥- **الدلالة الصوتية** ط الثانية مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢

دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل.

٦- **الزمان الدلالي** ط الثانية دار غريب .

دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية .

٧- **علوم العربية نشأتها ومصادرها** ط الأولى مكتبة دار الرسالة .

٨- **الفصائل اللغوية أصولها وفروعها** ط الأولى مكتبة دار الرسالة .

٩- **اللغة والثقافة** ط الثانية دار غريب .

دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية.

١٠- **المحظورات اللغوية** ط الأولى مكتبة الأنجلو المصرية.

دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ .

١١- **العربية تطور وتاريخ** ط الأولى مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢

١٢- **معجم اللسانيات الحديثة بالاشتراك** ط الأولى مكتبة لبنان – بيروت

تحت الطبع:

١- دلالة الأفعال

٢- ظواهر لغوية في العربية.